محمد يونس هاشم

إسرائيل وحزب الله ولبنان

الفائز والخاسر ومن دفع الثمن

حقائق .. وثائق .. تحليلات موضوعية

دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع

الكـتـــاب : إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن .

المـــؤلــــف : محمد يونس هاشم

الطبـعــــــة : الأولى عام ٢٠٠٧

رقــم الإيــداع : ٢٥٤٢٩ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولي : 977-6121-47-2 I.S.B.N.

النـــاشـــــر : دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع .

رئيس مجلس الإدارة : د/ هدى الكومي

المدير العام : منى عثمان

مدير التحرير : محمد عبد الرحمن بدوي

مدير التسويق : غادة منصور

مدير العلاقات العامة : مها عبد الفتاح

مدير المبيعات : أحمد مقبل

مدير القسم الفني وتصميم الغلاف : هبة عبد العزيز

عنوان دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع : ٩٥٣ كورنيش النيل – مصر القديمة – بجوار البنك الأهلي القديم – الدور التاسع .

ت : ٢٥٣١٢٣٢١ – ٢٥٣٢٦٧٤٤ – ٠١٢٢٢٤٦٠٦٨٠ –٠١٠٦٦٣١٥٨٤.

Email : darelebdaa@hotmail.com

مقدمة الناشر

يسعد دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع أن تواصل إصدار مؤلفات المفكر الأديب محمد يونس هاشم الذي تلقى دائما مؤلفاته الأدبية ، والسياسية ، والفكرية ، رواجا كبيرا في شتى أنحاء العالم.: العربي والأروبي لما يتميز به من حس أدبي وذوق رفيع في انتقاء كلماته التي تعبر عما يدور في واقعنا بكل أمانة وصدق ، سواء أكان هذا الواقع مريرا أو مشرقا ، كما أنه يتحرى الدقة والحيدة حين يتقصى الحقائق حول أي موضوع يتناوله مما يكون له أثر كبير في محاولة استنباط نتائج تؤدي بدورها إلى علاج الكثير من الآفات التي تضرب بعمق في المجتمع المصري والعالم العربي ، حيث يعكف أولا على تجميع الوثائق والحقائق ويترك للقارئ التوصل إلى النتائج دون تدخل فيها ، لفرض وجهة نظره ، وهذا الأسلوب يترك للقارئ مساحة رحبة لانطلاق فكره ، وإمعان عقله في استنباط النتائج وحلول المشكلات المعضلات التي يعاني منها المجتمع المصرى والمجتمع العربى ،مما دعانا إلى البدء فى ترجمة معظم مؤلفاته إلى اللغة الإنجليزية لكى تسهم فى تصحيح أفكار العالم الغربى عن قيمنا وأفكارنا ومبادئنا وحقوقنا المشروعة وقضيتنا العادلة وبصرف النظر عن اختلافى مع بعض أفكاره حول تلك القضايا المصيرية فأنا أحيية وأشكره من خلال تلك الكلمة على الجهد الدعوب المضنى الذى بذله فى خلال ثلاث سنوات حين طرح علينا الفكرة حتى الآن لإصدار هذا الكتاب الذى تحمست له ، كما أتحمس دائماً لكل كتاباته لما تتميز به من الجرأة والموضوعية والرزانة والأسلوب الرصين والفكر الثاقب فى دراسة أى موضوع يتناوله .

وسنترك للقارئ العزيز معايشة هذه الحقائق من خلال سطور هذا الكتاب الذى يحاول المؤلف من خلاله أن يكون موضوعيا وحياديا فى نظرته وتقييمه لما يجري على أرض لبنان من أحداث على أساس الوثائق التى جمعها من خلال جهد مضن فى تقصى الحقائق وتتبع الأحداث فى جهد دءوب عكف على دراستها وتحرى الدقة

فيها بكل أمانة وحيدة دون التحيز لطرف لبناني على طرف آخر لتكون نبراساً لكل الطوائف اللبنانية والعرب حتى يتلاشوا الأخطاء التى وقعوا فيها من قبل والتى كانت سببا رئيسيا لانشقاق وحدة الصف اللبناني والعربى أيضا .

وأريد هنا أن ألفت نظر العرب والشعب اللبناني إلى ركيزة أساسية يجب أن يتشبثوا بها ، ويسيروا على هديها لتحقيق نصر من عند الله . أنه حين التف الشعب اللبناني بجميع طوائفه تحت راية نصر الله الأمين العام لحزب الله ورجال المقاومة اندحر الإسرائيليين وفروا مذعورين تحت مظلة أمريكية في مجلس الأمن لمنع إراقة ماء وجه الإسرائيليين .

فتحية إعزاز وتقدير لرجال المقاومة اللبنانية ، وللشعب اللبناني الصامد الذي أحيا الأمل في نفوس أبناء الأمة العربية بعد أن كان اليأس قد بدأ يدب داخل الإنسان العربي بسبب الواقع المرير الذي يعيش فيه ، والحقوق المهدرة تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي .

د / هدى الكومى
رئيس مجلس الإدارة
محررة عسكرية بالإعلام العسكرى
عضو إتحاد الناشرين
عضو إتحاد الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

منذ اندلاع الحرب الإسرائيلية / اللبنانية في ١٢ يوليو ٢٠٠٦ وجدل شديد يدور حول هذه الحرب ونتائجها ولأول مرة يحدث في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي أن يختلف العرب حول طرف يحارب إسرائيل بين مؤيد ومعارض فقد كان العرب جميعا يلتفون حول كل من يحارب إسرائيل ولو بالشعارات الجوفاء والخطب العصماء !!

وربما لأول مرة في تاريخ الحروب تنتهي معركة بانتصار طرفيها و إعلان كل طرف أنه قد كسبها وحقق جميع أهدافه منها .وربما لم يختلف حول شخصية من الشخصيات كما اختلف حول شخصية حسن نصر الله مشعل فتيل الحرب فمن قائل أنه سيد المجاهدين وإمام المقاومين ومبعوث العناية الإلهية لتحقيق النصر المبين على أعداء الله اليهود الملاعين . ومن قائل أنه خائن وعميل ولعنة الله على لبنان واللبنانيين ، وبين هذا الرأي وذاك عشرات الآراء الأخرى .

والسبب في هذا الجدل الشديد والاختلاف المبين هو اعتمادنا نحن العرب على العاطفة في الحكم على الأشياء ، وعلى الحدس في دراسة الموضوعات ، والمنهج العاطفي الحدسي (١) يعتمد على العاطفة لا على العقل ، يعتمد على الظن لا على اليقين ، يعتمد على الهوى لا على العلم .

وهذا المنهج أحكامه مطلقة ونهائية وقاطعة ولا تقبل النقاش ولا تعرف الموضوعية ، ولا النسبية ، ولا الرجوع حتى إلى الحق ، ولا تعتمد على الحجج الدامغة ولا البراهين الساطعة لأنها تعتمد على الأهواء والميول الشخصية .

---

[1] – الحَدْسُ: الظَّنُّ، والتَّخْمينُ، والتَّوَهُّمُ في مَعاني الكلامِ والأمُورِ " القاموس المحيط مادة حدس .

وحكم الهوى لا يعرف الوسطية فهو إما أن يحب أو يكره ، وليس ثمة اختيارات أخرى . فإذا أحب شخصا لم ير فيه إلا كل جميل ، ولا يسمع فيه أي نقد أو تجريح ، وإذا كره لا يرى فيمن يكرهه إلا كل قبيح ولا يسمع فيه رأي إنصاف ولا تصحيح .

وليس العيب هو أن يكون للإنسان أهواؤه بالنسبة لمن يصادفه في عالم الأشياء ، فيحب ما يحب ويكره ما يكره ، ولكن العيب كل العيب هو أن نخلط بين الجانبين ذلك الخلط الذي يجيز لنا أن نتحدث عن أوهامنا وأحلامنا ، ثم نظن أننا نتحدث عن أمور الواقع " (١)

وما جرى في لبنان خير شاهد على ذلك فعقب قتل حزب الله لثمانية جنود إسرائيليين وخطف اثنين من خارج الحدود اللبنانية فرحت الجماهير العربية وهللت ووُزعت الحلوى على المارة في لبنان ، وارتفعتْ صور حسن نصر الله إلى عنان السماء حاجبة الشمس عن خصومه والمعترضين عليه وعُدَّت كل محاولة لتدبر الأمر توانٍ وخذلان ، وكل اعتراض انسحاق واستسلام .

وللأسف الشديد إن الذين هللوا ، وتظاهروا تأييدا لما فعله حزب الله يجهلون الكثير عن لبنان ، وعن طوائفها ، وعن علاقة هذه الطوائف بعضها ببعض أو علاقتها بإسرائيل ، وعن علاقة لبنان بالمقاومة الفلسطينية ، وعلاقتها بسوريا ، وعلاقتها بإيران دينيا وسياسيا بل لا يعرفون شيئا عن طبيعة الشخصية اللبنانية .

أما المنهج العلمي التحليلي المنطقي : فيقوم على تحليل الموضوع إلى عناصره الأصلية الأولية ومناقشة كل عنصر مناقشة علمية مبنية على الأدلة الدامغة والبراهين الناصعة ثم استخلاص النتائج النهائية ، ويُجنب في هذا المنهج الهوى ، والظن ، ولا يقوم بذلك إلا أهل الذكر وهم الذين يجمعون بين صحة العقل ، صحة الدين ، يجمعون بين العلم والإيمان . الذين يستخلصون الحق من ركام الباطل ،

---

(١) د. زكي نجيب محمود " ثقافتنا في مواجهة العصر " دار الشروق ص ١٥٨

ويستخرجون الحقيقة من مظانها ، ويلتزمون فيها الإنصاف والاعتدال، والبعدُ عن التعصب لمذهب أو رأيٍ معيَّن، ويتبعون الدليل و يستوعبون الاستدلال للمسألة التي يحققونها حتى ينتهي بهم إلى الحكم الذي يقرِّرونه ويُقتنعَون به .

وقليل منا هؤلاء الذين يستطيعون أن يفصلوا بين الأهواء والحقائق ، قليل هؤلاء الذين يمكن أن نطلق عليهم علماء محققين ينتهجون المنهج العلمي ويخلصون العمل لوجه الله تعالى ، وما أكثر أولئك العاطفيين أصحاب الهوى أو الظن الذين يحدثون الناس بما يهوون أو يتوهمون .

وفي غيبة المنهج العلمي ضاعت الحقائق ، واختلطت المفاهيم ، وأصبح الخونة زعماء خالدين تقام لهم التمثيل في حياتهم ، وتعبد بعد مماتهم ، وأصبح من يواجه الأمة بحقيقة أمرها ، وبسبب ضعفها عميلا خائنا يزج به في السجون والمعتقلات وتصحبه اللعنات عند الممات .

مع أن كل الأمم التي صممت أن ترتقي في مدارج الحضارة الإنسانية قامت بمراجعة نقدية لتاريخها، ووضعت يدها على عيوبها وفضائلها، وأسباب تأخرها وتقدمها، وغربلت عاداتها ومفاهيمها وقيمها ، ونبذت ما يعيقها ويضرها، وأحاطت بالعناية والرعاية ما يفيدها وينفعها .

وهذا ما أحاول القيام به في هذا الكتاب أن أتحرى تاريخ لبنان من البداية للنهاية معتمدا على الحقائق المجردة – ما وسعني إلى ذلك سبيلا – والآراء التي تتفق وهذه الحقائق ، لا تحدوني إلا رغبة واحدة تبصير أمتي بحقيقتها وحقيقة أعدائها ، وأنا أعلم أن ما في هذا الكتاب من حقائق وتحليلات – خاصة ما يتعلق بالحرب الأخيرة التي شنتها إسرائيل على لبنان – لن تكون على هوى كثير من العرب ، لأنها لا تسير على المنطق العربي التقليدي الذي تعود علي خلق معايير عربية خاصة لا يعرفها العالم ولا يرعاها علم من العلوم الإستراتيجية . ذلك المنطق الذي جعل من هزيمة العرب في الخامس من يونيو ١٩٦٧ انتصارا مؤزرا لأن إسرائيل كانت تهدف من وراء الحرب إسقاط نظام الحكم في مصر ، ومادام النظام لم يسقط

فإن ذلك يعد انتصارا ، وإن ضاعت فلسطين ، وسيناء ، والجولان ، والضفة الغربية ،والكرامة العربية !!!

إن هذا المنطق السياسي العربي الذي ختم على قلوب ، وأسماع ، وأبصار العرب غشاوة لم يعد مقبولا وقد أورد الأمة العربية موارد الهلكة ، وأطمع فيها كل طامع ، ونزع من قلوب أعدائهم مهابتهم ، فاستباحوا حماهم ، وانتهكوا حرماتهم .

ذلك لأنهم جسدوا المبادئ في أشخاص ، والأشخاص إن كانوا عظماء فإنهم غير معصومين فما بالك إن كانوا طغاة مغامرين كأغلب زعمائنا .والدول المتقدمة ما تقدمت إلا عندما صار لها برامج مدروسة وضعها علماء متخصصون ومستشارون مخلصون ، ولم تترك الأمور ، للاجتهادات الفردية ، والنزوات الشخصية .

ويعرف الباحثون في العلوم السياسية " الدبلوماسية " بأنها " العقل الذي يمثل قوة الوطن في صلاته بالعالم الخارجي لأنها تجمع بين جنباتها العوامل المختلفة التي تمثل قوة الدولة ، وتحاول استغلال هذه العوامل بمهارة في دعم سلامة الدولة والمحافظة على كيانها ، وذلك بكسب الأصدقاء ، وشل إرادة الأعداء وتفتيتها . ويصل التوفيق الدبلوماسي إلى الذروة عندما ينجح في تحويل الأعداء إلى أصدقاء ، أو على أقل تقدير إلى محايدين " (١)

سنحاول في هذا الكتاب دراسة تاريخ لبنان وطبيعة شخصيته والصراعات الداخلية والخارجية التي تعرض لها أسبابها ونتائجها ، والحرب الحرب الإسرائيلية السادسة

ويتكون الكتاب من أربعة فصول :

الفصل الأول (لبنان تاريخ من الصراع الداخلي والخارجي) وهو مخصص لسرد تاريخ لبنان , وما مر به من صراع خارجي ، وطائفي حتى تم تحرير معظم أراضيه عام ٢٠٠٠ .

---

(١) د. محمد توفيق رمزي " علم السياسة أو مقدمة في أصول الحكم " ص١٧٢ مكتبة النهضة المصرية ط ٢

الفصل الثاني (من الانسحاب الإسرائيلي إلى إعادة الاحتلال) وفيه نعرض للصراع السياسي الذي أعقب انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان ومشكلة سلاح حزب الله ، واغتيال رئيس الوزراء الحريري وانقسام لبنان إلي معسكرين متمايزين بعد اغتياله ، وانسحاب سوريا من لبنان ونتائج الانتخابات البرلمانية اللبنانية ٢٠٠٥ على الخريطة السياسية اللبنانية ، وأسباب الحرب الإسرائيلية السادسة وما جرى فيها ابتداء من إشعال حسن نصر الله فتيلها يوم ١٢ يوليو ٢٠٠٦ وحتى قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ الذي أوقفها .

الفصل الثالث : (نتائج الحرب) : يتناول نتائج الحرب : المكاسب والخسائر على الطرفين اللبناني، والإسرائيلي حسب التقريرات الرسمية ، وكيف انتصر طرفا الحرب بزعمهما ؟ ثم عرضنا الحصاد النهائي للحرب : الأهداف والنتائج لكل طرف من أطراف المعركة بالحقائق والوثائق والتحليل الموضوعي .

الفصل الرابع (موقف الحلفاء من الحرب على لبنان) يتناول نتائج الحرب على حلفاء حزب الله : سوريا وإيران ، وحلفاء إسرائيل : أمريكا وأذنابها ، والموقف الرسمي للدول العربية المعتدلة والموقف الشعبي لهذه الدول .

الباب الخامس : يتناول الشخصية اللبنانية بالدراسة من أجل الوقوف على أهم سماتها ، ودراستها في ضوء علم الطبائع ، وأسباب غياب الرأي العام الموحد في لبنان .

والله أسأل السداد في الرأي واجتناب الزلل والبراءة من حكم الهوى والنفس الأمارة بالسوء .

محمد يونس هاشم
خريف ٢٠٠٧

القاهرة

الفصل الأول

لبنان تاريخ من الصراع

قبل الحديث عن الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان التي شغلت الناس واختلفت حولها الآراء وتفجرت بسببها أزمات من المهم أن نستعرض تاريخ لبنان ، وسكانه ، ونظام الحكم فيه ، وأهم المشاكل التي تواجهه . لأن في بيان ذلك كشف لما يغمض من تفسير ، وبيان لما يستتر من نوايا وأغراض ، لأن آفة العرب عامة – وخاصة الشعوب – هي الانفعال باللحظة الراهنة والحكم عليها في ذاتها دون إمعان النظر في جذورها ، وغض الطرف عن الملابسات التي تحيط بها ، والدوافع الحقيقية التي وراءها . والعقائد الدينية والسياسية التي تحركها .

وما جرى في لبنان خير شاهد على ذلك فعقب إقدام حزب الله على عملية " الوعد الصادق " هللت الجماهير العربية وكبرت ابتهاجا ووُزعت الحلوى على المارة في لبنان احتفالا ، وخرجت المظاهرات تأييدا .

وللأسف الشديد إن الذين هللوا ، وابتهجوا ، واحتفلوا ، وأيدوا يجهلون الكثير عن لبنان ، وعن طوائفها ، وعن علاقة هذه الطوائف بعضها ببعض وعلاقتها بالقوى الإقليمية والقوى الدولية بل لا يعرفون شيئا عن طبيعة الشخصية اللبنانية : تركيبتها ومقوماتها ودوافعها .

لذا كان لزاما علينا – وفقا للمنهج العلمي – أن نعرّف بلبنان وأهم طوائفه ، وأهم المشاكل الداخلية والخارجية التي يعاني منها ، كما نعرّف بطبيعة الشخصية التي تميزه قبل التعرض لمناقشة لحزب الله والحرب الإسرائيلية السادسة .

تاريخ لبنان

لبنان جمهورية صغيرة شرق البحر المتوسط مساحتها (١٠٣٦٠) كم٢ أو ما لا يزيد إلا قليلا عن ١ % من مساحة مصر . دخل لبنان مع سوريا في الإمبراطورية الرومانية ، ثم في الإمبراطورية البيزنطية ، حتى فتحها العرب في القرن السابع الميلادي ، وقعت المنطقة التي يحتلها لبنان تحت سيطرة الصليبيين (القرن ١١-١٣) حتى طردهم المماليك .

خضع لبنان لسيطرة الأتراك العثمانيين ١٥١٦ م وظلوا مسيطرين عليه رغم تمتعه بالحكم الذاتي بموجب بروتوكول ١٨٦٤ وكان لبنان لا ينظر إليه في ذلك الوقت إلا على أنه تلك المنطقة الجبلية الممتدة من أعالي " كسروان " وبعض ما يليها شمالا ، وحتى مرتفعات " الشوف " جنوبا وهو ما يعرف بـ " لبنان الصغير " أما سكان هذه المنطقة الصغيرة فكان يتمثلون في مجموعات من أبناء الطائفتين : المارونية (حوالي ١٦٠ ألف) ، والدرزية (٣٥ ألف) بالإضافة إلى بعض المسلمين الشيعة (١٢ ألف) وظلت لبنان الصغير خاضعا للحكم العثماني حتى عام ١٨٦١ حيث وقعت فتنة طائفية بين الدروز والموارنة وضع على أثرها نظام جديد للحكم في لبنان وقعت عليه فرنسا وبريطانيا وبروسيا وروسيا وتركيا ، وبمقتضى هذا النظام أصبح لبنان " ولاية مستقلة " يحكمها " متصرف " مسيحي يعاونه مجلس إدارة منتخب يضم ١٢ ممثلا عن الطوائف الدينية المختلفة التي تستوطن هذا البلد .

وفي أثناء الحرب الإيطالية التركية ، وصلت السفن الحربية الإيطالية عام ١٩١٢ إلى مقربة من بيروت وأطلقت نيرانها على السفن التركية الراسية في الميناء، مما سمح لفرنسا بالإعلان أن لها مصالح خاصة في سوريا ولبنان وأنها لن تتخلى عن مواقعها التقليدية فيهما ولا عن حقها بالدفاع عن مصالحها ووفقا لاتفاق " سايكس -

بيكو " [1] اقتسمت بريطانيا وفرنسا بلاد الشام والعراق، ووقع لبنان وسوريا تحت الاستعمار الفرنسي. حتى سنة ١٩٢٠ ، وفي سبتمبر ١٩٢٠ أُعلن قيام لبنان الكبير ، وبمقتضى هذا الإعلان ألحقت بلبنان أربع مدن رئيسية هي : بيروت التي أصبحت العاصمة ، و صيدا ، وصور ، و طرابلس . وكلها مدن ساحلية ، كما ضُمت إليه بعض المناطق والقرى الصغيرة الداخلية . وهكذا تضاعفت مساحة لبنان فجأة ، وانضم إليه نحو مائتي ألف نسمة أغلبهم من المسلمين .

وكان زعماء الطائفة المارونية على وجه الخصوص يشيرون إلى هذه الخطوة بقدر كبير من النقد ملوحين بأنها تشكل أحد أسباب اختلال الوضع الديموجرافي الذي كان يمكن أن يظل أكثر بساطة لو أن لبنان بقي بحجمه الصغير من حيث المساحة ، مع استقرار غلبة الأكثرية المسيحية [2]

وفي عام ١٩٢٦ أنشأ الفرنسيون الجمهورية اللبنانية تحت الانتداب ، والتي تعتبر بداية التاريخ الحديث للبنان وانتخب شارل دباس كأول رئيس للبنان .

كسب لبنان استقلاله بمقتضى معاهدة أبرمها مع فرنسا ١٩٣٦ ، على أن تمر فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات . ظل اللبنانيون يكافحون ضد الانتداب الفرنسي حتى نشبت الحرب العالمية الثانية ، وفي أثنائها خضع لبنان فترة قصيرة لحكومة فيشي ، ولكن القوات البريطانية وقوات فرنسا الحرة طهرته من قوات حكومة فيشي عام ١٩٤١. وفي هذا العام أُعلن انتهاء الانتداب الفرنسي واستقلال لبنان وسوريا .

([1]) اتفاقية " سايكس – بيكو " (مايو ١٩١٦) أبرمت بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية ، وتقاسمت فيها بريطانيا وفرنسا الأراضي العربية الواقعة بين إيران والبحر المتوسط . فنالت فرنسا منطقة شملت الجزء الغربي من سوريا ، ونالت بريطانيا منطقة شملت العراق الجنوبي ، بالإضافة إلى ثغري : حيفا وعكا على البحر المتوسط ، وفي الأراضي الواقعة بين المنطقتين ، اتفق الطرفان على أن تنشأ الدولة العربية المقبلة ، بحيث يخضع القسم الشمالي منها لنفوذ فرنسا ، والقسم الجنوبي لنفوذ بريطانيا ،أما فلسطين فاتفق على أن تؤسس بها إدارة دولية .

([2]) محمود أحمد " لبنان انهيار أم انتحار ؟ " مركز الأهرام للترجمة والنشر ط ص ٢٦

وبرغم قيام حكومة وطنية موالية لفرنسا الحرة في لبنان ، فإن السلطات الفرنسية تلكأت في تحويل سلطاتها إليها ، واعتقلت رئيس الجمهورية (بشارة الخوري) ورئيس الوزراء (رياض الصلح) وبعض الوزراء والنواب وعطلت الدستور في نوفمبر ١٩٤٣ وعندئذ أعلن لبنان الثورة فاضطرت السلطة الفرنسية إلى إطلاق سراح المعتقلين ، ونال لبنان استقلاله في ٢٢ ديسمبر ١٩٤٣ ، وتم جلاء القوات البريطانية والفرنسية عن أراضيها في ديسمبر ١٩٤٦ ، وتميز تاريخ لبنان منذ الاستقلال بتقلبات سياسية متكررة وفترات من الاستقرار والتزعزع المتوالية .

أسباب زعزعة الاستقرار في لبنان :

ولعل استعراضنا الموجز لتاريخ لبنان قد كشف لنا مشكلة الشعب اللبناني الذي يتكون من طوائف وعناصر جنسية مختلفة ؛ ذات خصائص وصفات جسمية وعقلية مختلفة ، وتقاليد وعادات مختلفة كذلك ، نتيجة لتأثير ببيئات أوطانهم الأولى التي جاءوا منها في عصور مختلفة ، واختلاف المذاهب الدينية والعَقَديَّة التي يؤمنون بها . فنصف سكان لبنان– تقريبا – مسيحيون مارونيون ، وبقية السكان مسلمون : سنة ، وشيعة ، ودروز .[1]

ويمكن رصد عدة عوامل ساهمت في زعزعة الأمن والاستقرار في لبنان وهي :

١ – الطائفية اللبنانية

من المؤكد أن الأحداث التي تعصف بلبنان منذ منتصف السبعينات قد أثبتت أن الطائفية هي أسوأ الأمراض التي يمكن أن تصيب أي بلد وأي شعب وأكثرها فتكا ، وللأسف أن هذا المرض المزمن قد ولد معه منذ ظهر للوجود في عام ١٩٢٠، وظل ينخر في جسده دون أمل في الحصول على علاج نافع فضلا عن شفاء ناجع

([1]) كان هذا قبل أن يلجا إليها اللاجنون الفلسطينيون ، ثم المقاومة الفلسطينية ، والقوات السورية ، والتي أحدثت تغيرات في المجتمع اللبناني .

ولقد أدرك مؤسسو لبنان المستقل بخطر الوباء الطائفي وبدلا من العمل على علاجه كرسوا له لذلك نجد – وفقا لميثاق عام ١٩٤٣- كرسوا طائفية الرئاسات الثلاث كما يسمونها ، فاتفقوا على أن تكون رئاسة الجمهورية للمسيحيين الموارنة ورئاسة مجلس النواب للمسلمين الشيعة ، ورئاسة الوزارة للمسلمين السنة ، ثم اضطروا بعد وقت قصير إلى اعتماد مبدأ التقسيم الطائفي حتى في الوظائف الكبرى ، الأمر الذي تسبب فيما بعد في الكثير من الحساسيات والمرارة [١]

والطائفية السياسية, في لبنان ليست ممثله في تقسيم الرئاسة فقط رئيس جمهورية ماروني, رئيس وزراء سني, رئيس مجلس نواب شيعي وليست في تقسيم مقاعد البرلمان علي الطوائف ولا الحقائب الوزارية, وإنما تمتد لتصل حتى إلي وظائف الدولة ونسب التمثيل في الجيش وقوي الأمن. [2]

ولم يقتصر الأمر على توزيع السلطة والوظائف على أساس طائفي بل تغلل عميقا للحد أن قُسمت الأحياء والمناطق على أساس طائفي شبه مطلق ولم تستثن من هذا التقسيم العاصمة بيروت فقد تجزأت إلى أحياء لكل طائفة حي !!

لقد أصبحت كل طائفة تعيش في حدود منطقة من لبنان ، فاحتلت طائفة المسلمين الشيعة غالبية الجنوب امتدادا من الساحل حتى البقاع الغربي وجزء مهم من وادي البقاع ، فضلا عن ضاحية بيروت الجنوبية ، وسيطرت طائفة المسلمين الدروز على جبال الشوف ، واستقلت طائفة المسيحيين الموارنة بالشط الشرقي من العاصمة بالإضافة إلى كسروان ومعظم إقليمي المتن : جبله وساحله ، والتحق بهم الكثير من أبناء الأقليات المسيحية الأخرى ، أما طائفة المسلمين السنة فتمركزوا في المدن الساحلية الثلاث وهي : بيروت الغربية ، وطرابلس ، وصيدا .[٣]

---

(1) محمود أحمد " لبنان انهيار أم انتحار ؟ " مركز الأهرام للترجمة والنشر ط ١ ص ٤٦ .

(2) محمود عبد الوهاب " الوجود السوري في لبنان كرة نار تلعب بهـا المعارضـة اللبنانيـة " جريـدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ٢ / ٢٠٠٥

(3) محمود أحمد " لبنان انهيار أم انتحار ؟ " مركز الأهرام للترجمة والنشر ط ١ ص ٧١ ، ٧٢

وربما ساعد على هذا التقسيم الطائفي لبقاع لبنان أن زعماء كل طائفة وجدوا استمرار هذا الوضع ملائما لتحقيق مصالحهم الخاصة ، نظرا لاعتمادهم على أصوات أبناء طوائفهم للوصول إلى مقاعد البرلمان ، والمضي بالتالي في الطريق التقليدي الذي يفتح له أبواب المستقبل السياسي ، فإن مصلحة كل رجل سياسي تقضي بأن ينطلق في سعيه إلى السلطة من طائفته أولاً ، وأن رفض زعيم سياسي معين من قِبَل طائفته يعني نهاية حياته السياسية . (١)

وأخطر ما في الطائفية اللبنانية أن اللبناني عموما – إلى أي طائفة انتمى – كان أقل ولاءً لوطنه منه لطائفته وزعمائه الروحانيين والسياسيين ، وهذا ما يؤكده د. عدنان حب الله أستاذ علم النفس اللبناني الذي يصرح بأن : " علاقة اللبناني بالسلطة الشرعية العليا مناقضة لعلاقته بالسلطة الإقليمية لطائفته أو جماعته .. فخلافا للأولى هو يرضى ويذعن للثانية (طائفته) ويحترمها احتراما كليا .. يحب قائده ويأتمر بأمره ويعمل حسب إرشاده وطوع إرادته .. حتى أنه لا يتورع دون التضحية بغية الحفاظ على هذا الكيان الجماعي ، دينيا كان أم سياسيا ، وهو يرتضي من حكم طائفته ما يرتضي ، ويتحداه إذا صدر من السلطة العليا (أي الدولة) .. إن وضع المواطن اللبناني حيال مفهوم السلطة والقانون يتلخص في موقفين متعارضين :

الأول : التحايل على السلطة العليا ، ثم استغلالها لتحقيق مآربه الطائفية أو الفردية ، وتجاهله للوجدان الاجتماعي .

الثاني : احترام ومحبة ، وحتى تقديس رئيس طائفته أو جماعته والإذعان لسلطته والحفاظ على مصالحه . (٢)

الشعب اللبناني ينتمي إلي طوائفه أكثر من بلده وكل تيار يقف يدافع عن طائفته أولا لأنها ترعي أولاده في مدارس الطائفة وجامعاتها وتعالجها في مستشفياتها

---

(1) نفسه ص ٤٧ .

(2) د. عدنان حب الله من مقال " واقعنا اللبناني الصاخب " صحيفة النهار اللبنانية ١٦/ ٥/ ١٩٧٥ .

وتغدق عليه اجتماعيا علي كل مسار, غير أن كل طائفة لها خريطة تعليمية مختلفة عن الأخرى [1]

على أن أفدح ما أصيبت به لبنان من جراء الطائفية هو امتداد هذه الطائفية إلى الجيش اللبناني **والمعروف إن الجيش اللبناني (بتنظيمه وتسليحه) ليس بقادر علي الاضطلاع بمسئوليه الدفاع والرد علي العدوان الإسرائيلي المتكرر وقديما وصف أحدهم أفراد الجيش اللبناني بأنهم ليسوا أكثر من أمناء شرطة يقفون بجوار إشارات المرور !. "** [2]

ويقول إلياس حنا الجنرال السابق بالجيش اللبناني "**الجيش انعكاس للمجتمع**". ويتابع "في هذا الجيش لديك مسلمون، و٦٠% إلى ٧٠% من هؤلاء المسلمين من الشيعة. كيف يمكن أن يتجه جندي شيعي لنزع سلاح شيعي آخر يعتقد أنه له الحق في مقاومة إسرائيل ؟ ". [3]

فجرثومة الطائفية اللعينة التي كان يجب تحصين المؤسسة العسكرية ضدها لكي تبقى هي المؤسسة الوطنية الصلبة والذراع القوية القادرة للسلطة الشرعية ، ولكن المؤسف أن ذلك لم يحدث ، وإنما تغلغلت الطائفية في الجيش عندما فرض مبدأ أن يكون قائد الجيش مارونيا ،وعندما بنيت " تركيبة " الجيش على أساس طائفي أيضا فأصبح لواء ماروني وآخر شيعي .. وهكذا رغم هذه التركيبة لم تكن مقننة طبقا لقاعدة موضوعة ومعروفة . وبسبب هذه التركيبة الطائفية للجيش ، فإن انعدام الثقة فيه من جانب قسم كبير من اللبنانيين – أو انعدام الثقة في قيادته على الأقل – قد حال دون إمكان استخدامه في إطفاء نار الفتنة ، ورغم تعاظم المأساة اللبنانية عام وراء عام واستفحال الخطر الذي كان الجميع يدرك أن استمراره سيأتي في النهاية على كل شيء .. بما في ذلك الجيش والشعب والوطن ذاته . [4]

([1]) خالد الأصمعي " أطماع الطوائف تنذر بكارثة " جريدة الأهرام ٢٦ / ٩ / ٢٠٠٦

([2]) د. سعيد اللاوندي " نزع سلاح حزب الله.. مغالطات وتبريرات! " جريدة الأهرام ٢١ / ٨ / ٢٠٠٦

(3) نقلا عن وكالة الأنباء BBC بتاريخ ١٩ يوليو ٢٠٠٦

([4])حسن محمد جوهر " لبنان ، أرضها وتاريخها وحياة شعبها " ص ١٠٢

يقول السيد محمد حسين فضل الله (1) " إن النظام الطائفي والذهنية الطائفية والرموز الطائفية، هي سبب سقوط لبنان .(2)

وفي الجلسة الأولى التي عقدتها " هيئة الحوار الوطني " في ٢٥ / ٩ / ١٩٧٥ دعا أحد أعضاء الهيئة وهو السيد " عبد الله اليافي " رئيس الوزراء الأسبق ، إلى المصارحة و" ألا يغش بعضنا بعضا " وفي إطار هذه المصارحة ذكر اليافي أن " النظام القائم حاليا هو نظام ديني ، وهذا لا يجوز أن يستمر مع الزمن . والصلاحيات التي يتمتع بها رئيس الدولة (الماروني) لا يتمتع بها أي رئيس في العالم ، وهو غير مسئول (سواء مسئولية برلمانية أو غيرها) : والطائفية السياسية نحن نطالب بإلغائها فكثيرا ما تحول الطائفية دون أصحاب الكفاءات لأنهم من طوائف معينة ، وإذا أردتم من المسلمين أن يتمسكوا بلبنان بكليتهم فالسبيل إلى ذلك المساواة على أساس العلم والكفاءة وليس على أساس الاعتبار الطائفي " (٣)

٢- العمل لحساب الآخر الذي يدفع الثمن

إن أخطر ما ابتليت به القيادات اللبنانية - معظمها - هو ميلها أو **استعدادها للعمل لحساب الآخر الذي يدفع الثمن** ، وربما كان ذلك نابعا ، في البداية من إحساس - أو توهم - اللبناني بأنه الأمهر والأكثر ذكاء لذا فهو قادر على خداع الآخرين " والضحك عليهم " ثم تجريدهم من أموالهم ، وخلال الستينات من القرن الماضي لاحت أمام هؤلاء فرص ضاعفت لديهم هذا الشعور فتضخمت الأطماع والشهوات في الإثراء السريع وانتهاز الفرص التي غذَّاها احتدام الخلافات العربية الأمر الذي لا جدال في أنه وفَّر للبنان - أو على الأصح للطبقات والشرائح العليا فيه - الكثير من أسباب الازدهار والرواج . فكما انتعشت المصايف بتدفق السياح العرب الذين ارتاحوا إلى هذا المتنفس الذي يجمع بين مزايا الشرق والغرب ،

---

(1) يصف الكثيرون السيد محمد حسين فضل الله بالمرشد الروحي لحزب الله .

(2) مجلة "الصياد" مايو ٢٠٠٥ محاورته ـــ مريم شقير أبو جودة .

(3) نقلا عن محمود أحمد " لبنان انهيار أم انتحار ؟ " مركز الأهرام للترجمة والنشر ط ١ ص ٤٩

ازدهرت أيضا الصحافة اللبنانية التي عرفت كيف توزع الأدوار للاستفادة من جميع الأطراف كما راجت أسواق التجارة والمال بالإبداعات العربية ، ولكن الأغرب من هذا كله ، ما كان يعرفه القاصي والداني عن " ولاءات " لأعضاء في مجلس النواب اللبناني لبعض الدول العربية والأجنبية وبالطبع فإن من بين هؤلاء من كان يتولى منصب الوزارة – أو حتى رئاسة الحكومة – بين الحين والآخر .

وشيئا فشيئا أصبح **البحث عن أطراف مستعدة للدفع – أو الدعم – مقابل ما يؤدي من خدمات " تخصصا لبنانيا " كان من شأنه أن يجلب على لبنان ويلات بلا حصر فيما بعد** ، وليس هناك من يجادل في أن الكثيرين من اللبنانيين قد اندفعوا في تيار العمالة الخارجية فكان منهم من يعمل لحساب السوفييت أو الأمريكيين أو الإسرائيليين أو الفرنسيين أو حتى الألمان بالإضافة إلى من كانوا يعملون – و علناً في أحيان كثيرة – لحساب السوريين أو الإيرانيين أو الأردنيين أو العراقيين أو الليبيين أو الفلسطينيين بالطبع الذين ذهبوا إلى حد تشكيل منظمات بأكملها لحسابهم ، والغريب أنه كلما كانت رياح الحرب الأهلية تشتد كان المتحاربون ينغمسون أكثر فأكثر في " الارتباط بالخارج " محاولين تبرير ذلك من منطلقات " وطنية " وأخذ كل طرف يكيل للآخر الاتهامات بأنه عميل هذه الجهة أو تلك ، وهي اتهامات كان لها أساس في معظم الأحوال .

وللأسف فإن هذا الاتجاه ظل يزداد نموا عاما وراء عام بينما لبنان يغوص أكثر فأكثر في المستنقع ،والتفسخ مستمر إلى حد يدفع إلى اليأس .

ومن الواضح أن الاستعداد للعمل لحساب الجهات الخارجية لا يمكن الدفاع عنه في أغلب الأحيان بأنه اضطراري أو بأنه يتم على أساس مبدئي أو بدافع وطني أو حتى تسليما لمقتضيات اللعبة السياسية فقد يصدق ذلك في أي مكان إلا في لبنان الذي بلغ حجم التعامل مع الخارج مدى مدهشا ومؤسفا بدون وجود " ضرورة " وبغير مبادئ وفي غياب الدوافع الوطنية الحقيقية – أي التي تراعي مصلحة الوطن أولا وأخيرا – في أغلب الأحوال ولعلنا . فاتصال حزب الكتائب

ومن ورائه " الجبهة اللبنانية " التي كانت تضم تجمع الزعماء الموارنة اليمينيين ، بسوريا كان يعد من وجهة نظر هؤلاء ضرورة وطنية في عام ١٩٧٦ عندما خاضت سوريا " حرب الجبل " ضد القوات المشتركة من المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية خصوم الكتائب في ذلك الوقت ثم عاد الكتائبيون فاعتبروا أن اتصال خصومهم بهذا الطرف نفسه - أي بسوريا - عمالة وخيانة تؤدي إلى " التمدد العسكري الغريب على أرض لبنان " **وتبرر لهم تماما الاستعانة بإسرائيل للتصدي لكل هؤلاء مجتمعين وهو ما مهد فعليا للغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ والذي كانت ميليشيات الكتائب خلاله خير عون للغزاة .**

ولكن إذا أمكن لرجل مثل بشير الجميل قائد ميلشيات الكتائب - الذي وصل به طموحه إلى حد أنه انتُخب فعلا رئيسا للجمهورية في أعقاب الغزو الإسرائيلي وبمساندته وإن كان قد قُتِل قبل تسلمه مهام منصبه - إذا أمكن لبشير الجميل هذا أن يجد الجرأة في الدفاع عن علاقته المباشرة بإسرائيل واستدعائها كطرف يستخدمه ضد بعض وطنه ومواطنيه على أساس أن ذلك كان " من أجل لبنان " فكيف يمكن أن يبرر أنصاره الآن بعد موته ما كشفته عنه اعترافات وليام كايسي المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية من أن بشير الجميل كان قد جُنِّد قبل اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية كعميل للمخابرات الأمريكية التي أمدت ميلشياته فيما بعد بمساعدات بلغت قيمتها عشرة ملايين دولار [1] كذلك فإن المرء ليحتار كيف يمكنه أن يعثر على رابطة - غير المصلحة الفردية التي تعلو على مصلحة الوطن - يمكن أن تدفع بذلك السياسي اللبناني المسيحي إلى أن يغطي إنتاج أسلحة كيماوية للعراق تحت ستار تكوين شركة لاستيراد الأدوية الألمانية بينما الحريق لا يزال مشتعلا في بلده وبينما الخراب والدمار يتمادى طوال ١٢ عاما ويزيد من تفاقم المشكلة اللبنانية المزمنة والتي تبدو بلا حل .

---

(1) الصنداي تايمز البريطانية - ٢٧ / ٩ / ١٩٨٧ .

لعل من أكثر الظواهر غرابة وإثارة للحيرة في لبنان ما قبل الحرب الأهلية أن " الانفلات " في هذا البلد المنكود كان هو القاعدة بينما كان " الانضباط " هو الاستثناء ضاعت الحدود بين الحرية والفوضى بين " الشطارة " و " الخيانة " بين " الربح " و " الجشع " الذي لا يبالي ولا يراعي مصلحة الوطن فإذا باللبنانيين أنفسهم يصبحون هم أول من يستبيح هذا الوطن فاتحين الطريق بذلك أمام الآخرين لانتهاز هذه الحالة الفريدة من التسيب في بلد وفي منطقة ذات أهمية إستراتيجية مؤكدة ، وكانت النتيجة أن بيروت لم تتحول فقط إلى وكر للجواسيس من كل بلاد الدنيا ، وإنما أصبحت مكانا " موبوءاً " بكل معنى الكلمة ، وساحة لتدبير المكائد والمؤامرات من كل نوع ، وسوقا لعقد الصفقات البريئة والمشبوهة على السواء والتي تبدأ بالسياسة وتجارة السلاح ، ولا تنهي عند المخدرات والرقيق الأبيض .

إن اللبنانيين هم المسئول الأول عن معظم ما جرى لبلادهم ، نتيجة للتهاون والاستهتار واللامبالاة التي تعاملوا بها مع هذه الظواهر الخطرة ، مهما قيل عن حجم المؤامرة الخارجية فهذا الذي جرى ، ومهما كانت هذه الحقيقة مُرَّة بل و " مهينة " لكثير من اللبنانيين من ذوي النفوس الأبية والذين كانوا يتمنون لو أن الحقيقة كانت غير ذلك ، أو أنها لم تكن بهذه الدرجة من القسوة على الأقل . [1]

ويؤكد السيد محمد حسين فضل الله على بيان هذا المرض اللبناني العضال وهو العمل لحساب الآخر الذي يدفع الثمن فيقول : " لبنان في كل تاريخه لم يُحكم ولا يُحكم لبنانياً، وإنما يُحكم من الخارج، والخارج يحاول أن يحرك المسائل السياسية حسب المصالح الإقليمية المنفتحة على المصالح الدولية .

منذ كان الاستقلال، كنا نرى الصراع الفرنسي ــ البريطاني، الذي تحرك منذ البداية ليكون فرنسياً، من خلال الرؤساء رياض الصلح وبشارة الخوري وكميل شمعون، رجال الاستقلال الأول، وانطلق بعد ذلك ليكون بريطانياً، ثم في عهد

([1]) انظر الفصل الأول " الصدمة " من كتاب محمود أحمد " لبنان انهيار أم انتحار ؟ " مركز الأهرام للترجمة والنشر ط ١ ص ٧١ ، ٧٢

الرئيسين فؤاد شهاب وجمال عبد الناصر، صار أمريكياً، وهكذا دخلنا الحرب الباردة، ثم كانت المسألة الإسرائيلية. والحرب اللبنانية كانت حرب هنري كيسنجر، الذي أراد أن يسقط القضية الفلسطينية في لبنان، ويسقط البندقية الفلسطينية لصالح إسرائيل، ثم يخرج هذه البندقية، وهكذا كان. وحين انتهت المهمة الأمريكية بإبعاد البندقية الفلسطينية، وُقِّع اتفاق الطائف الذي هو اتفاق أمريكي بعقال عربي وطربوش لبناني .

والقضية كما ذكرت سابقاً، أن لبنان بحسب تاريخه لا يُحكم من خلال أبنائه ومواطنيه، إنما يحكم من الخارج، وهكذا رأينا بعد كل الشعارات الفضفاضة: السيادة والاستقلال والحرية، رأينا كيف أن الحكومة لم تؤسّس إلا من خلال خلفية فرنسية تختفي وراءها الخلفية الأمريكية، لتنضم إليها الخلفية السعودية والسورية، وليس للّبنانيين إلا أن يتقبّلوا ما يُراد لهم أن يفعلوه. وهذا هو قضاء السياسة وقدرها في لبنان.(1) .

٣- مشكلة المقاومة الفلسطينية في لبنان

وبالإضافة إلى الطائفية اللبنانية ، والعمل لحساب الآخر الذي يدفع الثمن تأتي المقاومة الفلسطينية كسبب ثالث من أسباب زعزعة الأمن والاستقرار في لبنان ، وربما كانت مشكلة المقاومة الفلسطينية جاءت نتيجة للسببين الأولين فبعد خروج المقاومة من الأردن بعد أيلول الأسود لم تكن أية دولة من دول المواجهة مع إسرائيل (2) على استعداد أن تستقبل المقاومة الفلسطينية على أرضها وتتحمل تبعات ذلك فمصر بعد انتصارها على إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣ عملت على استثمار هذا الانتصار في عقد معاهدة سلام تسترد بها بقية أرضها المحتلة ، أما سوريا التي عجزت عن أن تحقيق أي انتصار على إسرائيل فقد صار موقفها في التفاوض مع

---

(1) مجلة "الصياد" مايو ٢٠٠٥ محاورته ـــ مريم شقير أبو جودة .

(2) دول المواجهة هي تلك الدول التي لها حدود مشتركة مع إسرائيل وهي : مصر وسوريا والأردن ولبنان .

إسرائيل لتحرير الجولان المحتل ضعيفا ، كما أن النظام الحاكم في سوريا يسيطر عليه وهم العجز على مواجهة إسرائيل منفردا – بعد اتجاه مصر ناحية السلام مع إسرائيل – وهو الذي فشل في تحقيق الانتصار على إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣ رغم تحالفه مع مصر في هذه الحرب . لذا حرصت سوريا على ألا تدخل في مواجهة مباشرة مع إسرائيل ، ووجود المقاومة الفلسطينية على أرضها ، وشنها هجمات على إسرائيل من شأنه أن يجعل سوريا عرضة لمواجهة عسكرية مع إسرائيل وهو مالا تريده بل وتخشاه ، لذا لم يبق إلا لبنان البلد الضعيف الذي لا يملك حق الاعتراض حتى على ما يجري على أرضه فلبنان كما صرح السيد محمد حسين فضل الله – بحق – " في كل تاريخه لم يُحكم ولا يُحكم لبنانياً، وإنما يُحكم من الخارج " وبدخول المقاومة الفلسطينية أرض لبنان سنة ١٩٧١ ازدادت مشاكله وتراكمت حتى تفجرت الحرب الأهلية .

وقبل الحديث عن الحرب الأهلية وأسبابها سوف نعرض لأهم أسباب الصراع .

أسباب الصراع الخارجي والداخلي

للصراع الخارجي والداخلي أسباب كثيرة أهمها :

١- الظاهرة الاستعمارية .

كان الصراع على الأسواق ومصادر المواد الأولية سببا في نشوء الظاهرة الاستعمارية ، حيث انخرطت الدول الاستعمارية في قتال مرير – فيما بينها – للحصول على المواد الأولية لإدارة دواليب مصانعها ، وتشغيل عمالتها ، ورفع مستوى المعيشة لشعوبها كما تصارعت هذه الشعوب فيما بينها على الأسواق الخارجية كيما تصدر إليها فائض سلعها ورءوس أموالها .

٢- الصراع الاقتصادي والاجتماعي .

ويعود الصراع الاقتصادي والاجتماعي إلى ازدياد الفوارق الاجتماعية بين الطبقات ، بسبب البطالة ، وارتفاع الأسعار ، وعدم ارتفاع الأجور والمرتبات

بنفس النسبة " إن الغبن الاجتماعي وعدم تكافؤ الفرص في العمل أو المشاركة السياسية ، والتنافر القومي والديني في المجتمعات التي تتعدد فيها الأعراق والديانات والصراعات الحزبية والثقافية (التجديد في مواجهة قداسة التراث) كلها مفجرات للصراع الاجتماعي " [1]

٣- الصراع الديني العقائدي .

وهو ما يقوم فيه أصحاب دين بمعاداة لدين آخر ومحاولة طمسه ورد أصحابه عنه كما حدث في عصر الشهداء إبان الإمبراطورية الرومانية ، وفي محاكم التفتيش في أسبانيا في بداية عصر النهضة الأوربية !! وفي البوسنة والهرسك في أواخر القرن العشرين ، ولا تعد الفتوحات الإسلامية من هذا النوع من الصراع فهي حروب تحريرية تهدف على تحرير الشعوب من طغيان الاستعمار الفارسي والروماني ، وكفالة حريتهم في اختيار ما يعتقدون فلا إكراه في الدين . كذلك لا تعد الحروب الصليبية في العصور الوسطى حروبا دينية إنما هي حروب استعمارية اتخذت الدين ذريعة للاستيلاء على خيرات الشرق المسلم بغير حق .

٤- الصراع الأيديولوجي .

وتبدو التفرقة بين الصراع الإيديولوجي ، والصراع الثقافي دقيقة للغاية حيث إن " الثقافة " بمفهومها الواسع تشمل العديد من القيم والمبادئ أما " الأيديولوجية " فهي تتضمن مجموعة من القيم والمبادئ السياسية أكثر تحديدا ووضوحا ومنهجية ، وأهم الأيديولوجيات التي شهدها العالم في العصر الحديث هي :

أ- الماركسية – اللينينية (التي دانت بها الدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية قبل انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩) .

ب- الديمقراطية الليبرالية (التي دانت بها دول أوربا الغربية وأمريكا في بعض تاريخها الحديث) .

---

[1] د. عباس رشدي العماري " إدارة الأزمات في عالم متغير " الأهرام للترجمة والنشر ط١ ص ١٥

ج- الصهيونية (التي دان بها كثير من القوى السياسية في إنجلترا ، وفرنسا في أعقاب الثورة الصناعية ، وفي أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية .

د- القومية العربية (التي قاد ثورتها الشريف حسين أمير مكة في أوائل القرن العشرين ودان بها جمال عبد الناصر في الخمسينات والستينات من نفس القرن) .

هـ- الإسلام السياسي (الذي دانت به جماعات إسلامية كثيرة ابتداءً من جماعة الإخوان المسلمين وانتهاء بحركة حماس مرورا بحركة طالبان ، وتنظيم القاعدة ..)

ز- ولاية الفقيه (التي دانت بها إيران منذ الثورة الإسلامية ، والحركات والأحزاب الشيعية كحزب الله في لبنان وجيش المهدي في العراق) .

و يمكن أن نعتبر هذه المذاهب والاعتقادات من قبيل الأيديولوجيات الفاعلة ذات التأثير الكبير على الأقل في أوطانها .

وتبدو الأهمية العملية للتفرقة بين هذه الأيديولوجيات كدافع محرك للسلوك ، في أنها تقدم لنا نمطين مختلفين من السلوك : سلوك معرفي ثقافي سلمي ، وسلوك تبشيري عقائدي دموي . والأول يكتفي بنشر أفكاره ومعتقداته بالحكمة وموعظة الحسنة ولا يلجأ إلى استخدام العنف في فرض أيديولوجيته على حلفائه أو أعدائه .

أما الثاني فيلجأ إلى العنف وأحيانا إلى الحرب في فرض أيديولوجيته .

وتعد جميع الأيديولوجيات التي ذكرناه من النوع الثاني حتى التيار الديمقراطي الليبرالي الذي كان يتسم بالتبشير الثقافي السلمي تحول على يد أمريكا وحلفائها إلى سلوك تبشيري عقائدي دموي فلقد كانت حجة التدخل المسلح لأمريكا في العراق وأفغانستان هي نشر الديمقراطية ومحاربة الإرهاب والنظم الاستبدادية !!

وإذا كانت الحروب الكبرى منذ فجر التاريخ وحتى القرن العشرين الغالب عليها إما استعمارية أو تحريرية فإن الحروب الأيديولوجية قد حلت محل الحروب الاستعمارية غالبا .

فصراع الدول الرأسمالية والدول الشيوعية صراع أيديولوجي ، والصراع الغربي الصهيوني والعربي الإسلامي صراع أيديولوجي ، والصراع الإيراني الشيعي والعربي السني صراع إيديولوجي ، والصراع السياسي المتأسلم (الإرهابي) و العالم صراع أيديولوجي . وحتى الحرب الأخيرة إسرائيل وحزب الله سببها أيديولوجي كما سنبين .

ولا أعلم بلدا تعرض لشتى أنواع الصراع مثل لبنان فقد تعرض لبنان للصراع الاستعماري من قِبَل انجلترا وفرنسا وإسرائيل ، كما تعرض للصراع الديني العقدي الذي انطلقت شرارته الأولى في عام ١٨٤١ ، وأزكتها أزمة لبنان عام ١٩٥٨وبلغ ذروته عامي ١٩٧٥- ١٩٧٦ . كما تعرض للصراع الاجتماعي الاقتصادي منذ عام ١٨٦١ حيث أصبح لبنان " ولاية مستقلة " غالبيتها من الطائفة المسيحية التي تتمتع برغد في العيش واستئثار بالحكم ، وأقلية مسلمة محرومة منهما .إن الفئات المحرومة والفقيرة تنزع إلى الكفاح أكثر مما تنزع إليه الفئات الغنية والميسورة . " ويمكن الاعتراف بأن الشعب الفقير المعتاد على الأعمال الشاقة والحرمان يظهر عموماً مزيداً من البأس والشدة والنزعة الحربية ، وهذا ما يفسر لنا كثرة الصراعات والحروب التي يقوم بها الجنوب المحروم . كما تعرض للصراع الصهيوني غير المباشر منذ قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ والمباشر منذ دخول المقاومة الفلسطينية أرض لبنان ١٩٧١ وحتى اليوم ، كما تعرض لجميع الصراعات الأيديولوجية ليبرالية وشيوعية وقومية ووصلت قمة الصراعات في الأزمة اللبنانية في عام ١٩٥٨ (١) فقد اتفقت تصورات إيزنهاور ودالاس أن نظاما فريدا في صداقته للولايات المتحدة (نظام كميل شمعون) يتعرض لمؤامرة شيوعية تستخدم جمال عبد الناصر كمخلب قط لتحقيق أهدافها

(١) كانت الأزمة اللبنانية في عام ١٩٥٨ التي أ ثارت موجة من الاضطرابات الحادة التي وصلت في منتصف عام ١٩٥٨ وهي الموجة التي أطلق مدها مصرع نسيب المتنبي أحد الصحفيين اللبنانيين المعارضين لحكومة كميل شمعون يوم ٨ مايو ١٩٥٨ مما أشعل فتيل الحرب الأهلية في لبنان انظر كتاب " إدارة الأزمات في عالم متغير " د. عباس رشدي ص ١٦٣ .

التخريبية ، ووقر في ذهن أيزنهاور أن عبد الناصر يحاول أن يستفيد من اللعب على الانقسامات اللبنانية سواء لمصلحة السوفيت أو لإشباع طموحاته الشخصية الرامية إلى إخضاع النظم العربية لإرادته وانضوائها تحت حكمه مستخدما شعار القومية العربية للوصول إلى أهدافه . (1)

ولقد تعرض لبنان لصراع أيديولوجية ولاية الفقيه فمنذ نجاح الثورة الإسلامية في إيران وهي تسعى لتصدير هذه الثورة إلى البلاد العربية خاصة ذات الأعداد الشيعية الكبيرة ، ولقد نجحت إيران في إخضاع شيعة لبنان (حركة أمل ، وحزب الله) للعمل على تنفيذ أجندتها وفرض أيديولوجيتها على بقية الطوائف الأخرى .

ونظرا لتعرض لبنان لشتى أنواع الصراعات الداخلية والخارجية فإن الفتنة تسكن أرض لبنان لا تغادره ، تنام أحيانا لكنها لا تعدم من يوقظها ، وتعد الحرب الأهلية التي استفحل خطبها واندلع لهيبها في منتصف السبعينات هي الفتنة الكبرى فقد كانت أشد الفتن خطرا ، وأبعدها أثرا على لبنان بل على المنطقة بأثرها .

أسباب الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥- ١٩٩٠)

الحرب الأهلية اللبنانية هي حرب دموية وصراع معقد استمر في لبنان بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٩٠ م ، وتعود جذورها لصراعات دينية وسياسية واجتماعية .

أولا : الصراعات الدينية .

الصراع الديني في لبنان تمتد جذوره إلى القرن التاسع عشر حيث وقعت مجازر بين المسلمين الدروز ، والمسيحيين الموارنة في الجبل في أواسط القرن التاسع عشر ، وعلى موجتين من الحروب الطائفية كانت أولاهما سنة ١٨٤١ الأخرى في عام ١٨٦٠ .

---

(1) انظر الأزمة اللبنانية عام ١٩٥٨ د. عباس رشدي " إدارة الأزمات في عـــالم متغيـــر " ص ١٦٣- ١٦٥

البعض يظن أن اقتتال هذه الطوائف إنما هو سلوك " متخلف " يعود إلى عقلية القرون الغابرة ، أو نتيجة المؤامرات التي تحركها المصالح الاستعمارية ، والحقيقة أن حصول لبنان على استقلاله عام ١٩٤٣، وأخذه بالنظام الديمقراطي البرلماني ، وإقرار الطوائف الرئيسية صيغة " التعايش " الإسلامي المسيحي كل هذا لم يكن كافيا لأن يزيل احتمالات الفوران الطائفي فما كاد عام ١٩٥٨ يأتي وأثناء رئاسة كميل شمعون (١) حتى تجددت الأحداث الطائفية مرة أخرى مؤكدة أن جمر الطائفة لا يزال حيا تحت الرماد ، وفي منتصف السبعينات من القرن العشرين عادت الفتنة الطائفية جَذَعة ولم تنطفئ جذوتها حتى اليوم وأن تسترت أحيانا تحت عباءة الصراع السياسي الفضفاضة .

ثانيا : الصراعات الاجتماعية .

من الثابت تاريخيا أن تمتع المسيحيين الموارنة في لبنان بـــ " امتيازات خاصة " يعود إلى منتصف القرن التاسع عشر ، وبالتحديد إلى عام ١٨٦١ ، في أعقاب المذابح التي جرت في جبل لبنان والتي راح ضحيتها عشرات الألوف من أبناء الطائفتين المارونية والدرزية . في ذلك الوقت تم تقسيم جبل لبنان إلى قسمين : أحدهما شمالي " طريق الشام " المؤدي إلى دمشق ، وكانت غالبية سكانه من الموارنة ، والآخر جنوبي ذلك الطريق وتسكنه غالبية من الدروز وبعض الشيعة ، وكان وقوع المذابح قد أدى على تدخل فرنسا عسكريا بدعوى حماية الموارنة ، وانتهى ذلك التدخل بإنشاء " متصرفة " للموارنة في عام ١٨٦٤ تتمتع باستقلال ذاتي وتبسط نفوذها على غالبية أراضي الجبل (التي كان يطلق عليها لبنان الصغير) وإنشاء المتصرفة أتاح لعدد من كبار شخصيات الموارنة تولي وظائف عادت عليهم بدخول لا بأس بها مما أدى ظهور طبقة من الوجهاء وهي طبقة

---

(١) في ١٩٥٨ حدث تمرد على سياسة الارتماء في أحضان الغرب التي كـــان ينتهجهـــا آنـــذاك رئـــيس الجمهورية (كميل شمعون) وأعوانه ، فقام باستدعاء القوات الأمريكية إلى لبنان ، ثم انتخب فؤاد شهاب (١٩٥٨) رئيسا للجمهورية ، وانسحبت من لبنان القوات الأمريكية

تميزت بمسحة فرنسية واضحة كان لها نصيب الأسد من رءوس الأموال الفرنسية التي كانت قد بدأت تفد إلى هذه المنطقة منذ حوالي ١٨٤٠ بهدف استثمارها محليا في صناعة وتجارة الحرير، كما تمكنت فرنسا بنفوذها من ترتب لسكان هذه المتصرفة أوضاعا أعفوا بموجبها من التجنيد الإلزامي الذي كان مطبقا في كل أنحاء الدولة العثمانية – التي كانت لبنان تعيش في إطارها – فضلا عن إعفائهم من كثير من أنواع الضرائب الباهظة التي كان يعاني منها جيرانهم . كانت تلك الظروف مجتمعة قد أدت إلى خلق طبقة برجوازية مارونية تتمتع بامتيازات سياسية واقتصادية خاصة .

على أنه لم يكن ممكنا أن يستمر هذا الوضع المتميز بعد إنشاء " لبنان الكبير " عام ١٩٢٠ ، وإنما كان المفترض والمنطقي أن يسود نوع من المساواة بين أبناء الوطن الواحد خاصة بعد وضع دستور للبنان الكبير في عام ١٩٢٦ ، ولكن الذي حدث أن أصحاب الامتيازات القديمة – أبناء الطائفة المارونية – ظلوا يتشبثون بامتيازاتهم بل وبدءوا يخوضون صراعا لم يقدر له أن يهدأ من أجل تأكيد تلك الامتيازات وتدعيمها بدعوى أن في ذلك ضمانا لهم ضد الذوبان في البحر الإسلامي الذي يحيط بهم من كل اتجاه ، وبدأ الموارنة يعملون بلا هوادة على خلق تيار مسيحي في لبنان يتحدث عن " **عقدة الخوف** " وفي مقابل حديث الزعماء المسيحيين عن عقدة الخوف تبريرا لاستمرار السيطرة الاقتصادية بين أيديهم ، كان لابد وأن يثير أبناء الطوائف الإسلامية ما أطلقوا عليه " **عقدة الغبن** " خاصة بعدما منعتهم الممارسة الطويلة لتلك السيطرة المارونية معظم مواقع التأثير السياسي والاقتصادي والإداري لذا فإن التنظيمات المسيحية سواء قبل اندلاع الحرب الأهلية أو بعدها كانت تحمل أسماء من قبيل " الكتائب " أو " حراس الأرز " وغير ذلك مما يؤكد عقدة الخوف ، بينما حملت التنظيمات الإسلامية المقابلة تسميات مثل " حركة المحرومين " و " أمل " وغيرها مما يؤكد عقدة الغبن .(١)

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر " عقدة الخوف وعقدة الجبن " في كتاب " لبنان انهيار أم انتحار ؟ " مركز الأهرام للترجمة والنشر ط ١ ص ٤١- ٤٤

وجملة القول أن من أسباب الحرب الأهلية اللبنانية هذا الصراع الاجتماعي بين طبقات مترفة (الطوائف المسيحية) تتمتع بامتيازات واضحة ، وأخرى محرومة (الطوائف المسلمة) تعاني مناطقها من التخلف والإهمال رغم تضخم السكان فيها . وأصحاب الامتيازات يريدون الحفاظ على امتيازاتهم ، والمغبونون يريدون التخلص من هذا الغبن وإزالة كل أسبابه ومظاهره ولكن لا يمكن مع ذلك إنكار وجود الطائفية تماما كأحد محركات الصراع وبواعثه الرئيسية ، ولقد يصح القول بأن الأسباب الطائفية للحرب كانت " تتجاور " مع البواعث الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية أو تمتزج بها فهي حرب " دينية بالنسبة للبعض ، وهي في الوقت ذاته حرب بين المحرومين والأثرياء بالنسبة للبعض الآخر على حد الوصف الذي استخدمته صحيفة " لوموند " الفرنسية [1]

ثالثا : الصراعات السياسية .

والتي حدثت نتيجة لميثاق عام ١٩٤٣ الذي كرَّس طائفية الرئاسات الثلاث فجعل رئاسة الجمهورية للمسيحيين الموارنة ، ورئاسة الوزارة للمسمين السنة ، ورئاسة مجلس النواب للمسلمين الشيعة ، ومن يومها أصبح مبدأ التقسيم الطائفي هو الدستور الدائم الذي تدار شئون الدولة على أساسه حتى في شغل الوظائف الحكومية الكبرى !

ومن المؤكد أن الأحداث الدامية التي عصفت بلبنان منذ منتصف السبعينات حتى الآن قد أثبتت أن الطائفية هي أسوأ الأمراض التي يمكن أن تصيب أي بلد وأي شعب ومن سوء حظ لبنان أن هذا المرض الخبيث قد ولد معه منذ ظهر على الوجود في عام ١٩٢٠ واستوطن فيه حتى يوم الناس هذا .

والحقيقة أن الذي كرس للطائفية هو طبع متغلغل في الشخصية اللبنانية هذا الطبع هو ضعف الروح الوطنية وتقديم المصلح الشخصية أو الطائفية على مصلحة

([1]) صحيفة " لوموند " ٢٠ / ٩ / ١٩٧٥ مقال " بريك رولو " بعنوان " بلد في قلب الحرب الأهلية " نقلا عن محمود أحمد " لبنان انهيار أم انتحار ؟ " مركز الأهرام للترجمة والنشر ط ١ ص ٤٠

الوطن ، والذي يؤكد ذلك أن زعماء كل طائفة وجدوا استمرار هذا الوضع الطائفي ملائما لتحقيق مصالحهم الشخصية نظرا لاعتمادهم على أصوات أبناء طوائفهم للوصول إلى مقاعد البرلمان ، والمضي بالتالي في الطريق التقليدي الذي يفتح له أبواب المستقبل السياسي ، فإن مصلحة كل رجل سياسي تقضي بأن ينطلق في سعيه إلى السلطة من طائفته أولاً ، وأن رفض زعيم سياسي معين من قِبَل طائفته يعني نهاية حياته السياسية .[1]

رابعا : الصراعات الخارجية :

وتتمثل في مشكلة وجود المقاومة الفلسطينية على أرض لبنان ، والأطماع الإسرائيلية في الجنوب اللبناني حيث مصادر الماء التي تتعطش إسرائيل إليها ، وأطماع سوريا في تهديد إسرائيل بشن غارات عليها من الأراضي اللبنانية طمعا في تسوية تعيد لها الجولان المحتل ، وأطماع إيران في مزاحمة أمريكا على ميراث الخلافة العثمانية الغابرة عن طريق توظيف الشيعة العرب وفي مقدمتهم شيعة لبنان والعراق لبسط نفوذها وإفساد المخططات الأمريكية ، وكل هذه القوى الخارجية تستخدم القوى اللبنانية للقيام بحروب بالوكالة عنها ، وتحويل لبنان إلي ساحة قتال لصالح قوى خارجية وهو ما سيأتي الحديث عنه مفصلا عند مناقشة حرب ١٢ يوليو ٢٠٠٦ .

هذه هي أهم أسباب الحرب الأهلية اللبنانية التي دارت رحاها سنة ١٩٧٥ ولم تتوقف إلا في عام ١٩٩٠ .

بداية الحرب الأهلية اللبنانية

يتفق الكثيرون أن الحرب الأهلية اللبنانية بدأت في ١٣ إبريل ١٩٧٥م حيث كان هناك محاولة فاشلة لاغتيال الزعيم الماروني بيير الجميل، وبعدها حصلت مجزرة عين الرمانة التي هوجمت فيها إحدى الحافلات المدنية وفيها ركاب فلسطينيون مما أدى إلى مصرع ٢٧ شخصا .

أطراف الصراع : لم تكن أطراف الصراع في لبنان متمايزة تماما، ولكن من أطراف الصراع كان : الجيش اللبناني ، حزب الكتائب اللبنانية المارونية ، منظمة

([1]) محمود أحمد " لبنان انهيار أم انتحار ؟ " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٤٧ .

التحرير الفلسطينية ، إسرائيل ، سوريا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، حركة أمل الشيعية ، الحزب التقدمي الاشتراكي .

مدة الصراع : لقد استمرت مشتعلة لمدة سنتين (حرب السنيتين) راح ضحيتها الآلاف من مختلف الفصائل ، بالإضافة إلى التدمير الشامل للبنان ومؤسساته وبنيته ، وكان لجنوب لبنان النصيب الأكبر في الدمار والخراب والفوضى لما للجنوب من وضع خاص في الصراع العربي / الإسرائيلي ، والصراع العربي / العربي .

القوات السورية ولبنان

في أواخر حرب السنتين (١٩٧٥- ١٩٧٦) ، ونتيجة لمؤتمر القاهرة والرياض في عام ١٩٧٦ اتخذ قرار بتشكيل " قوات الردع العربية " وقد تم إرسال هذه القوات في أواخر ٧٦ وكانت تتألف من قوة سورية رئيسية ، وقوات رمزية من دول عربية أخرى لم تبق سوى ستة أشهر فقط ، وبعد رحيل القوات العربية – غير السورية – **صارت سوريا لاعبا رئيسيا في الميدان اللبناني لتزداد المشكلة اللبنانية تعقيدا ، وتبدأ سلسلة من المناوشات السورية الإسرائيلية على الأرض اللبنانية ، الأمر الذي جعل بعض المراقبين داخل لبنان وخارجها يذهب إلى أن المشكلة اللبنانية ما هي في جوهرها سوى نتيجة لهذا الصراع ، أي أن لبنان الذي يحتل هذه البقعة الجغرافية بين سوريا وإسرائيل ، إنما تمزق على هذا النحو الذي نراه نتيجة للعبة الشد والجذب بين هذين البلدين اللذين يفوقانه قوة ولا يستطيع دفع تأثيرهما الكاسح على ساحته** ، أو هو بالأحرى تحول ليكون الساحة الفعلية للصراع بينهما بعد أن توقف إطلاق النار على حدودها منذ أكتوبر ١٩٧٣.

فقد كانت ثمة اتفاقات غير المكتوبة بين سوريا وإسرائيل للعيش في سلام وبلا طلقة متبادلة على الجبهة بين صاحب الأرض ومغتصبها ، لذا عندما عبرت قوات إسرائيل في طريقها لاحتلال بيروت وضربها بالمدرعات على مرمى البصر من خطوط القوات السورية في لبنان لم تفكر القوات السورية مجرد تفكير في إزعاج

القوات الإسرائيلية والاشتباك معها قبل أو أثناء أو بعد الغزو الإسرائيلي لبيروت ، وطوال الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان .[1]

ولا يمكن أن نعفي لبنان من الذنب في جر الصراع السوري / الإسرائيلي إلى الساحة اللبنانية فقد كان أحد الأطراف اللبنانيين الرئيسيين – وهو الطرف اليميني الماروني – هو الذي دعا سوريا إلى التدخل بقوتها لمساعدته على قمع التحالف المناوئ الذي يضم شركاءهم في الوطن وهو الطرف التقدمي والإسلامي والمقاومة الفلسطينية . صحيح أنه كانت لسوريا حساباتها الخاصة ، عندما أدخلت قواتها على لبنان ، إلا أن هذا الدخول توافر له غطاء لبناني مسبق ، تماما مثلما حدث حينما دفع الزعماء الموارنة الرئيس اللبناني الأسبق إلياس سركيس إلى طلب دخول " قوات الردع العربية " رسميا بهدف إقرار الأمن في لبنان وفرض سلطة الدولة الشرعية على كافة أنحائه ، وهو هدف لم يقدر له أن يتحقق أبداً لسوء الحظ ، وفي الوقت نفسه، وبينما كانت القوات السورية تبدأ أولى خطوات التورط العسكري في لبنان ، كان زعماء الموارنة – آل شمعون وآل الجميل تحديدا- يبدعون اتصالاتهم الأولى مع إسرائيل بدعوى مساعدتهم على التخلص من " الشيطان الفلسطيني " أيضا [2]

ولم تستطع القوات السورية تحقيق السيطرة على مجريات الأمور في لبنان ، وإغلاق الثغرات المفتوحة ، والضغط على إسرائيل لتحقيق تفاوض يعيد إليها الجولان المحتل ، وانتهى الوضع بالقوات السورية إلى أن تحولت إلى " فريق " في القتال الدائر بينما ازدادت الثغرات خطورة واتساعاً ، وتأكد الفشل في تحقيق مكاسب تفاوضية مع إسرائيل .

وبسبب هجوم المقامة الفلسطينية على إسرائيل تعرضت لبنان للعدوان الإسرائيلي **ففي مارس ١٩٧٨ وبعد هجوم شنته مجموعة فلسطينية قرب تل أبيب، اجتاح**

---

(1) إبراهيم نافع " آفاق التسعينات " مركز الأهرام للترجمة والنشر ط١ ١٩٨٨ ص ١٩٨ ، ١٩٩.

(2) محمود احمد " لبنان انهيار أم انتحار " ص ١٦١

حوالي ٢٥ ألف جندي إسرائيلي جنوب لبنان في عملية أطلق عليها اسم " عملية الليطاني" وقالت تل أبيب إن الهدف منها حماية مناطقها الشمالية من هجمات مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية . وأدت العملية إلى سقوط ما بين ٢٠٠ - ٤٠٠ قتيل ونزوح حوالي ٤٠٠ ألف شخص إلى بيروت وضواحيها .

وبعد هذا الهجوم الإسرائيلي أصدرت الأمم لمتحدة يوم ١٩ من مارس القرار ٤٢٥ الذي يدعو إلى " الاحترام التام لسيادة لبنان واستقلاله السياسي ووحدة أراضيه ضمن حدوده المعترف بها دوليا ويدعو إسرائيل إلى " وقف عملياتها العسكرية ضد الأراضي اللبنانية ، والانسحاب الفوري لقواتها من كافة الأراضي اللبنانية " .

كما يحدد القرار ٤٢٥ أيضا دور الأمم المتحدة " على ضوء طلب الحكومة اللبنانية " بتشكيل " قوات مؤقتة في الجنوب اللبناني لهدف تأكيد انسحاب القوات الإسرائيلية ، وإعادة السلام والأمن ، ومساعدة الحكومة اللبنانية في ضمان إعادة بسط سلطتها على المنطقة " .

وفي يونيو ١٩٨٢ قامت إسرائيل بعملية أطلقت عليها اسم "سلام الجليل" حيث اجتاحت القوات الإسرائيلية لبنان ، واتجهت شمالا نحو العاصمة بيروت التي حاصرتها لمدة شهرين .

ويضطر رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات لمغادرة بيروت مع ما يزيد على ١١ ألف مقاتل فلسطيني بين ٢١ أغسطس و ٣ سبتمبر.

وفي ١٥ سبتمبر دخلت القوات الإسرائيلية بيروت الغربية .

وفي ١٧ ، ١٨ سبتمبر ١٩٨٢ قتل ١٥٠٠ مدني فلسطيني على الأقل بمجازر وقعت بمخيمي صبرا وشاتيلا (الضاحية الجنوبية لبيروت) على أيدي عناصر المليشيا المسيحية ، بينما طوّق الجيش الإسرائيلي المُخيَّمَين . وقد اعترفت لجنة تحقيق إسرائيلية بـــ "المسئولية غير المباشرة " للإسرائيليين عن هذه المجزرة .

في نهاية ١٩٨٢ أفادت حصيلة رسمية لبنانية أن الاجتياح الإسرائيلي أسفر عن سقوط حوالي عشرين ألف قتيل وثلاثين ألف جريح .

ولم توقف إسرائيل هجومها على لبنان حتى بعد خروج المقاومة الفلسطينية منها ولجوئها إلى تونس ففي يناير ١٩٨٤ قامت إسرائيل بغارة على بعلبك (شرق لبنان) راح ضحيتها مائة قتيل .

ونتيجة المقاومة اللبنانية على القوات الإسرائيلية اضطرت إسرائيل لسحب قواتها من لبنان في يونيو ١٩٨٥ واكتفت بـــ "شريط حدودي" مساحته حوالي ٨٥٠ كم تحتله مع مليشيا جيش لبنان الجنوبي التابعة لها .

وفي سبتمبر ١٩٨٧ شنت إسرائيل غارة على مخيم عين الحلوة الفلسطيني جنوب لبنان خلفت ٤٦ قتيلا .

وفي ٧ مارس ١٩٨٨ قامت إسرائيل بسلسلة من الغارات بعد هجوم المقاومة على حافلة إسرائيلية بصحراء النقب جنوب إسرائيل ، وقد أدت الغارات الإسرائيلية إلى مقتل مائة شخص .

اتفاق الطائف

يعتبر اتفاق الطائف هو نهاية المطاف فى معالجة الأزمة اللبنانية وتسوية جميع مشكلاتها ، والذي نتج عن اجتماع المؤتمر الوطني اللبناني في الطائف في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٩ والذي أنهى حربا أهلية استمرت أكثر من عشرين عاما وقد بدأت مناقشات الحوار الوطني التي تميزت بالصراحة وعدم المجاملة . وحضر مؤتمر الطائف في المملكة العربية السعودية اثنان وستون نائبا لبنانيا من أصل ثلاثة وسبعين .

ومن التأمل في مضمون اتفاق الطائف يمكننا أن نلاحظ بأن الاتفاق قد تضمن وضع أسس دستورية جديدة للبنان. فلقد تم في اتفاق الطائف لأول مرة إضافة مقدمة خاصة للدستور اللبناني اعتبرت جزءا أساسيا من الدستور نفسه ، كما

تضمن اتفاق الطائف تحديد أسس الوفاق الوطني اللبناني وأسس الوضع الأمني التي تمثلت في تأكيد توحيد لبنان وإنهاء القتال وتحديد حل الميليشيات العسكرية. كما وضع اتفاق الطائف أسس الإصلاح السياسي في لبنان، وتوصل اللبنانيون إلى صيغة مفصلة للوفاق الوطني .

وأهم قرارات اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ :

أولا : الدولة اللبنانية دولة واحدة موحدة ذات سلطة مركزية قوية .

ثانياً: بسط سيادة الدولة اللبنانية على كامل الأراضي اللبنانية .

وبما أنه تم الاتفاق بين الأطراف اللبنانية على قيام الدولة القوية القادرة المبنية على أساس الوفاق الوطني تقوم حكومة الوفاق الوطني بوضع خطة أمنية مفصلة مدتها سنة، هدفها بسط سلطة الدولة اللبنانية تدريجياً على كامل الأراضي اللبنانية بواسطة قواتها الذاتية، وتتسم خطوطها العريضة بالآتي :

١- الإعلان عن حل جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية وتسليم أسلحتها إلى الدولة اللبنانية خلال ستة أشهر تبدأ بعد التصديق على وثيقة الوفاق الوطني وانتخاب رئيس الجمهورية وتشكيل حكومة الوفاق الوطني. وإقرار الإصلاحات السياسية بصورة دستورية .

٢- تعزيز قوى الأمن الداخلي من خلال :

أ- فتح باب التطوع لجميع اللبنانيين دون استثناء والبدء بتدريبهم مركزياً ثم توزيعهم على الوحدات في المحافظات مع اتباعهم لدورات تدريبية دورية ومنظمة.

ب- تعزيز جهاز الأمن بما يتناسب وضبط عمليات دخول وخروج الأشخاص من والى الحدود براً وبحراً وجواً .

٣- تعزيز القوات المسلحة :

أ- إن المهمة الأساسية للقوات المسلحة هي الدفاع عن الوطن وعند الضرورة حماية النظام العام عندما يتعدى الخطر قدرة قوى الأمن الداخلي وحدها على معالجته.

ب- تستخدم القوات المسلحة في مساندة قوى الأمن الداخلي للمحافظة على الأمن في الظروف التي يقررها مجلس الوزراء.

ج- يجري توحيد وإعداد القوات المسلحة وتدريبها لتكون قادرة على تحمل مسؤولياتها الوطنية في مواجهة العدوان الإسرائيلي.

د- عندما تصبح قوى الأمن الداخلي جاهزة لتسلم مهامها الأمنية تعود القوات المسلحة إلى ثكناتها .

هـ- يعاد تنظيم مخابرات القوات المسلحة لخدمة الأغراض العسكرية دون سواها.

٤- حل مشكلة المهجرين اللبنانيين جذريا.

وذلك بإقرار حق كل مهجر لبناني منذ العام ١٩٧٥م بالعودة إلى المكان الذي هجر منه ووضع التشريعات التي تكفل هذا الحق وتأمين الوسائل الكفيلة بإعادة التعمير.

ثالثاً : تحرير لبنان من الاحتلال الإسرائيلي .

استعادة سلطة الدولة حتى الحدود اللبنانية المعترف بها دولياً تتطلب الآتي :

أ- العمل على تنفيذ القرار ٤٢٥ وسائر قرارات مجلس الأمن الدولي القاضية بإزالة الاحتلال الإسرائيلي إزالة شاملة.

ت- التمسك باتفاقية الهدنة الموقعة في ٢٣ آذار ١٩٤٩م.

ج- اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لتحرير جميع الأراضي اللبنانية من الاحتلال الإسرائيلي وبسط سيادة الدولة على جميع أراضيها ونشر الجيش اللبناني في منطقة

الحدود اللبنانية المعترف بها دولياً والعمل على تدعيم وجود قوات الطوارئ الدولية في الجنوب اللبناني لتأمين الانسحاب الإسرائيلي ولإتاحة الفرصة لعودة الأمن والاستقرار إلى منطقة الحدود.

رابعاً: العلاقات اللبنانية السورية .

إن لبنان، الذي هو عربي الانتماء والهوية، تربطه علاقات أخوية صادقة بجميع الدول العربية، وتقوم بينه وبين سوريا علاقات مميزة تستمد قوتها من جذور القربى والتاريخ والمصالح الأخوية المشتركة، وهو مفهوم يرتكز عليه التنسيق والتعاون بين البلدين وسوف تجسده اتفاقات بينهما، في شتى المجالات، بما يحقق مصلحة البلدين الشقيقين في إطار سيادة واستقلال كل منهما. استناداً إلى ذلك، ولأن تثبيت قواعد الأمن يوفر المناخ المطلوب لتنمية هذه الروابط المتميزة، **فإنه يقتضي عدم جعل لبنان مصدر تهديد لأمن سوريا وسوريا لأمن لبنان في أي حال من الأحوال. وعليه فان لبنان لا يسمح بان يكون ممراً أو مستقراً لأي قوة أو دولة أو تنظيم يستهدف المساس بأمنه أو أمن سوريا. وان سوريا الحريصة على أمن لبنان واستقلاله ووحدته ووفاق أبنائه لا تسمح بأي عمل يهدد أمنه واستقلاله وسيادته .**

بما أن هدف الدولة اللبنانية هو بسط سلطتها على كامل الأراضي اللبنانية بواسطة قواتها الذاتية المتمثلة بالدرجة الأولى بقوى الأمن الداخلي ، ومن واقع العلاقات الأخوية التي تربط سوريا بلبنان، تقوم القوات السورية مشكورة بمساعدة قوات الشرعية اللبنانية لبسط سلطة الدولة اللبنانية في فترة زمنية محددة أقصاها سنتان تبدأ بعد التصديق على وثيقة الوفاق الوطني وانتخاب رئيس الجمهورية وتشكيل حكومة الوفاق الوطني، وإقرار الإصلاحات السياسية بصورة دستورية، وفي نهاية هذه الفترة تقرر الحكومتان، الحكومة السورية وحكومة الوفاق الوطني اللبنانية إعادة تمركز القوات السورية في منطقة البقاع ومدخل البقاع الغربي في ضهر البيدر حتى خط حمانا المديرج عين داره، وإذا دعت الضرورة في نقاط أخرى يتم

تحديدها بواسطة لجنة عسكرية لبنانية سورية مشتركة. كما يتم الاتفاق بين الحكومتين يجري بموجبه تحديد حجم ومدة تواجد القوات السورية في المناطق المذكورة أعلاه وتحديد علاقة هذه القوات مع سلطات الدولة اللبنانية في أماكن تواجدها. واللجنة الثلاثية العربية العليا مستعدة لمساعدة الدولتين في الوصول إلى هذا الاتفاق إذا رغبتا في ذلك .

ومنذ التوقيع على اتفاق الطائف في العام ١٩٨٩ الذي وضع حداً للحرب الأهلية التي دامت لأكثر من خمس عشرة عاما ، تمتعت البلاد بدرجة ملموسة من الاستقرار السياسي ، لكن شرائح كبيرة من الشعب ما زالت تعارض الترتيب الذي وُضع بعد الحرب والذي أيد الوجود العسكري السوري في لبنان وترك الباب مفتوحاً أمام تزايد التأثير السوري على الشؤون السياسية في البلاد .

وفي أعقاب اتفاق الطائف وقّعت السلطات اللبنانية والسورية على عدد من الاتفاقيات، كان أبرزها معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق التي أُبرمت في مايو ١٩٩١ ومعاهدة الدفاع والأمن التي وقعت في سبتمبر ١٩٩١.وأدت معاهدة الدفاع والأمن إلى تشكيل لجنة مشتركة للدفاع والأمن تجتمع كل ثلاثة أشهر في سوريا أو لبنان.

ومن ضمن أهداف هذه المعاهدة ضمان ألا يتحول لبنان في إطار معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق إلى "مصدر تهديد" لأمن سوريا أو أن تصبح سوريا مصدر "إزعاج أو تهديد للبنان"؛ والقضاء على أي نشاط أو تنظيم في المجالات العسكرية والأمنية والسياسية يمكن أن يشكل تهديدا لأي من البلدين وعلى صعيد الممارسة العملية .

لبنان ما بعد الحرب الأهلية

وبعد اتفاق الطائف الذي يعد دستور لبنان الجديد الذي ينظم كل شئونه الداخلية والخارجية والذي أقرته جميع الطوائف اللبنانية ، والذي حظي بقبول كافة الأوساط العربية والدولية **تم نزع سلاح جميع المليشيات اللبنانية المتصارعة ما عدا سلاح**

حزب الله الذي كان مدعوما من القوات السورية في لبنان ، ومن النظام الإيراني ، والذي كان موجها لمقاومة الوجود الإسرائيلي المحتل لما يسمي "الحزام الأمني" وقد استطاعت إسرائيل والمليشيات اللبنانية الموالية لها استناداً إلى ضيق مساحة هذا الحزام أن يكثّفوا مواقعهم لدرجة مكّنتهم من تغطيتها بنيران كثيفة لا قدرة للمقاومين على مواجهتها بحرب متحركة .

استبدال المعارك السياسية بالحرب الأهلية

تنتهي كل الحروب الأهلية ، إما بتسوية سياسية، أو بانقسام البلاد. والذي حدث في لبنان هو رسمياً تسوية سياسية، وواقعيا هُدنة على دَخَن ، وسكونٌ لِعِلّةٍ ، وصلح على فسادٍ واختلاف. فأطراف الحرب هم الذين تولوا السلطة السياسية الجديدة ، وهم جميعاً تحت القبضة الأمنية السورية ، تُساعدها الأجهزة الأمنية اللبنانية التي أعيد بناؤها. أما المدنيون القدامى والجدد ، وعلى رأسهم رفيق الحريري ، فقد عُهد إليهم بالجزء المدني من الدولة. وقد كانت فكرة الحريري أن البلد المراد إعماره ، والذي تجري فيه انتخابات نيابية وبلدية منتظمة، سيقوى جانبه، وتتجدد نخبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بحيث يتضاءل نفوذ أطراف الحرب ، وتشعر سوريا بفائدة لبنان القوي اقتصادياً وسياسياً لها ، فتعدّل من سلوكها تجاهه ، وتنشأ علاقات سياسية واقتصادية بعيدة المدى .

أما الملف الاستراتيجي المتصل بالنزاع العربي/ الإسرائيلي ، فقد كان الحريري عميق الاقتناع بضرورة أن تكون لسوريا الأولوية فيه ، باعتبارها تقود الصراع ضد إسرائيل ، بعد خروج العرب الآخرين الكبار والصغار .

بيد أن الخلل خالط الجانبين منذ ما بعد أواسط التسعينات بقليل. فالطبقة السياسية التي تغلغل أطراف الحرب في مسامّها أوقفت عمليات الإعمار في الواقع ، والوزارات وإدارات الدولة جرى اقتسامها من جانب حلفاء سوريا المسلمين والمسيحيين ، والأجهزة الأمنية اللبنانية والسورية نمت أدوارها، ليس في الجوانب الأمنية والعسكرية وحسب، بل وفي الانتخابات وقوانينها، وفي الاقتصاد اللبناني،

وحتى في قطاع المصارف، كما تدل عليه واقعة بنك المدينة، الذي «ضاع» منه أكثر من مليار دولار خلال ثلاث سنوات، وكان الرمز الأبلغ لما وصلت إليه الحالة، وصول الجنرال إميل لحود، قائد الجيش السابق عام ١٩٩٨ لرئاسة الجمهورية على أكتاف موجة شعبية دبّرتها الأجهزة الأمنية اللبنانية والسورية، باعتبار أن المدنيين في النظام فاسدون، وقد يكونون خوَنة، وعلى رأسهم رفيق الحريري .

والملف الآخر الذي أخطأ الحريري في التحسب له، أو أنه اضطّر إليه، كما اضطر للاستمرار في الملف الأول ، هو الشأن الاستراتيجي. فالذي «قاد» حرب تحرير الأرض اللبنانية في مواجهة إسرائيل ليس الجيش السوري أو اللبناني، بل حزب الله ، ذو الارتباطات الوثيقة بإيران من ضمن التحالف بينها وبين سوريا. وبذلك ما عادت المسائل حتى في الصراع العربي/ الإسرائيلي رهناً بإرادة سورية ولبنانية وحسب، بل تؤثر فيها إلى حد كبير تطورات العلاقات الإيرانية/ الأمريكية.

ما كان سهلاً على الحريري، الذي حمل مشروع السلام المدني والإعمار منذ عام ١٩٧٨ أن يُقنع نفسه بأن كل ما جاهد من أجله، بما في ذلك احتضانه لمشروع علاقات «سوية» واستراتيجية مع سوريا، قد ذهب أدراج الرياح، لأن سوريا أيام الرئيسين حافظ الأسد وبشار الأسد، لم ترد علاقة بين دولتين شقيقتين، بل الاستمرار في استتباع لبنان بالطريقة التي جرى عليها الأمر منذ مطلع التسعينات. ولو أن الرئيس الحريري اقتنع، رغم كثرة شكواه، بأن الأمل مفقود في أن يعدّل السوريون سلوكهم في لبنان، كما صبر ثلاث سنوات على إذلال الرئيس لحود له، خروجاً على الطائف والدستور، رجاء أن تسمح سوريا بتغيير الرئيس والنهج، تحت وطأة تصاعد المعارضة الداخلية، والضغوط الدولية. كان الرجل يغالط عقله وخبرته، وكان السوريون يزدادون انزعاجاً منه لكثرة حركته، وكثرة تذمره . (1)

***

(1) رضوان السيد " اغتيال الحريري.. سقوط الأوهام " جريدة الشرق الأوسط في تاريخ ١٦ /٢/ ٢٠٠٥

الفصل الثاني

من الانسحاب الإسرائيلي إلى إعادة الاحتلال

كان احتلال بيروت عام ١٩٨٢ فرصة لتوحيد إرادة اللبنانيين لتحرير بلادهم برغم استمرار الحرب الأهلية، وبعد احتلال بيروت مباشرة صدر البيان الأول لجبهة المقاومة الوطنية اللبنانية في ١٦ سبتمبر ١٩٨٢ لتعلن تشكيلها من ذات القوى الوطنية إضافة لمتطوعين من جميع المناطق اللبنانية، ومن كل الانتماءات الاجتماعية وجميع الطوائف، إلى جانب متطوعين من جنود وضباط في القوات الخاصة في الجيش اللبناني أصبحوا نواة القوة القتالية للجبهة .

بعد ذلك بأربعة أيام قامت الجبهة بأولى عملياتها، ثم قام أحد أفراد الحزب السوري القومي بعملية أخرى في الأسبوع ذاته لتتوالى العمليات القتالية التي اتخذت شكل حرب عصابات أجبرت القوات الإسرائيلية على الانسحاب من بيروت إلى منطقة الجبل، لكن الأمر تصاعد ولم يتوقف وجرت خلال السنوات اللاحقة عشرات العمليات التي ألحقت بالإسرائيليين خسائر جسيمة.

ولم تقتصر هذه العمليات – بما فيها العمليات الاستشهادية – على فئة أو حزب معين من بين القوى الوطنية والإسلامية اللبنانية، كما أن هذه العمليات شملت قوات الاحتلال في مختلف المناطق بدءا من بيروت باتجاه الجنوب، الأمر الذي أجبر إسرائيل على الانسحاب من معظم الأراضي اللبنانية في عام ١٩٨٥ لتستقر قواتها في الشريط الحدودي في أقصى الجنوب .

تزامن الانسحاب الإسرائيلي مع انبثاق مقاومة إسلامية تجسدت فيما بعد بإعلان تأسيس حزب الله الذي عمل في إطار جبهة المقاومة اللبنانية ثم بدأ بالعمل منفردا لاسيما وأن منطقة الجنوب كانت تمثل بيئته الحاضنة ومركز قاعدته الجماهيرية.

وساعد على تكريس دور حزب الله ما جرى من أحداث في لبنان عقب عام ١٩٨٥، حيث قامت سوريا بإعادة رسم خارطة القوة في لبنان بما يتناغم ورؤيتها للمتغيرات الدولية والإقليمية وسعيها للحصول على دور ومكانة من بوابة لبنان، فاحتوت أو همشت من خلال جملة إجراءات معظم القوى الوطنية اللبنانية التي كان لها دور فاعل في مقاومة الاحتلال منذ أوائل السبعينيات، إضافة إلى استنزاف قدرات هذه القوى وتصفية بعض رموزها في خضم الحرب الأهلية، وتكرس عزل دور هذه القوى بعد اتفاق الطائف عام ١٩٩٠ الذي قضى بتجريد كل المليشيات من أسلحتها باستثناء حزب الله .

وخلال مرحلة التسعينيات تعزز دور حزب الله بالمقاومة في الجنوب وتمكن من القيام بعمليات نوعية واستخدم أساليب قتالية متطورة وأسلحة متقدمة، فيما كانت إسرائيل ترد بقصف الأراضي اللبنانية لاسيما في الجنوب والقيام باجتياحات محدودة كما حدث في عام ١٩٩٦ عندما دمرت ٧٠ قرية وهجرت نحو ٣٠٠ ألف مواطن لبناني .

وأمام المقاومة الشرسة ونزيف الخسائر المستمر اضطرت إسرائيل إلى الانسحاب في أبريل عام ٢٠٠٠ من الشريط الحدودي في إجراء وصف إسرائيليا بالعملية المهينة فيما وصف عربيا ولبنانيا بالتحرير الذي منح حزب الله رصيدا شعبيا واسعا ومكانة خاصة في لبنان، لكن المقاومة لم تنته عند هذا الحد، فقد ظلت إسرائيل تحتل مزارع شبعا القائمة على سفوح جبل الشيخ والتي يصر لبنان على عائديتها له، فيما تدعي إسرائيل عائديتها لسوريا، وقد كانت قضية المزارع فضلا عن إصرار إسرائيل على احتجاز أسرى لبنانيين مبررين كافيين عند حزب الله للاستمرار بالمقاومة والدخول في مواجهات مع تل أبيب يعيش لبنان أشرس فصولها اليوم . (١)

وتم تحديد خط الانسحاب الإسرائيلي من لبنان من قبل الأمم المتحدة، فلم يتوافق في ثلاث نقاط منه مع الحدود المرسمة عام ١٩٢٣ بين فلسطين ولبنان في ظل

---

(١) لقاء مكي " محطات المقاومة في لبنان " الجزيرة نت

الانتدابين الفرنسي والبريطاني والمعترف بها دوليا. كما ترك هذا الخط مزارع شبعا خارج إطار منطقة عمليات" اليونيفيل". وقد تحفظ لبنان على النقاط المذكورة كما ورد في تقرير الأمين العام إلى مجلس الأمن المؤرخ في ١٦ حزيران ٢٠٠٠ وأكد على حقه في السيادة على مزارع شبعا اللبنانية (1)

ولم تنعم إسرائيل بالأمن بعد انسحابها فقد قام حزب الله بنشر قواته على طول الحدود وأنشأ مواقع عسكرية وأبراج مراقبة، وبدأ العمل بنشاطات أمنية مكثفة على الجانب الآخر من الحدود، حيث يعتبر الإسرائيليون أن هذه الخطوات قدمت لحزب الله هدية ثمينة من الحكومة اللبنانية تتمثل في حكم محلي للحزب في الجنوب، من خلال سيطرة الحزب على الخطوط الأمامية للدولة اللبنانية، وهذا بدوره قدم خدمة جماهيرية لحزب الله داخل المجتمع اللبناني الذي ينظر إلى حزب الله بكل فخر واعتزاز وتقدير .

والذي عمل أيضا على تدعيم وجود حزب الله وبسط نفوذه على الجنوب اللبناني امتلاكه منظومة اجتماعية وثقافية داخل المجتمع اللبناني تساعده على الاستمرار في البقاء من خلال انخراطه القديم الجديد داخل المجتمع اللبناني، حيث قام – بدعم سوري إيراني – بإنشاء مئات المؤسسات الثقافية والاجتماعية والصحية التي تقدم خدماتها للمجتمع اللبناني كل ذلك إضافة إلى الإرث النضالي الكبير الذي خلفه حزب الله خلال حربه الطويلة مع إسرائيل طوال نحو عشرين عاما، هذه الجوانب تكفل لحزب الله البقاء والاستمرارية .(2)

مشكلة سلاح حزب الله

على الرغم من النجاح الذي حققه حزب الله على المستويين العسكري والاجتماعي فإن سيطرته على الجنوب من دون الدولة اللبنانية تمثل خرقا للدستور

(1) من محاضرة وزير الخارجية والمغتربين – الأستاذ محمود حمود حول " ثوابت سياسة لبنان الخارجية بعد الطائف " في ٢٠٠٢/٢/٢٧ – وزارة الدفاع .

(2) راجع دانيال سوبلمان " قواعد اللعبة الجديدة بين إسرائيل وحزب الله بعد الانسحاب من لبنان " الطبعة الأولى ٢٠٠٣ مركز يافا للدراسات الإستراتيجية .

اللبناني ، ولاتفاق الطائف ، وقرارات الأمم المتحدة التي تقضي جميعها بوجوب بسط سيادة الدولة اللبنانية على جميع أراضيها ونشر الجيش اللبناني و قوات اليونيفيل في منطقة الحدود المعترف بها دوليا .

وإذا كان الانتصار الذي تحقق في الرابع من مايو ٢٠٠٠م كان ثمرة لاتفاق الطائف الذي ساعد على تمتع لبنان بدرجة ملموسة من الاستقرار السياسي ، فإنه يعد بداية لمرحلة جيدة من الصراع الداخلي .

وإذا كان سلاح حزب الله هو السبب المباشر في تحرير الجنوب اللبناني من الاحتلال الإسرائيلي فإنه صار السبب المباشر هو وسوريا حليفته في تعريضها للعدوان الإسرائيلي .

فبمجرد خروج القوات الإسرائيلية تعالت أصوات المعارضة داخل لبنان ، وخارجها بضرورة نزع سلاح حزب الله إذ كان مبرر استثناء نزع سلاحه من دون بقية الميليشيات اللبنانية التي نزع سلاحها هو احتلال إسرائيل للجنوب اللبناني الذي يقطنه الشيعة والذي يعد حزب الله ممثلا لهم هو وحركة أمل ، وبانسحاب إسرائيل وانتشار قوات اليونيفيل على الحدود ، وبدء الحديث بشأن مزارع شبعا سقط مبرر تمسك حزب الله بسلاحه ، ووجب عليه الانصياع لاتفاق الطائف ، وقرارات الأمم المتحدة .

ولقد صدرت عدة تقارير من الأمين العام للأمم المتحدة في هذا الشأن منها :

– تقرير الأمين العام للأمم المتحدة الصادر بتاريخ ٢٢ أيار ٢٠٠٠، فقرة ٢٨:

" ينبغي للقوات المسلحة اللبنانية أن تكفل أن جميع الأراضي الوطنية تقع تحت السلطة الفعلية للحكومة".

– التقرير الصادر بتاريخ ١٦ حزيران ٢٠٠٠، فقرة ٢١:

" ينبغي للقوات المسلحة اللبنانية أن تكفل وجود جميع الأراضي الوطنية تحت السلطة الفعلية للحكومة... ويعد نشر القوات المسلحة ركنا لا تكتمل بدونه استعادة الحكومة السلطة الفعلية في المنطقة ".

– التقرير الصادر بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ٢٠٠١، فقرة ٧ وفقرة ١٩:

فقرة ٧ : " على نحو ما كان عليه الأمر من قبل، لم يقم أفراد الجيش اللبناني وقوات الأمن اللبنانية بعملياتهم قريبا من الخط الأزرق ".

فقرة ١٩: " ويحدوني وطيد الأمل في أن تعيد حكومة لبنان النظر في موقفها الوارد وصفه في الفقرتين ٥و٦و٧ أعلاه في ضوء التزاماتها وفي ضوء قرارات مجلس الأمن ".

ولكن كان لحزب الله والرئيس إميل لحود وسوريا والحكومة موقف آخر .

فحزب الله بعد النجاح الذي حققه بمساعدة سوريا وإيران ما كان له أن يتخلى عن سلاحه مصدر قوته ومجده وثروته ويعود لحياة الحرمان التي عانى منها هو وأهل الجنوب الشيعة طوال تاريخ لبنان .

كذلك فإن سوريا ما كان لها أن تسمح بنزع سلاح حزب الله سلاحها الوحيد الذي تساوم به للوصول إلى تسوية مرضية مع إسرائيل بشأن الجولان المحتل .

أما الرئيس اللبناني إميل لحود ما كان له أن يخالف رأيا لسوريا ، وهو الذي ما وصل إلى سدة الحكم إلا بفضل سوريا ، وما بقي فيه إلا بفضل دعمها له .

أما إيران قِبْلَة حزب الله الروحية فما كان لها أن تسمح بنزع سلاح حزب الله أحد أهم أوراقها في بسط نفوذها على المنطقة أملا في تحقيق حلمها باستعادة مجد الإمبراطورية الفارسية الغابرة .

كل هذه القوى كانت ذات مصلحة في احتفاظ حزب الله بسلاحه ، وعدم نشر الجيش اللبناني على حدود إسرائيل ، وعدم الوصول إلى تسوية إسرائيلية / لبنانية تعيد للبنان استقراره وأمنه الذي فقدهما منذ أمد بعيد .

وتذرعت هذه القوى بعدة ذرائع رأت أن وجودها يحول دون نزع سلاح حزب الله ، وأهم هذه الذرائع :

- استمرار إسرائيل في احتلال مزارع شبعا اللبنانية .
- عدم التوصل مع إسرائيل إلى سلام عادل وشامل ودائم .

- وجود أسرى لبنانين في السجون الإسرائيلية .

- ممانعة إسرائيل في عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى فلسطين هؤلاء اللاجئون الذين يعيشون في ظروف مأساوية وترفض إسرائيل عودتهم وترفض لبنان توطينهم .

- عدم تسليم إسرائيل خرائط الألغام الخاصة بجنوب لبنان إلى الأمم المتحدة .

- استمرار إسرائيل في القيام بخروقات متكررة وتهديدات يومية للبنان وسوريا .

ولقد عبر عن هذا الموقف رئيس الجمهورية العماد إميل لحود خلال مؤتمر القمة العربية الذي عقد في عمان بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢٨ فقال :

" أي تأمين الضمانات الأمنية الكاملة لمستوطناتها على حدودنا في الوقت الذي خلفت وراءها بعد الانسحاب جزءا محتلا من أرضنا في مزارع شبعا ولبنانيين مخطوفين في سجونها وشعبا فلسطينيا لاجئا في أرضنا في ظروف مأساوية ترفض إسرائيل عودته ونرفض توطينه وعشرات الآلاف الألغام المزروعة في قرى الجنوب تقتل أطفالنا والشيوخ والنساء صباح كل يوم وترفض تسليم خرائطها إلى الأمم المتحدة ، هذا عدا عن الخروقات المتكررة والتهديدات اليومية للبنان وسوريا بعد الانسحاب " .

ويعلق وزير الخارجية اللبناني " محمود حمود " على خطاب الرئيس لحود قائلا :

" لذلك كله رفضنا تقديم تلك الضمانات ورفضنا حماية إسرائيل وقلنا يومها ولا نزال إن الانسحاب الإسرائيلي ليس خطوة باتجاه السلام بل خطوة للهروب من السلام إلى الأمن وعلى حساب حقوقنا وعلى حساب متطلبات السلام العادل والشامل".(١)

---

(1) من محاضرة وزير الخارجية والمغتربين - الأستاذ محمود حمود حول " ثوابت سياسة لبنان الخارجية بعد الطائف " في ٢٠٠٢/٢/٢٧ -- وزارة الدفاع

والمدهش حقا أن القوى الداعمة لحزب الله وسلاحه وضعت شروطا – من الصعوبة بمكان تحقيقها في تلك المرحلة التاريخية الصعبة التي تمر بها المنطقة – لنشر الجيش اللبناني في الجنوب و إلا فإنها ستعمل على أن يظل الجيش اللبناني بمنأى عن الدفاع عن لبنان كأن بقاء حزب الله مسيطرا على الجنوب اللبناني هو الضمان الوحيد لتحقيق هذه المطالب فهو القادر وحده على تهديد إسرائيل !

وبدلا من تكاتف جميع القوى اللبنانية بمساعدة القوى الإقليمية والدولية – وقد عرضت المساعدة – للعمل على خروج لبنان من محنته ، بدعم شرعية الدولة ، ونبذ الطائفية ، والعمل لصالح لبنان وليس لصالح قوى داخلية أو خارجية ، وتقوية مؤسساته الرسمية للاضطلاع بمهمة الإصلاح والتعمير والتنمية ومن بينها المؤسسة العسكرية التي كان ينبغي العمل تحديثها – بعد دمج حزب الله فيه – وتقويتها لتكون درع لبنان الواقي من أي اعتداء خارجي أو داخلي – كأي دولة في العالم – ولتكون قوة ضاغطة في التسوية بشأن مزارع شبعا وغلق الجبهة الإسرائيلية والتفرغ للإصلاح والتنمية لهذا البلد المنكوب وكانت الظروف الدولية – حينئذ – مهيأة لتسوية عادلة شاملة للقضية اللبنانية ، لكن المستفيدين من هذا الصراع – الرئيس إميل لحود ، وحزب الله ، وسوريا ، وإيران –عملوا على بقاء الوضع على ما هو عليه من توتر دائم على الحدود اللبنانية /الإسرائيلية واستمرار الجبهة مفتوحة ليسهل القيام بأي مغامرة لصالح المستفيدين من هذا الصراع ، الأمر الذي حدث بعد ذلك .

وجاء التمديد للحود، الذي وافق عليه الحريري مرغما لكي لا يقطع علاقته مع سورية، ثم إبعاده عن رئاسة الحكومة، والبدء بالحملة التخوينية عليه، في الوقت الذي اندفع فيه هو باتجاه المعارضة الانتخابية وليس السياسية . بمعنى أنه صرح بالتحالف مع المعارضة في الانتخابات النيابية، لكنه لم يصرح بشيء بشأن خروج القوات السورية من لبنان، وتجريد حزب الله من سلاحه،. (1)

(1) رضوان السيد " اغتيال الحريري.. سقوط الأوهام " جريدة الشرق الأوسط في تاريخ ١٦ فبراير ٢٠٠٥

وفي تلك الأجواء الملبدة بغيوم الخلافات ، وعواصف الصراعات أصدر مجلس الأمن قراره المهم (١٥٥٩) في الثاني سبتمبر ٢٠٠٤ . وأهم القرارات التي وردت فيها هي :

١- يعيد تأكيد دعوته للاحترام الدقيق لسيادة لبنان وسلامة أراضيه ووحدته واستقلاله السياسي تحت السلطة الوحيدة والحصرية لحكومة لبنان في كافة أنحاء لبنان .

٢- يطالب جميع القوات الأجنبية الباقية بالانسحاب من لبنان .

٣ -يدعو إلى حل ونزع أسلحة كافة الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية .

٤- يدعم بسط سلطة الحكومة اللبنانية على كافة التراب اللبناني .

٥- يعلن دعمه لإجراء عملية انتخابية حرة وعادلة في الانتخابات الرئاسية اللبنانية القادمة وفقا للقواعد الدستورية اللبنانية من دون تدخل أو تأثير خارجي .

٦ -يدعو كافة الأطراف المعنية للتعاون بشكل كامل وعاجل مع مجلس الأمن من أجل التنفيذ الكامل لهذا القرار وكافة القرارات ذات الصلة المتعلقة بلستعادة وحدة أراضي لبنان وسيادته الكاملة واستقلاله السياسي.

٧- يطلب إلى الأمين العام تقديم تقرير إلى مجلس الأمن خلال ثلاثين يوما حول تنفيذ الأطراف لهذا القرار، ويقرر إبقاء هذه المسألة قيد نظره الفعلي .

وشهدت الساحة السياسية اللبنانية توترا ملحوظا منذ صدور قرار مجلس الأمن الدولي١٥٥٩ في سبتمبر٢٠٠٤ ، أهم مظاهره :

٣ سبتمبر٢٠٠٤ : البرلمان اللبناني يقر بطلب من دمشق تعديلا دستوريا يسمح بالتمديد للرئيس إميل لحود ثلاث سنوات .

٦ سبتمبر٢٠٠٤ : استقالة أربعة وزراء معارضين للتعديل الدستوري، ثلاثة منهم من كتله الزعيم الدرزي وليد جنبلاط النيابية .

٢١-٢٩ سبتمبر ٢٠٠٤ : إعادة انتشار محدودة للجيش السوري في لبنان وعودة نحو ثلاثة ألآف جندي إلي سوريا .

١ أكتوبر : إصابة النائب الدرزي الوزير المستقيل مروان حمادة المُقَرَّب من وليد جنبلاط بجروح بالغة في اعتـداء بالـسيارة المفخخـة اسـتهدفه فـي بيـروت.
١٩ أكتوبر : مجلس الأمن الدولي يدعو سوريا في إعلان رسمي إلي الالتزام ببنود القرار ١٥٥٩ .

٢٠ أكتوبر : استقالة رئيس الوزراء رفيق الحريري .

٢٦ أكتوبر : يشكل النائب عمر كرامي حكومة جديدة .

١٣ ديسمبر : المعارضة بكل تياراتها وتوجهاتها تعلن عن برنامج مشترك ينـدد بالوصاية السورية ويدعو إلي استقالة الحكومة .

١٨ ديسمبر: سوريا تسحب مفارز أمنيه لها من لبنان .

٢ فبراير ٢٠٠٥ : المعارضة اللبنانية تصعد اللهجة ضد سوريا وتطالبها بسحب جميع قواتها وتؤيد كليا القرار ١٥٥٩ .

٣ فبراير : جنبلاط يتهم فرع حزب البعث في لبنان بقتل والده كمال جنبلاط في مارس١٩٧٧.

١٤ فبراير : اغتيال رفيق الحريري في عمليه تفجير في بيروت أدت إلي سقوط ١٤ قتيلا آخر علي الأقل. سوريا تدين' العمل الإجرامي' والمعارضة اللبنانية تحمل السلطات اللبنانية والسورية مسئولية الاغتيال وتطالب بانـسحاب كامـل للقـوات السورية قبل الانتخابات التشريعية في مايو ٢٠٠٥.

٥ مارس : الرئيس السوري يعلن في مجلس الشعب عن بدء سحب قواتـه مـن لبنان .

٦ مارس : المعارضة اللبنانية الموالية لسوريا بزعامة الشيخ حـسن نـصر الله ترفض نزع أسلحتها طبقا للقرار ١٥٥٩ وتعلن عن مظاهره شعبية (١) .

(1) جريدة الأهرام بتاريخ ١٥ مارس ٢٠٠٥

نتائج اغتيال الحريري

منذ اغتيال الحريري يوم ١٤ فبراير ٢٠٠٥واتجاه أصابع الاتهام نحو سوريا ، والأحداث في لبنان تغلي غلي القدور فاغتيال رفيق الحريري له ما بعده بالنسبة للمسلمين السنة في لبنان، فإذا بدوا منقسمين على مستوى القيادات، فليسوا كذلك على مستوى الجمهور، هم جميعاً مع الحريري ، ضد السلطة اللبنانية (السلطة التي أتت بها سوريا) ، والسلطة السورية (سلطة الوصاية على لبنان)، واعتبرتهما مسئولتين عن مقتل الرئيس، ودعت لإسقاط الحكومة، وجلاء السوريين عن لبنان فوراً .

ونتيجة للضغوط الداخلية والخارجية الرافضة لتواجد القوات السورية في لبنان اضطرت سوريا إلى سحب قواتها من لبنان في أبريل ٢٠٠٥ وحسنا فعلت سوريا عندما اعترفت علنا علي لسان الرئيس بشار الأسد بأنها ارتكبت أخطاء في لبنان وقررت سحب قواتها العسكرية ومكاتب مخابراتها إلي داخل الحدود السورية قبل يوم٣٠ أبريل ٢٠٠٥ .

وقد كان واضحا ولا يزال أن سوريا تفعل ذلك استجابة لمطالب المعارضة اللبنانية وتنفيذا لاتفاق الطائف وتناغما مع قرار مجلس الأمن رقم١٥٥٩ برغم أنها كانت تفضل بطبيعة الحال أن تظل الأوضاع علي ما هي عليه إلي حين إبرام تسويه نهائية مع إسرائيل علي أساس فكره تلازم المسارين السوري واللبناني في أية مفاوضات سلام مقبلة . ولكن يبقي علي السوريين أن يعترفوا بنفس الشجاعة الواقعية السابقة إن انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان قد سحب البساط من تحت أقدام فكرة تلازم المسارين " (١)

إذا كانت سوريا قد سحبت قواتها العسكرية من لبنان فإن مخابراتها وحلفاءها مازالوا يمثلون قوة فاعلة في المشهد اللبناني ، وبدت الصورة بعد انسحاب القوات السورية قريبة الشبه بما كانت عليه لبنان إبان اشتعال الحرب الأهلية .

---

(1)عبد اللطيف الحنفي " بعد الانسحاب السوري.. لبنان إلي أين؟! " جريدة الأهرام ١٢ إبريل ٢٠٠٥ .

فإن أحدا لم يعد آمنا علي نفسه, كما لم يعد يتحرك في بيروت وضواحيها باطمئنان وحرية سوي السفير الأمريكي. لأن ثقافة تصفية الآخر عادت لتشيع في أوساط الطبقة السياسية , وأن بيروت عادت عاصمه التجسس والاختراق الأولي في العالم العربي, باعتراف وزير الداخلية السابق سليمان فرنجية, الأمر الذي يضيف أطرافا أخرى غير لبنانيه لها مصلحه في التصفية.

انقسم لبنان إلي معسكرين متمايزين بعد اغتيال رفيق الحريري :

١- معسكر الوفاء .

٢- معسكر الولاء .

أولا : معسكر الوفاء (٨ آزار)

والمقصود به تلك المجموعات التي خرجت للتظاهر في الثامن من شهر مارس(آذار) من عام ٢٠٠٥, تعبيرا عن الوفاء للدور الذي قامت به سوريا سواء لوقف الحرب اللبنانية أو لتحرير الأراضي اللبنانية من الاحتلال الإسرائيلي. وهذه المجموعات هي : الشيعة(حزب الله وحركه أمل) ورموز أخري بينها اثنان من القيادات السنية(د. سليم الحص وعمر كرامي) والعماد ميشيل عون الذي تؤيده قاعدة مارونية معتبرة وهذا المعسكر متحالف مع سوريا وإيران كقوى خارجية تدفعان في اتجاه استمرار حالة التوتر على الجبهة اللبنانية الإسرائيلية رافضة أية تسوية لبنانية إسرائيلية منفردة وتتبنى كل الشعارات العربية التي سادت في عقدي الخمسينات والستينات من القرن العشرين والتي تمثلها اللاءات الثلاثة التي خرج بها مؤتمر الخرطوم بعد هزيمة ١٩٦٧ (لا صلح ، ولا اعتراف ، ولا مفاوضات) مع إسرائيل .

ومعسكر الوفاء هذا مُتَهَم من قِبَل معسكر الولاء بالعمل لصالح الخارج (سوريا و إيران) على حساب المصلحة الوطنية اللبنانية .

ثانيا : معسكر الولاء (١٤ آزار)

أطلق على معسكر الولاء جماعة ١٤ آذار , تيمنا بالتظاهرة الشعبية الكبيرة التي خرجت إلي الشارع في عام ٢٠٠٥ , في ذكري مرور شهر علي اغتيال الرئيس

الحريري, وطالبت وقتذاك بالقصاص من قاتليه وباستعادة لبنان لسيادته واستقلاله, ومن ثم إخراج الجيش السوري, مع التمسك بالولاء للبنان وحده .

ويسعى هذا المعسكر إلى التسوية السلمية مع إسرائيل والتفـرغ لإعمـار لبنـان متحالفا مع أمريكا وفرنسا كقوى خارجية تدفعان في هذا الاتجاه وتتبنى نهج اتفاق المبادئ في أسلو . ولذا أطلق عليهم جماعة الولاء .

هذا المعسكر يضم تيار المستقبل السني عموما الذي يقوده سعد الحريري, كمـا يضم اللقاء الديمقراطي الذي يتزعمه وليد جنبلاط (قاعدة درزية) وبعض التجمعات المسيحية, التي في مقدمتها القوات اللبنانية,(سمير جعجع) وحزب الكتائب(أمـين الجميل).

ومعسكر الولاء (١٤ آزار) مُتَهَم من معسكر الوفاء (٨ آزار) بتنفيذ الأجنـدة الأمريكية التي تستهدف إقامة كيانين مستقلين, ضمن المشروعات التقسيمية التـي تصب في خدمه سياسة الفوضي الخلاقة , التي يتحدث عنها الأمريكيون .

وكما أن الشيعة هم القوه الأساسية في المعسكر الأول, فان السنة يشكلون الثقـل الأهم في المعسكر الثاني, في حين أن المسيحيين الموارنة يتوزعون علي الجانبين. ولأن للفريقين موقفا متناقضا من قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩, الذي دعا إلي عدة أمور, علي رأسها إخراج سوريا ونزع سلاح حـزب الله, فالتراشـق والاشـتباك مستمر بينهما. لكن أهم ما يلحظه المرء حين يدقق في المشهد أن طرفي المواجهة وقطبيها الأساسيين هذه المرة أصبحا الشيعة الذين هم ضد القرار ومـع سـوريا, والسنة الذين أيدوا القرار ووقفوا ضد سوريا(المتهمة بقتل الحريري الذي اعتبـر رمزا للسنة). وذلك استقطاب جديد في العراك اللبناني لأن المواجهة في الحـرب الأهلية(١٩٧٥- ١٩٩٠) كانت بين المسلمين والمسيحيين الموارنة .

إذا حاول المرء أن يرصد ما تحت السطح اللبناني من تفـاعلات وتحركـات, فسوف يكتشف أن اختزال المشهد في معسكري آذار يعد من قبيل التبسيط المخـل. سيفاجأ مثلا بأن لبنان في حقيقة الأمر بلد غيبت فيه السلطة وتم اختطافه. وحـول

المختطفين جماعات تتسابق لكي تحتفظ بأكبر قدر من الحظوظ من الغنيمة. في حين يهيأ البلد كله لمصير مجهول. (1)

الانتخابات البرلمانية اللبنانية (٢٠٠٥)

طرأت على لبنان عدة تطورات سياسية جوهرية في أعقاب اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري في ١٤ فبراير ٢٠٠٥ .وأدت التفاعلات السياسية التي نجمت عن عملية الاغتيال إلى خروج الجيش السوري من لبنان وإلى تصعيد التدخل الدولي في شؤون لبنان عبر قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٥٥٩، وإلى عودة الزعيم اللبناني المعارض الجنرال ميشيل عون بعد أن أمضى ١٥ سنة في المنفى في باريس، وإلى إعادة اصطفاف القوى والتكتلات السياسية اللبنانية الحزبية والطائفية والعائلية. وكان هناك إصرار من مجلس الأمن الدولي ومن الولايات المتحدة وفرنسا بشكل خاص على إجراء الانتخابات التشريعية أو النيابية في موعدها (٢٩ مايو ٢٠٠٥) في ظل أي قانون انتخابي قديم تتفق عليه غالبية الأطراف. وتم تشكيل حكومة من شخصيات مستقلة للإشراف على الانتخابات التشريعية أعلن رئيسها نجيب ميقاتي وأعضاؤها أنهم لن يترشحوا في الانتخابات.. وفي ظل الشد والجذب السياسي وفي ضوء ضغط الالتزام بالمهلة الدستورية تقرر إجراء الانتخابات على أساس قانون عام ٢٠٠٠ بعد أن وقّع رئيس الجمهورية إميل لحود في ٥ مايو ٢٠٠٥ المرسوم ١٤٣٧٧ القاضي بدعوة الهيئات الانتخابية إلى انتخاب أعضاء مجلس النواب بموجب القانون رقم ١٧١ تاريخ ٢٠٠٠/١/٦ وتعديلاته في المواعيد التالية : يوم الأحد ٢٩ مايو ٢٠٠٥ في محافظة بيروت ويوم الأحد ٥ يونيو في محافظة الجنوب ويوم الأحد ١٢ يونيو في محافظتي جبل لبنان والبقاع؛ ويوم الأحد ١٩ يونيو ٢٠٠٥ في محافظة الشمال .(٢)

ووافقت الحكومة اللبنانية على حضور مراقبين من الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي ودول أخرى لمراقبة العملية الانتخابية التي جرت في غياب الوجود العسكري السوري لأول مرة منذ ٣٠ عاما .

---

(1) فهمي هويدي " أحدث صورة لمرآة العرب " الأهرام ٧ مارس ٢٠٠٦
(2) السفير، الحياة والوسط البحرينية مايو ٢٠٠٥

القوي السياسية في لبنان

تتعدد في لبنان القوى السياسية وهي في الغالب تقوم على عقائد دينية أو عصبية عائلية أكثر من قيامها على برامج سياسية ، وتقوم على مصالح فئوية خاصة أكثر مما تقوم على مصالح وطنية عامة ، وهي تحركها المنفعة العاجلة أكثر من الالتزام الحزبي الثابت .(1)

وإليك أهم القوى السياسية التي خاضت انتخابات البرلمانية اللبنانية عام ٢٠٠٥

تيار المستقبل :

أسس رئيس الوزراء الراحل رفيق الحريري تيار المستقبل, وهذا التيار له وجود مميز وواسع النطاق في جميع المناطق اللبنانية خاصة بين المسلمين السُنة , ويعتمد في تحركه علي رصيد الرئيس الحريري الذي تولي مهمة الإنماء والإعمار أثناء توليته رئاسة الحكومة .

حزب الكتائب :

يقود الحزب حاليا رئيسه المحامي منير الحاج , ومن الأهمية الإشارة إلى أن الشعبية الواسعة التي كان يتمتع بها حزب الكتائب إبان قيادة مؤسسة بيار الجميل لم تعد موجودة, فبعد وفاة بيار الجميل وانتهاء الحرب اللبنانية دبت الخلافات القوية بين قيادات الحزب; وبالتالي تشتت هذه القاعدة الشعبية الواسعة ..

حزب الله :

لحزب الله الذي يقوده السيد حسن نصر الله وجود كثيف في جميع المناطق اللبنانية. وقد أسس الحزب الشيخ صبحي الطفيلي سنه١٩٨٢ وأصبح له دور فعَّال في الحياة السياسية اللبنانية لا يمكن تجاوزه. وقد توسعت القاعدة الشعبية لحزب الله بعد نجاحه في قيادة المقاومة اللبنانية وطرد الاحتلال الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية المحتلة في الجنوب والبقاع الغربي وهو ممثل الحلف الإيراني / السوري في لبنان .

---

(1) انظر الفصل الخامس " الشخصية اللبنانية " في هذا الكتاب .

حركة أمل :

يرأس الحركة رئيس مجلس النواب الحالي نبيه بري وقد نجح الرئيس نبيه بري في الحفاظ علي نهج حركة أمل التي أسسها الإمام موسي الصدر في بداية التسعينيات, ونجح بري في تكوين حركة استقطابية واسعة في صفوف المسلمين الشيعة .

آل كرامي :

لعائلة كرامي وجود سياسي تاريخي في مدينة طرابلس ، ورئيس الوزراء المستقيل عمر كرامي يعتمد في تحركه علي قدراته الشخصية, حيث تولي رئاسة الوزارة أكثر من مرة, وعلي إرث والده عبد الحميد كرامي وشقيقه رئيس الوزراء الراحل رشيد كرامي , ويرتبط بعلاقات وثيقة مع سوريا .

سليمان فرنجية :

يتمحور النشاط السياسي والانتخابي الرئيسي للوزير سليمان فرنجية في منطقة زغرتا طرابلس في محافظة الشمال, ويرأس حاليا لائحة ائتلافية انتخابية مع وزير النقل نجيب ميقاتي في مواجهة اللائحة التي يتزعمها الرئيس عمر كرامي, ويتمتع الوزير فرنجية بتأييد واسع وسط الطوائف المسيحية في قري محافظة الشمال, وخصوصا في منطقه زغرتا.

الحزب السوري القومي الاجتماعي :

يرأس الحزب حاليا السيد عليّ قانصو وللحزب قاعدة حزبية واسعة في جميع المناطق اللبنانية , والحزب متحالف مع نبيه بري وحزب الله في الجنوب, وعلاقاته جيدة مع دمشق .

الحزب التقدمي الاشتراكي :

رأس الحزب النائب وليد جنبلاط خلفا لوالده كمال جنبلاط مؤسس الحزب سنة١٩٤٩ الذي اغتيل إبان الحرب الأهلية , ويوجد الحزب بصوره قوية في

صفوف الطائفة الدرزية في جبل لبنان, وخصوصا في منطقتي الشوف وعالية, كما توجد للحزب امتدادات أقل في صفوف الطوائف الإسلامية والمسيحية, ويسعى جنبلاط حاليا لمصالحة المسيحيين, حيث كان للحرب الأهلية دور سلبي كبير بين الطرفين, ولذلك يعمل علي إعادة من تهجر من سكان القرى المسيحية في الجبل.ويعتبر وليد جنبلاط الذي يحوز علي تأييد الغالبية الساحقة من الطائفة الدرزية من الزعماء اللبنانيين الذين يشكلون المعادلة السياسية اللبنانية ..

الجماعة الإسلامية :

للجماعة الإسلامية انتشار واسع في العديد من المناطق اللبنانية حيث يوجد المسلمون السنة الذين يشكلون٢٥% من تعداد سكان البلاد, وهذا الانتشار يبرز بصوره واسعة في مدينه طرابلس وباقي محافظة الشمال عنه في بقية المناطق الأخرى من لبنان.[1]

نتائج الانتخابات البرلمانية اللبنانية (٢٠٠٥)

يتألف مجلس النواب اللبناني من ١٢٨ نائبا. تمكن تحالف قوى المعارضة(جماعة ١٤ آزار) من الحصول على (٧٢) مقعدا نيابيا الأمر الذي أعطاها أغلبية مطلقة تتيح لهم تقرير من يشغل منصب رئاسة المجلس ورئاسة الحكومة والحصول على تأييد كافٍ لإقرار مشاريع القوانين التي تتبناها. وتوزعت مقاعد تحالف المعارضة على النحو التالي :

تيار المستقبل (كتلة الحريري) ٣٦ مقعدا ؛ اللقاء النيابي الديمقراطي (كتلة جنبلاط) ١٥ مقعدا ؛ تيار القوات اللبنانية (جعجع) ٦ مقاعد ؛ لقاء قرنة شهوان ٤ مقاعد ؛ الكتائب الإصلاحية مقعدان ؛ اليسار الديمقراطي مقعد واحد؛ التجدد الديمقراطي مقعد واحد؛ معارضون مستقلون ٤ مقاعد؛ التكتل الطرابلسي ٣ مقاعد .

أما بقية المقاعد فتوزعت على النحو التالي: حركة أمل ١٥ مقعدا ؛ حزب الله ١٤ مقعدا ؛ التيار الوطني الحر (ميشيل عون) ١٤ مقعدا ؛ الكتلة الشعبية (إيلي سكاف)

---

(1) انظر " القوي السياسية في لبنان " جريدة الأهرام بتاريخ ١٩ / ٣ /٢٠٠٥

٥ مقاعد ؛ ميشيل المر وحزب الطاشناق ٣ مقاعد؛ الحزب القومي السوري مقعدان ؛ حزب البعث مقعد واحد؛ مستقلون مقعدان .(١)

تشكل الانتخابات التشريعية اللبنانية الأخيرة , نقطه تحول مهمة في تاريخ لبنان السياسي, وبداية لمرحلة جديدة من العمل الوطني الذي يستهدف مصلحه لبنان وإعلاء شانه.

والواقع أن هناك دروسا عدة يمكن استخلاصها من تلك الانتخابات :

أولها : أن هناك انحياز غالبية اللبنانيين علي اختلاف طوائفهم لخيار العمل السياسي السلمي وإدارة خلافاتهم السياسية بطريقه قانونية في إطار احترام قواعد الديمقراطية , وهذا خير ضمانه لسد الطريق أمام محاولات البعض لزعزعة الأمن والاستقرار من خلال أسلوب السيارات المفخخة , والاغتيالات وآخرها الحادث الذي استهدف الأمين العام الأسبق للحزب الشيوعي اللبناني .

وثانيها : أن الانتخابات جرت بطريقة نزيهة وحرة باعتراف جميع أطراف المعادلة السياسية , ولم يكن هناك تشكيك أو اتهامات جوهرية بالتزوير أو انتهاكات خطيرة كما جري العرف .

وثالثها : أن نتائج الانتخابات توضح أن هناك خريطة سياسية تتشكل في لبنان ترتكز علي تحالفات وتوازنات جديدة .

رابعها : وهو الأهم أن مرحلة ما بعد الانتخابات تتطلب تكاتف جهود جميع اللبنانيين لاحتواء أية محاولات تعبث بالاستقرار اللبناني وجر البلاد إلي شبح الحرب الأهلية من جديد , كذلك ضرورة الاستمرار في مسيرة العمل السياسي الوطني , وتغليب مصلحة لبنان العليا علي أية اعتبارات أخرى , كما أن الحكومة الجديدة يقع عليها عبء الحفاظ علي الوحدة الوطنية اللبنانية ومعالجة الملفات العاجلة , وأهمها استكمال التحقيق في جرائم الاغتيال التي طالت عددا من

---

(1) السفير، الحياة والوسط البحرينية مايو ٢٠٠٥

الشخصيات في مقدمتهم رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري, أيضا مواصلة عملية التنمية ومسيره الإصلاح السياسي. " (1)

وبفوز جماعة ١٤ آزار بالأغلبية المطلقة تمكنت من تشكيل الوزارة التي اختير فؤاد السنيورة رئيسا لها .فبناء على المرسوم رقم ١٤٩٥٢ بتاريخ ١٩-٧-٢٠٠٥ سمي دولة الرئيس فؤاد السنيورة رئيسا لمجلس الوزراء .

وبناء على المرسوم رقم ١٤٩٥٣ بتاريخ ١٩-٧-٢٠٠٥ شكل دولة الرئيس الحكومة، وتألفت من اثنين وعشرين وزيرا .

وجاء في البيان الوزاري للحكومة التاسعة والستون ، حكومة دولة الرئيس فؤاد السنيورة ما يلي :

" إنه البيان الموجَّهُ إلى شباب لبنان وشعب لبنان الناهض الذي انتفض لكرامة الوطن وحرر جنوبه وبقاعه الغربي وعمل على تعزيز استقلالِه وسيادتِه وبادر إلى تجاوزِ مِحَنِ الماضي، بعد استشهاد صانع الإنجازات الكبرى التي تحققت على مدى السنوات الماضية الرئيس الشهيد رفيق الحريري والذي كان هو من يجب أن يكون اليوم أمامكم .

إنه بيان العفو والمصالحة والتسامح والحوار والوفاق، بيان الأعلامِ المرفوعة والحناجر المدوّية. **بيان تلاقي ساحات الديمقراطية، بكل مشاربها واندماجها اليوم في إطار حكومتنا .**

انه بيان مراجعة الماضي من أجل استيعابه وتجاوزه، وبيان الدخولِ إلى المستقبل باقتحامه. بيان الانفتاح على جميع اللبنانيين وعلى الأشقاء وعلى العالم أجمع ليستفيدَ لبنان من مقوماته الوطنية والقومية والحضارية.

لذلك، ستجدون في هذا البيان تمسكاً راسخاً بالمسلَّمات الوطنية وفي طليعتها **العملُ على تطبيق اتفاق الطائف**، وتوجهاً قاطعاً وملتزماً بالعمل على تصحيح

---

(1) رأي الأهرام " ما بعد الانتخابات اللبنانية " تاريخ ٢٢ يونيو ٢٠٠٦

الأخطاء وإطلاق الإصلاح وإحياء المؤسسات وقهر الفساد والقضاء على الهدر، ووضع الأُسُس الثابتة للمستقبل الواعد والزاهر.

إنه بيان العودة إلى الدستور، إلى سيادة القانون، إلى المصالحة الحقيقية، إلى حياة مدنية، تضبط الأداء الحكومي والتصرف الأمني ضمن الأصول الديمقراطية احتراماً لكرامة المواطنين وحرياتهم، وحقّهم في دولتهم ونظامهم، واحتراماً لقيم العدالة وحقوق الإنسان. وعلى هذه القواعد فهو بيانٌ يدعو بكل إخلاص مجلسكم الكريم إلى ممارسة المساءلة الدورية لنا وإلى متابعة ومحاسبة تصرفاتنا على الدوام.

وتؤكد الحكومة التزامها بأن لبنان لن يكون ممراً أو مستقراً لأي تنظيم أو قوة أو دولة تستهدف المساس بأمنه أو أمن سوريا تأكيداً لمبدأ أن أمن لبنان من أمن سوريا وبالعكس.

كما تجدد الحكومة تأكيدها على التضامن والتعاون مع الشقيقة سوريا وعلى أهمية تنسيق الموقف من الصراع العربي الإسرائيلي. وستبادر الحكومة فور نيلها الثقة إلى معالجة أزمة الحدود الطارئة بما يعيد الأوضاع إلى مسارها الطبيعي وإلى ما ينبغي أن تكون عليه العلاقات بين بلدين جارين وشقيقين وأن تعمد إلى معالجة السلبيات الأخرى التي تضر بمصالح البلدين، والتطلع إلى مستقبل مشرق وتعاون كامل في مختلف المجالات، وذلك في إطار السيادة والاستقلال لكلٍ منهما لدرء المخاطر والتحديات الناجمة عن الضغوطات والتحولات الإقليمية والدولية.

وتؤكد الحكومة على التزامها بمتابعة قضية المفقودين والمعتقلين في السجون السورية وذلك من خلال اللجنة المشتركة اللبنانية - السورية التي تم الإتفاق عليها بين البلدين.

وتؤكد الحكومة حرصها على التمسك باحترام القانون الدولي وحسن العلاقة مع الشرعية الدولية واحترام قراراتها وذلك في إطار السيادة والتضامن والوحدة الوطنية. كذلك وفي إطار إطلاق حوار داخلي لبناني بهدف الوصول إلى توافق

وطني يقوم على تعزيز الوحدة الوطنية والتأكيد على مصالح البلاد العليا، والعمل على تعزيز موقع لبنان وصدقيته ضمن الأسرة الدولية.

وتعتبر الحكومة أن المقاومة اللبنانية هي تعبير صادق وطبيعي عن الحق الوطني للشعب اللبناني في تحرير أرضه والدفاع عن كرامته في مواجهة الاعتداءات والتهديدات والأطماع الإسرائيلية، والعمل على استكمال تحرير الأرض اللبنانية .

كذلك تؤكد الحكومة على الاستمرار في رفض التوطين الذي يُخِلُّ بالحقّ العربي الفلسطيني، ويتناقض مع وثيقة الوفاق الوطني.

وتعلن الحكومة عن اهتمامها بمتابعة قضية الأسرى والمعتقلين في السجون الإسرائيلية ومطالبة المجتمع الدولي بالضغط على إسرائيل للإفراج عنهم.

تتعهد الحكومة بدعم الجيش وتعزيز قوى الأمن الداخلي وتوفير كل الإمكانيات التي تمكنها من القيام بمهامها الوطنية. وستكون من أولويات هذه الحكومة إعادة بناء المؤسسات والأجهزة الأمنية وتحديد مهامها وصلاحياتها ومسؤولياتها ومتطلباتها وكذلك إخضاعها للمبادئ التي نص عليها اتفاق الطائف بالنسبة إلى صلاحيات الأمن العسكري وحدوده من جهة وحماية الحياة المدنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبنانيين من أية وصاية من جهة أخرى. وانطلاقاً من هذا التوجه الإصلاحي ستستكمل الحكومة المناقلات والتعيينات اللازمة على كل المستويات القيادية.

تعتبر الحكومة أن هذه الحقبة هي مرحلةٌ جديدة في تاريخ لبنان، إنَّها حقبةُ تطبيق اتفاق الطائف، وحَقبة احترام الدور الذي أنيط بالمؤسسات الدستورية وبخاصة مؤسسة مجلس النواب ومؤسسة مجلس الوزراء، بالإضافة إلى التأكيد على أهمية فصل السلطات من ضمن صيغة التعاون بينهما.

لذا تصرّ الحكومة على تفعيل العلاقة الجيدة بين هاتين المؤسستين الدستوريتين، وإرساء جو التضامن الديمقراطي من خلال الإفصاح والشفافية في العمل،

والمساءلة، والشرح، والتواصل المستمر، والمحاسبة في إطار مؤسساتي، بما يتيح لوزارة الدولة لشئون مجلس النواب لعب دور جديد وفاعل في هذا المجال.

وفي هذا الخصوص، ترحب الحكومة بالمبادرة إلى إطلاق فكرة الجلسات الدورية للمساءلة، جرياً على ما هو معمول به في العديد من الدول الديمقراطية وبما يؤكد على الفصل بين السلطتين التشريعية من جهة، والتنفيذية من جهة أخرى، وبما يعزز الممارسة الديمقراطية والدستورية ويرفع مستويات الإفصاح والمحاسبة وحسن الأداء. **ما عاد مقبولاً أن يعيش اللبنانيون في ظلّ دستورٍ نضعُهُ ولا نطبقه أو نلتزم به. ومؤسَّسات أكثرُها لا يعمل. وقوانين لا تنفَّذ .**

وما عاد مقبولاً أن يظلَّ أَمْنُ المُواطن عُرضةً للاهتزاز، وعيش المُواطن عُرضةً للضَياع. ومُشكلات المُواطن الكبيرة والصغيرة لا يُعالَجُ معظمُها إلاّ في وسائل الإعلام، ومن ضمن الإثارة المعهودة.

إذا كنا نريد لوطننا البقاءَ والاستمرار والنهوض، فلا بُدَّ من التغيير والتجديد والإصلاح. **والإصلاحُ مؤلمٌ، والتغييرُ أكثر إيلاماً. وهما مؤلمان لأنهما اصطدما دائماً بمصالحَ مستقرّةٍ نجح أهلُها في تصويرها باعتبارِها مصالحَ طائفةٍ ما، أو منطِقةٍ ما، أو زعامةٍ ما.**

نحنُ والعربُ والعالَمُ أمام شعبٍ خرجت ملايينُهُ طلباً للوفاق والتوافق، وطلباً للحرية، وطلباً للدولة القوية القادرة، وطلباً للديمقراطية، والعيش الكريم. ولا عيشَ ولا كرامةَ ولا حريةَ إلاّ بالتغيير الذي يُجدّدُ النظام، وإلاّ **بالإصلاح الذي يُصوّبُ مسارَ عملِ المؤسسات، ويضعُ الدستورَ والقوانينَ موضعَ الاحترام والتنفيذ، ويحقّقُ النهوض للوطن والدولة والنظام.**

والمسؤوليةُ مشتركة. والوطنُ واحد. والدولةُ واحدة. وينبغي تطوير النظام بما يسمح بمواجهة المشكلات والتحديات، أو يستمرُّ اللبنانيون في البحث عن نظامٍ يصونُ وجودَهم وحرياتِهمْ وعيشَهُمُ المشترك، ومستقبلَهُمُ الواعد. فالأوطان لا تتغير ولا تُستبدَل. والدولُ لا تتغيرُ ولا تُستبدَل، وإنما تتغير الأنظمةُ وتتجددُ أو تسقُط.

ولأننا نريدُ أن ننجح ولا نسقُط يكونُ علينا العملُ بكلّ قوانا علـــى تجديــد النظـــام وإصلاحه.

الحاجاتُ كثيرة، والإمكاناتُ ضئيلة، **ومتى تم التوحد من حول هذه الأهـداف ومتى توافرت العزيمةُ والإرادةُ أمكن إقناعُ الآخرين بجديتِنا وبمساعدتِنا**، وبالتالي أمكن تحسين المردود وأمكن تحقيق الأهداف. لا بد أن نبدأ هذا البرنامجَ الطموحَ، هذا المسار من خلال ورش عمل محددة، ونتقدمَ فيه على أساس الإنجــاز، وعلـى أساس ذهنية التجديد والتطوير ومكافحة اليأس واللا جدوى. فالمطلوب إذن أمـــران اثنان: ذهنية التطوير والتجديد، وبدءُ المسار الوطني النهضوي الجديد .(1)

ومن الملاحظ تركيز بيان الوزارة على العمل على تطبيق اتفــاق الطــائف ، و تلاقي شتى المشارب واندماجها في إطار الحكومة ، والعودة إلى الدستور، وإلـــى سيادة القانون، وإلى المصالحة الحقيقية، وإلى حياةٍ مدنية، تضبط الأداء الحكــومي والتصرف الأمني ضمن الأصول الديمقراطية ، والتأكيد على الالتزام بأن لبنان لن يكون ممراً أو مستقراً لأي تنظيم أو قوة أو دولة تستهدف المساس بأمنه ، والتأكيد على الالتزام بمتابعة قضية المفقودين والمعتقلين في السجون السورية ، ومطالبــة المجتمع الدولي بالضغط على إسرائيل للإفــراج عــن المعتقلــين فــي الســجون الإسرائيلية ، إنّها حَقَبةُ تطبيق اتفاق الطائف، وحَقَبة احترام الــدور الــذي أنــيط بالمؤسسات الدستورية وبخاصة مؤسسة مجلس النواب ومؤسسة مجلس الــوزراء " فما عاد مقبولاً أن يعيش اللبنانيون في ظلّ دستورٍ نضعُهُ ولا نطبقه أو نلتزم به. ومؤسَّسات أكثرُها لا يعمل. وقوانين لا تنفَّذ "

دوافع حزب الله للقيام بعملية الوعد الصادق

بدأت وزارة السنيورة في تطبيق برنامجها الطموح ، لكن هناك مــشكلة كانــت الوزارة تعتبرها عقبة في سبيل وحدة لبنان ، وسيادة الدســتور ، وتطبيــق اتفــاق الطائف وقرار الأمم المتحدة ١٥٥٩ ، وهي سلاح حزب الله ، فلم يعد مقبولا وقــد

---

(1) الجمهورية اللبنانية ، رئاسة مجلس والوزراء ، المديرية العامة .

نُزِع سلاح جميع الميليشيات أن تبقى هناك طائفة مسلحة ذات سيادة خارجة عن سيادة الدولة ، ولا سيما إذا كانت هذه الطائفة لها علاقات خاصة بأطراف خارجية لها أجندتها الخاصة التي ليست بالضرورة متطابقة مع مصلحة لبنان بل في أحايين كثيرة كانت متعارضة معها ، فمن مصلحة لبنان تهدئة الصراع مع إسرائيل والسير في طريق التسوية السلمية معها حتى تتفرغ للتنمية والتعمير والإصلاحات الداخلية التي تأثرت كثيرا بهذا الصراع الطويل المرير الذي – ربما – كان له ما يبرره فيما قبل حيث كانت إسرائيل والميليشيات التابعة لها تبسط نفوذها على الجزء الجنوبي من الأرض اللبنانية .

أما وقد تحرر الجنوب ، ولم يبق إلا جزء صغير – مزارع شبعا – يمكن التوصل فيه لحل عن طريق المفاوضات الدولية . وقد تمت فعلا عدة اجتماعات دولية لبحث مشكلة مزارع شبعا فور انسحاب القوات السورية من لبنان حتى تقطع الطريق على سوريا للتدخل ثانية في الشأن اللبناني متخذة مزارع شبعا المحتلة ذريعة للتدخل في الشأن اللبناني وربط مسار المفاوضات والتسوية الشاملة الإسرائيلية / اللبنانية بالإسرائيلية / السورية .

فقد ذكرت أنباء صحفية أن اجتماعات مكثفة عقدت في العاصمة الفرنسية باريس, بمشاركة ممثلين أوروبيين وعرب وإسرائيليين, تحت إشراف الإدارة الأمريكية وضغط منها, خصوصا علي الجانب الإسرائيلي, للبحث في آليات الانسحاب الإسرائيلي من القسم اللبناني من مزارع شبعا, وأنه تم التوصل إلي تفاهم علي أن تنفذ قوات الاحتلال الإسرائيلي عملية إعادة انتشار واسعة في تلال تلك المنطقة وهضباتها, تؤدي إلي إخلاء كل المنطقة المتنازع عليها, والتي تطالب بها السلطة اللبنانية وحزب الله , علي أن تنشر فيها قوات الفصل الدولية الموجودة في مرتفعات الجولان , وتوسع تمركزها من سفوح جبل الشيخ الجنوبية الغربية إلي منطقه شبعا.

ويقضي هذا التفاهم, بأن تصبح مزارع شبعا أو المنطقة المحيطة بها من كل الأنحاء منطقه دولية مشتركة تتقاسم السيطرة عليها الدول الثلاث سوريا ولبنان

وإسرائيل, وكل ما في المنطقة الخاضعة له, وهذا يعني عمليا عودة الأراضي التي يطالب بها لبنان وأهالي شبعا إلي السيادة اللبنانية بتغطية من الأمم المتحدة في انتظار التوصل إلي السلام علي المسار السوري الإسرائيلي, حيث يتم تسليم المنطقة إلي لبنان . (1)

أما وقد وصلت المفاوضات الإسرائيلية / اللبنانية إلى هذا الحد ، فلِمَ يظل أمْنُ المُواطن اللبناني عُرضةً للاهتزاز ، وعيشه عُرضةً للضَياع بسبب طائفة تملك قرار الحرب من دون الحكومة ، مليشيا مسلحة لا تخضع لسلطة مجلس الوزراء الذي من صلاحيته – وفق اتفاق الطائف – خضوع القوات المسلحة لسلطته " إن مجلس الوزراء هو السلطة التي تخضع لها القوات المسلحة " كما أن قرار الحرب والسلم، والتعبئة العامة، والاتفاقيات والمعاهدات الدولية تحتاج إلى موافقة ثلثي أعضاء مجلس الوزراء – كما نص على ذلك اتفاق الطائف أيضا – فكيف يترك لطائفة ما سلطة اتخاذ مثل هذه القرارات الخطيرة من دون مجلس الوزراء .

وفي المقابل فإن حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله قد ظل حريصا دائما علي إعلان تحالفه مع سوريا رغم الاغتيالات التي حصلت بعد مقتل الرئيس الحريري , ورغم التدخلات السورية الأمنية العلنية في الشأن اللبناني. لكنه حرص أيضا علي عدم القطع أو التخاصم مع النائب سعد الحريري والرئيس السنيورة , رغم تكرر الأزمات في العلاقة بين الطرفين .

وقد اتضح من جلسات مجلس الوزراء, ومن المحادثات مع الحريري والسنيورة , ومن جلسات هيئة الحوار الوطني , أن المقصود من هذه المطاولة والاعتدال الظاهر الحفاظ بأي ثمن علي السلاح بيد الحزب, تارة باسم رد الاعتداءات الإسرائيلية أو تحرير مزارع شبعا; وطورا بالاستمهال لحين الاتفاق علي استراتيجية الدفاع عن لبنان; وبانتظار ذلك فإن سلاح الحزب كما قال أمينه العام ليس للهجوم بل لتحقيق توازن الرعب مع العدو ! (2)

---

(1) فتحي محمود " أنباء عن اجتماع في باريس لبحث آلية الانسحاب الإسرائيلي من مزارع شبعا " جريدة الأهرام بتاريخ ٢٦ / ٥ / ٢٠٠٥

(2) د. رضوان السيد " لبنان في مهب الصراع علي المنطقة العربية " جريدة الأهرام بتاريخ ٢٢ يوليو ٢٠٠٦

كما أن سوريا – حليفة حزب الله – تريد دائما ربط مسار المفاوضات والتسوية الشاملة السورية / الإسرائيلية ، بالإسرائيلية / اللبنانية فهي تستخدم لبنان وصراعها مع إسرائيل كورقة ضغط على إسرائيل لتحرير الجولان السورية !! وترفض رفضا تاما فصل المسارين لأنها في هذه الحالة سوف تضطر لخوض صراع مباشر مع إسرائيل وهو مالا تريده و لا تقوى عليه ، وتفضل عليه قيام لبنان أو حزب الله تحديدا بهذا الصراع بالوكالة عنها وهو ما يضر بالغ الضرر بالمصلحة اللبنانية .

لذا تسعى سوريا دائما لإحباط أي تسوية لبنانية / إسرائيلية لأنها تجعل سوريا في مواجهة مباشرة مع إسرائيل ، وهي لا ترضى في المفاوضات مع إسرائيل إلا بتلازم المسارين اللبناني والسوري بل والفلسطيني أحيانا لتبدو أما العالم العربي أنها الراعي الرسمي لحقوق الشعب الفلسطيني واللبناني هذا ما تحاول سوريا وحلفاؤها من اللبنانيين تأكيده دائما والذي عبر عنه وزير الخارجية اللبناني الأسبق محمود حمود بقوله :

" وبالرغم من إمكانيات السلام الضئيلة اليوم، يستمر لبنان بالسعي نحو السلام ضمن الثوابت الوطنية، متمسكا بتلازم المسارين اللبناني والسوري وبمستلزمات السلام الشامل والعادل التي تتمحور حول الاعتراف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين وبإقامة دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس على ترابهم الوطني وبتسوية مشكلة اللاجئين على أساس حق العودة ، وكذلك بالانسحاب الكامل من الجولان السوري حتى خط الرابع من حزيران ١٩٦٧ ومن بقية الأراضي اللبنانية التي تحتلها إسرائيل. (1)

فسوريا العاجزة عن مواجهة إسرائيل تتخذ كلا من المقاومة الفلسطينية واللبنانية كوكيلين عنها في صراعها مع إسرائيل وهي لا تتوانى في التضحية بمستقبل هذين البلدين المنكوبين في سبيل الوصول إلى تسوية مرضية لها مع إسرائيل حول

(1) من محاضرة وزير الخارجية والمغتربين – الأستاذ محمود حمود حول " ثوابت سياسة لبنان الخارجية بعد الطائف " في ٢٠٠٢/٢/٢٧ – وزارة الدفاع .

الجولان ، وإن كان الخطاب المعلن للنظام السوري هو دعم المقاومة العربية (فلسطينية ولبنانية) للحصول على حقوقهما المشروعة من منطلقات قومية عربية تحمل سوريا لواءها بعدما تخلت عنها مصر بعد جمال عبد الناصر !!

ويوجه إبراهيم نافع عدة أسئلة للنظام السوري في هذا الصدد فيقول :

" هل ستذهبون إلى المؤتمر الدولي في المفاوضات المباشرة مع إسرائيل لاستعادة الجولان دون تفريط في الأرض والسيادة ؟

هل ستعفون الأشقاء الأردنيين والفلسطينيين من مؤامراتكم المعتادة لإفساد أي جهد مشترك للتقارب بينهم ولاسترداد الأرض المحتلة بالقوات الإسرائيلية ؟

هل ستتوقفون عن ممارسة ألعابكم الشيطانية لشق الجبهة الفلسطينية ، واستقطاب بعض فصائلها للخروج على القيادة الشرعية تحت أية مسميات تستهدف عرقلة جهود الحل العادل ؟

ثم بعد عشر سنوات رجعتم لبعض أراضي لبنان . ألم يحن الوقت بعد لترفعوا أيديكم عن لبنان الذي تمزق بفضل الوجود السوري المزمن فيه شر ممزق ؟

ألم تقتنعوا بعد بأن وجودكم في لبنان قد أسهم في تعقيد مشكلاته ، وتعميق الفرقة والتجزئة فيه بعد أن سمحتم بإدخال النفوذ الإيراني إليه حتى أصبح أحد مشاكله المتفجرة الآن ؟

ألم يحن الوقت بعد لكي تتركوا اللبنانيين أنفسهم حق اتخاذ القرار المستقل في إعادة وحدة أراضيه ، وفي التفاوض من أجل التسوية الشاملة لاستعادة جنوبه المحتل ؟

أم ماذا تريدون بالضبط ؟

وكل ما سبق سوف يحدث يوما ما بالضرورة لأنه حتمية تاريخية لا يمكن تأجيلها إلى الأبد ولأن الصمت العربي عن سياستكم التخريبية لن يطول أكثر مما طال ."(1)

---

(1) إبراهيم نافع " آفاق التسعينات " مركز الأهرام للترجمة والنشر الطبعة الأولى ١٩٨٨ ص ٢٠٠

هذا هو هدف سوريا من تواجدها في لبنان منذ ١٩٧٦ وحتى خروجها مكرهة بعد اغتيال رفيق الحريري الذي كان يعارض الوجود السوري في لبنان ويعده عبئا ثقيلا على لبنان يضاعف من مشاكله ويؤخر تقدمه واستقراره ، وعلى الرغم من خروج القوات العسكرية السورية من لبنان في أبريل عام ٢٠٠٥ إلا أن حلفاء سوريا وعملاءها ومخابراتها بقت ذات تأثير قوي ومؤثر في لبنان ، ويعد حزب الله هو أكبر حلفاءها .

" وسوريا المعزولة والمُتْعَبَة بعد الخروج من لبنان، وتحوّل النظام إلى بُعبُع في الداخل والخارج، يعودُ لها دورٌ من نوعٍ ما، اعتاد نظامُها، نظامُ المقاولاتِ والمبادلات عليه طوالَ ثلاثين عاماً. النظام السوري خالي الوفاض الآن داخلاً وخارجاً " (1)

أما إيران قبلة حزب الله الروحية فإنها كانت تمر بأزمة دولية أهم أسبابها :

١- فشل الجولة الأولي من المحادثات بين موفدها لاريجاني, وبين وفد الاتحاد الأوروبي بشأن العرض الأوروبي ببروكسل لبدائل النووي, وتصريح الأوروبيين(سولانا وغيره) بأنهم يتجهون لإعادة الملف النووي الإيراني إلي مجلس الأمن .

وكانت إيران قد حذرت في مناسبات مختلفة أنها ستستخدم نفوذها في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان، إذا أحيل ملفها النووي إلى مجلس الأمن وفرضت عليها عقوبات. (2)

٢- استباق اجتماع الدول الصناعية الثماني ببطرسبرج (١٦-١٧ /٧ / ٢٠٠٦) الذي كان مقدرا له الانشغال بالنووي الإيراني بالذات, خاصة بعد تحول موقف روسيا إلي جانب إعادة الملف النووي إلي مجلس الأمن .

٣- التوتر الذي طرأ علي العلاقات العربية الإيرانية بعد اجتماع دول الجوار العراقي بطهران قبل أسبوعين, إذ دأبت إيران منذ أواسط عام ٢٠٠٥ علي تكثيف اتصالاتها بدول الخليج, وحتى بمصر, مطمئنة إلي أنها لا تقصد بالنووي أو

---

(1) رضوان السيد " لبنان وصراع العرب وإيران " جريدة الشرق الأوسط في تاريخ ٢٢ يوليو ٢٠٠٦

(2) محمد عباس ناجي " حرب لبنان.. مكاسب وخسائر إيران " إسلام أون لاين – نت ٢٠٠٦/٠٨/٢٣م

بسياستها في العراق المساس بالمصالح العربية; وأنها إنما تريد استعاده التوازن بعد أن ظلت الولايات المتحدة خلال أكثر من عقدين تحاصرها, وتنال من مصالحها الوطنية. وفي الشهور الأخيرة خطت خطوة أبعد للأمام تجاه العرب عندما نبهت إلي إمكان التعاون معهم لحل المشكلات الناجمة والمتفاقمة في العراق وفلسطين. لكنها في اجتماع طهران لدول الجوار اعتبرت أن مشكلة العراق ستنتهي بالانسحاب الأمريكي منه, والمطلوب مواجهة السياسات الأمريكية والإسرائيلية بفلسطين ولبنان وسوريا, وهي الجهات التي لا تزال أراضيها محتلة, وهكذا فقد شعرت بعض الأطراف العربية بأن هناك نوعا من الابتزاز والاستقواء ومحاولات الاستغلال (1)

وفي فلسطين كان الوضع متأزما بعد أن قامت حماس بقتل جنديين إسرائيليين، واختطاف ثالث . في ٢٥ / ٦ / ٢٠٠٦ وقد وجدت إسرائيل في ذلك ذريعة لاجتياح غزة التي كانت قد انسحبت منها ، واعتقال معظم وزراء حكومة حماس ، وشن غارات وحشية عليها مما كبد الشعب الفلسطيني عشرات القتلى ومئات الجرحى غير هدم البيوت وتدمير البنية التحتية ، وإغلاق المعابر مما كبد الفلسطينيين خسائر مادية وبشرية كبيرة ومازال الاعتداء مستمرا .

ويعتبر حزب الله أن سلاحه هو مصدر قوة للبنان لأنه كما يقول الحزب يقيم من خلاله توازن رعب مع إسرائيل . إلا أن قوى الأكثرية الحالية تعتبر أن الجيش اللبناني هو الذي يجب أن يقوم بدوره في حماية لبنان، وأنه لا موجب لبقاء سلاح حزب الله بعد أن أتمت إسرائيل انسحابا من الجنوب خاصة وأنه الميلشيا الوحيدة التي ما تزال تحتفظ بسلاحها بعد أن حلت كل الميليشيات اللبنانية نفسها مطلع التسعينات .

ويعبر أطراف لبنانيون عن مخاوفهم من بقاء السلاح في يد طرف لبناني ينتمي إلى طائفة معينة في ظل الصراع الداخلي القائم والانقسام الحاد بين القوى الموالية لسوريا وإيران ، وتلك التي تحملها مسؤولية الاغتيالات التي سجلت في لبنان أرقاما قياسية .

---

(1) د. رضوان السيد " لبنان في مهب الصراع علي المنطقة العربية " جريدة الأهرام بتاريخ ٢٢ يوليو ٢٠٠٦

ويرفض حزب الله دمجه في الجيش ويعتبر أن الصيغة الوحيدة التي يقبل بها هي بقاء سلاحه وقيامه بالتنسيق مع الجيش وهو ما ترفضه قوى الأكثرية التي تعتبر أن قرار السلم والحرب يجب أن يعود للدولة وحدها وليس لأي طرف داخلي .

يذكر أن قادة الأحزاب والقوى اللبنانية سيجتمعون مجددا في الثامن من أغسطس ٢٠٠٦ لاستكمال البحث في البند المتعلق بسلاح حزب الله بعد أن عرض أمين عام الحزب وجهة نظره أمام المتحاورين وفيها أكد وجوب احتفاظ الحزب بسلاحه . (1)

حسن نصر الله يشعل فتيل المعركة مع إسرائيل

وجد حزب الله نفسه في مأزق حقيقي هو وحلفاؤه في الداخل والخارج فلم يجد بداً من القيام بعملية حربية تثير معركة محدودة – وليست حربا شاملة – مع إسرائيل فأقدام على قتل ثمانية جنود إسرائيليين وخطف اثنين من خارج الحدود الدولية اللبنانية يوم ١٢ يوليو ٢٠٠٦ ، وكان حسن نصر الله يظن أن رد الفعل الإسرائيلي سيكون محدودا فلا يتجاوز قصف بعض مواقع حزب الله بالطائرات أو المدافع بغرض كف حزب الله عن الإقدام على مثل هذه العمليات مرة ثانية .

لذا كان كانت العملية التي قام بها عملية محدودة ، وكانت خسائر إسرائيل فيها قليلة أيضا .

" إن عدد الجنود الإسرائيليين الذين لقوا حتفهم في هجوم حزب الله وما تبعه من مواجهات بلغ ثمانية إضافة إلى ٢١ جريحا إسرائيليا." (2) بالإضافة إلى أسير جنديين إسرائيليين .

وعقد حسن نصر الله مؤتمرا صحفيا أكد فيه أن الجنديين الإسرائيليين الذين أسرهما الحزب في مكان آمن، ولن يتم تسليمها إلى إسرائيل إلا بوسيلة واحدة هي "التفاوض غير المباشر والتبادل "مع أسرى في سجون الاحتلال .

---

(1)) نقلا عن وكالة الأنباء BBC الأربعاء ٢٤ مايو ٢٠٠٦

(2) الجزيرة نت .

ولم يكن يفكر حسن نصر الله مطلقا – كما صرح هو بذلك – (1) في أن رد الفعل الإسرائيلي سيكون عنيفا يصل لدرجة إقدامها على شن حربا شاملة ومفتوحة على لبنان كلها . إنما كان يتوقع قيام إسرائيل باجتياحات محدودة كما حدث في عام ١٩٩٦ عندما دمرت إسرائيل ٧٠ قرية وهجرت نحو ٣٠٠ ألف مواطن لبناني بسبب إطلاق مقاومي حزب الله صواريخ الكاتيوشا على مناطق مأهولة بالسكان في شمال إسرائيل .

لذا فقد نفى حسن نصر الله في المؤتمر الصحفي الذي عقده في الضاحية الجنوبية ببيروت نيَّة حزب الله التصعيد في الجنوب وأخذ لبنان والمنطقة إلى الحرب، لكنه حذر إسرائيل من أنها إذا اختارت المواجهة والتصعيد فإن المقاومة جاهزة للذهاب إلى أبعد ما يمكن "وعليهم أن يتوقعوا المفاجآت " ، وأشار إلى أن مقاتلي حزب الله ما زالوا يمارسون ضبط النفس ويتصرفون بردودْ فعل محسوبة ومدروسة.

وهوَّن نصر الله من تهديدات رئيس الأركان الإسرائيلي باجتياح لبنان وإعادته ٢٠ عاما إلى الوراء قائلا إن لبنان الآن غير لبنان قبل ٢٠ عاما والمقاومة الآن غير وإمكانياتها غير وتهديده "مقياس خطأ " .

ووجه نصر الله رسالة إلى الداخل اللبناني طالب خلالها الحكومة والمسئولين والسياسيين بتحمل مسؤولياتهم الوطنية وحذرهم فيها من التصرف بطريقة تشكل غطاء للعدوان الإسرائيلي على لبنان .

ونفى حسن نصر الله أن يكون لهجوم ١٢ يوليو ٢٠٠٦ أي علاقة بالحملة العسكرية الإسرائيلية على قطاع غزة عقب أسر المقاومة الفلسطينية جنديا للاحتلال في معبر كرم أبو سالم جنوب القطاع، مشيرا إلى أن العملية مخطط لها منذ ثلاثة أشهر .

---

(1) فقد صرح السيد حسن نصر الله في لقائه مع شبكة " تلفزيون الجديد" : إن "قيادة حزب الله لم تتوقع ولو واحد بالمئة أن عملية أسر الجنديين ستؤدي إلى حرب بهذه السعة وبهذا الحجم،. و لو علمت أن عملية الأسر كانت ستقود إلى هذه النتيجة لما قمنا بها قطعا."

لكنه عاد فأكد أن العملية التي نفذها حزب الله تشكل دعما كبيرا ومساندة كبيرة للفلسطينيين، مشيرا إلى أنها قد تكون مخرجا فكون الإسرائيليين لا يريدون التفاوض مع حركة المقاومة الإسلامية حماس، إلا أنهم سيتفاوضون مع حزب الله في النهاية لأنهم فعلوها في السابق. (1)

إذن حزب الله كان يخطط لهذه العملية المحدودة من مدة ثلاثة أشهر ، وأنه لا يطلب في نظير تسليم الجنديين الإسرائيليين المختطفين الإفراج عن المعتقلين الثلاثة اللبنانيين في السجون الإسرائيلية بل الدخول في مفاوضات غير المباشرة مع إسرائيل للإفراج عن جميع الأسرى العرب المعتقلين في السجون الإسرائيلية والذين يبلغ عددهم نحو (١٠,٠٠٠) معتقل !!

وخاطب حسن نصر الله من يقول إنه فوجئ بعملية الخطف بقوله ' لقد أعلنت ذلك أكثر من مرة و حتى علي طاولة الحوار أكدت أننا سنعمل علي خطف جنود للعدو من أجل تحرير أسرانا.. هل كان عليّ أيضا أن أبلغهم بالموعد وأنا لا أعرفه ؟'.

وشدد الأمين العام لحزب الله علي أولوية إطلاق سراح الأسير اللبناني سمير القنطار ورفاقه, مؤكدا أن العملية مفتوحة ومتروكة للتفاوض غير المباشر. (2)

وحزب الله إذ أقدم على ما أقدم عليه يريد أن يضرب اثني عشر عصفورا بحجر واحد :

- أن يشعل الجبهة الإسرائيلية / اللبنانية ليكون ذلك مسوغا لاحتفاظه بسلاحه دفاعا عن لبنان من الاعتداءات الإسرائيلية التي هو السبب فيها .

- شغل أعدائه من جماعة ١٤ آزار بالعدوان الإسرائيلي المتوقع والعمل على إزالة آثار العدوان عن الدخول في صراعات داخلية مع حزب الله .

- رفع الغبن عن الشيعة سكان الجنوب الذين عانوا – وما يزالون – من الفقر والحرمان بعدما منعتهم الممارسة الطويلة لتلك السيطرة المارونية من معظم مواقع التأثير السياسي والاقتصادي والإداري .

---

(1) الجزيرة نت .
(2) جريدة الأهرام ٢٢ / يوليو ٢٠٠٦

١- مساعدة النظام السوري - حليفه - على التوصل لتسوية سلمية مع إسرائيل التي تعلم جيدا ، وتعلن دائما تبعية حزب الله للنظام السوري .

١- تعطيل إنشاء المحكمة الدولية التي هدفها التحقيق في جريمة اغتيال الشهيد الحريري ، وإبعاد حبل المشنقة عن رقبة بعض المسئولين السوريين فيما لو انتهى التحقيق بإدانتهم .

١- تخفيف الضغط عن النظام الإيراني فقد قرر أحمدي نجاد بعد فوزه في الانتخابات الرئاسية - بتأييد المرجعية الشيعية في إيران له - مواصلة برنامج إيران النووي ، من منطلق ولاء حزب الله الشيعي لإيران زعيمة الشيعة وقبلتهم الروحية .

١- تنفيذ الأجندة الإيرانية التي تهدف على إعادة الإمبراطورية الفارسية التي ورثها العرب عنهم قديما ، والتي تسعى الولايات المتحدة إلى وراثتها حديثا .

١- تثبيت دعائم الرئيس إميل لحود الذي وصل إلى الحكم على أسنة رماح القوات السورية ، وفور خروجها من لبنان تعالت أصوات المعارضة بالضغط عليه للتخلي عن الحكم الذي وصل إليه بمخالفة دستور البلاد وبدعم مباشر من سوريا .

١- تخفيف الضغط عن حكومة حماس ، وعن الشعب الفلسطيني بعد الاجتياح الإسرائيلي لقطاع غزة على إثر اختطاف الجناح العسكري لحركة حماس قتل جنديين إسرائيليين واختطاف الثالث .

٢- إظهار الشيعة بمظهر البطولة والفدائية في مواجهة إسرائيل عدو الأمة مما يدعم موقفهم في بلادهم وخاصة في العراق بعدما عاش الشيعة دهورا متطاولة ينظر إليهم من قبل أهل السنة - علماء وعامة - على أنهم كفار خارجين عن الملة الإسلامية ، وأنهم أشد خطرا على الإسلام والمسلمين من أعدائهم الخارجيين لذا كانوا دائما يعانون القهر والذل من الحكام السنة وما فعله صدام حسين بشيعة العراق أكبر شاهد على هذا .

٢- كسب الرأي العام العربي الذي يعشق كل من رفع سلاحا في وجه إسرائيل بغض النظر عن جدوى هذا الفعل ونتيجته .

١٢- إعادة لبنان إلى أجواء الحرب الأهلية تمهيدا لعودة سوريا ، وإيران كلاعبين رئيسيين فيه .

لهذه الأسباب أقدم حزب الله يوم ١٢ يوليو ٢٠٠٦ على قتل ثمانية جنود إسرائيليين واختطاف اثنين من خارج الحدود اللبنانية بأوامر من طهران ودمشق ،

ولم يخطر ببال حسن نصر الله أن تقوم إسرائيل بهجوم شامل على لبنان إنما كان يتوقع قيام إسرائيل بعمليات محدودة يقصف فيها الطيران بعض الأهداف لحزب الله ، وربما تقوم بعض الوحدات من الجيش الإسرائيلي باجتياح جزئي لبعض وحدات تمركز قوات حزب الله في الجنوب اللبناني وليس في ذلك كبير خطر على حزب الله لأنه ينفذ بدقة نظرية قتال العصابات (الاختفاء من الميدان عندما يوجد هجوم للعدو إلى أن يمر الغضب) من الصعب جدا إلحاق الهزيمة بها. ويضرب المقاومون العدو ثم يختفون ويذوبون في الشعب ، لكن أن تشن إسرائيل حربا شاملة ومفتوحة تعيد لبنان إلى ٢٠ سنة للوراء فلم يكن في حسبان حزب الله قط .

وفي نفس اليوم الذي قام فيه حزب الله بعمليته ردت القوات الإسرائيلية على عملية حزب الله بشن غارات جوية وبرية وقصف مدفعي على قرى ومواقع حيوية لبنانية في الجنوب مما أسفر عن مقتل مدنيين وتدمير الجسر الرابط بين صور وصيدا إلى جانب قصف محطة كهرباء .

كما انضمت قوات بحرية إسرائيلية للهجوم، واستدعى الجيش الإسرائيلي فرقة احتياط مؤلفة من ستة آلاف جندي لنشرها سريعا شمال إسرائيل .

وقد طالب وزير الدفاع الإسرائيلي عمير بيرتس لبنان بإعادة الجنديين المأسورين. وحمّل الحكومة اللبنانية المسئولية المباشرة عن مصيرهما وعواقب التطورات.

ووصف رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت عملية حزب الله بأنها عمل حربي، وتعهد بأن يكون الرد مؤلما، رافضا التفاوض مع حزب الله لإطلاق سراح

الجنديين. ودعا إلى اجتماع طارئ لحكومته مساء هذا اليوم لبحث التطورات والخطوات القادمة.

كما هدد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي دان حالوتس بإعادة اجتياح لبنان. وقال بتصريحات للقناة العاشرة للتلفزيون الإسرائيلي، إذا لم يعد الجنديان اللذان أسرهما حزب الله، فإن إسرائيل ستعيد عقارب الساعة في لبنان عشرين عاما إلى الوراء.(1)

أهداف إسرائيل من الحرب على لبنان

يؤكد شلومو بروم، الباحث في "مركز يافا للدراسات الإستراتيجية" في جامعة تل أبيب، أن" قوة الاستفزاز (من طرف "حزب الله") ونتائج العملية (أسر الجنديين)" لا تتيح" لإسرائيل إمكانية العودة إلى قواعد اللعبة القديمة، لأن من شأن ذلك أن يبث رسالة إلى حزب الله وأيضًا إلى عناصر أخرى تنشط ضد إسرائيل أن في مقدورهم أن يبادروا إلى استفزازات آخذة في التصاعد دون رد حاد" (من جانب إسرائيل). وفي رأي بروم أن الرد الإسرائيلي الذي لم يتأخر له عدة غايات، وهي كما يكتب :

*الغاية الأولى -جباية ثمن باهظ من مهاجمة أهداف في لبنان، سواء أكان ذلك الثمن مباشرًا من الخسائر اللاحقة بحزب الله أو كان ثمنا سياسيا، عن طريق تقويض مكانة حزب الله داخل لبنان بواسطة المس بأهداف لدولة لبنان، مثل مطار بيروت ومحطة توليد الطاقة وعزل جنوب لبنان عن شماله. والفرضية هنا هي أن من شأن ضربات كهذه أن تصاعد الضغط الداخلي على حزب الله من أجل كبح جماحه ومن أجل نزع سلاحه في سياق لاحق. وكل هذه الأمور يفترض بها أن تعيد ترميم ميزان الردع أمام حزب الله.

*الغاية الثانية- إيجاد ضغط دولي على حزب الله وأوصيائه في سوريا وإيران من أجل أن يعملوا هم أيضًا على كبح جماحه، من منطلق الافتراض بأن الأسرة الدولية لا ترغب في رؤية لبنان يتحطم ثانية.

---

(1) الجزيرة نت .

*الغاية الثالثة- إلحاق ضربة قاسية بقدرات حزب الله العملياتية في سبيل خفض قدرته على المس بأهداف مدنية داخل إسرائيل.

ويختم بروم بالقول: لكن إذا كانت إسرائيل تسعى (من وراء حربها) إلى نزع سلاح حزب الله فإن ثمة شكًا كبيرًا في إمكانية تحقيق هذه الغاية، وربما ستضطر إسرائيل للاكتفاء (فقط) بالعودة إلى قواعد لعبة معقولة أكثر، من قبيل إبعاد حزب الله من منطقة الحدود، على أمل أن يساعد هذا الانفجار الحربي السيرورات السياسية داخل لبنان التي قد تسفر في المستقبل عن بلوغ هذه الغاية (نزع سلاح المقاومة)

بعد خمسة أيام من مقال بروم وزّع" مركز يافه" مقالاً لزميلة أخرى له في مركز الدراسات الإستراتيجية، هي عنات كوريتس، يحمل تاريخ ٢٠٠٦/٧/١٨، قالت فيه إن الأهداف الأبعد للعملية العسكرية الإسرائيلية الواسعة النطاق هي ما يلي: "إضعاف البنية التحتية العسكرية لـ(منظمة) حزب الله وحملها على عدم مواصلة الاستفزازات وتشجيع المعارضة لها في الساحة اللبنانية." لكن الجنرال في الاحتياط، البروفيسور إسحق بن يسرائيل، رئيس برنامج الدراسات الأمنية في جامعة تل أبيب، يرى أن تحليلا حذرًا وواقعيًا للوضع يؤدي إلى نتيجة مفادها أن الغاية الرئيسة التي ينبغي لإسرائيل أن تتطلع إلى تحقيقها هي وضع حدّ للوضع الذي يكون فيه مليون مواطن إسرائيلي رهينة في "يدي منظمة لا تعترف بحقنا في الوجود في الشرق الأوسط". وتبعًا لذلك فإن الحرب على الكاتيوشا تصبح وسيلة وليست هدفًا، برأي هذا الخبير العسكري. وعندما ينقشع غبار الحرب "لن يكون من الأهمية بمكان ما هو عدد صواريخ الكاتيوشا التي دمرناها وما هو مبلغ مساسنا بالبنية التحتية لحزب الله وأفراده".

أما الخبير في الشئون الأمنية رؤوبين بدهتسور فيعتقد أنه خلافًا للغايات التي صاغها أريئيل شارون للحرب على لبنان والمقاومة الفلسطينية، التي بادر إليها في العام ١٩٨٢، فإن من واجب رئيس الحكومة، إيهود أولمرت، أن يقلص قائمة الغايات الإستراتيجية القابلة للتحقق في الحرب الدائرة الآن ضد لبنان. ففي حين

سعى شارون إلى أن يصوغ من جديد الشرق الأوسط كله وأن يغيّر النظام في لبنان لجهة إحلال نظام دمى في بيروت وأن يطرد الفلسطينيين نحو الأردن ويستبدل نظام الملك حسين بنظام فلسطيني، فإنه يتعين على أولمرت أن يتمحور حول لبنان، وحوله فقط. وهو يرى أن الوصول إلى اتفاق برعاية دولية يتم في إطاره نزع سلاح حزب الله ويتم إبعاد مقاتلي هذه المنظمة من الحدود مع إسرائيل هو "غاية يمكن بلوغها ."وفي اعتقاده أن البنية التحتية لاتفاق كهذا قائمة في قرار الأمم المتحدة رقم ١٥٥٩ لكن "على إسرائيل الإصرار على تدخل فاعل لقوى دولية تطبقه" على أرض الواقع .(١)

مواقف دولية من عملية حزب الله

وفي سياق ردود الأفعال نددت أطراف دولية عدة بأسر حزب الله جنديين إسرائيليين .وطالب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان بإطلاق سراح الجنديين. ودعا زعماء المنطقة للضغط على الأطراف لضبط النفس ومنع حدوث تصعيد وتوسيع للصراع في الشرق الأوسط.

ومن باريس أدانت وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس أسر الجنديين واعتبرت أن ذلك يقوض الاستقرار الإقليمي. ودعت سوريا "لاستخدام نفوذها في دعم الوصول لنتيجة إيجابية."

وفي بروكسل طالبت المتحدثة باسم الاتحاد الأوروبي إيما أدوين بالإفراج الفوري عن الأسيرين ودعت جميع الأطراف إلى احترام الخط الأزرق الذي رسمته الأمم المتحدة عقب انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠.

وأعربت الخارجية الروسية عن قلقها من تصاعد العنف في المنطقة وطالبت بالإفراج الفوري عن الجنديين الأسيرين.

في تطور متصل أفاد مراسل الجزيرة في القاهرة بأن لبنان طلب رسميا عقد اجتماع طارئ وعاجل للجامعة العربية في القاهرة على مستوى المندوبين الدائمين

---

(١) أنطوان شلحت " أين تقف الحرب على لبنان؟" (موقع عرب ٤٨) بتاريخ ٢٤ / ٧/ ٢٠٠٦

لبحث الوضع في الجنوب في ضوء التطورات الراهنة والاعتـداءات الإسـرائيلية على أراضيه .(1)

ولم يستجب حسن نصر الله للضغوط الداخلية والخارجية ، ولم يعبأ بتهديد وزير الدفاع الإسرائيلي باجتياح لبنان وتدميرها وإعادتها إلى عشرين عاما للوراء .

ولقد نفّذ وزير الدفاع الإسرائيلي تهديده فشن هجمات جوية مكثفة استهدفت البنية التحتية للبنان الكباري والجسور ومحطات الكهرباء والمياه بالإضافة إلـى تـدمير مطار لبنان الدولي ، ثم شنت إسرائيل هجوما بريا على الجنوب اللبنـاني بقـوات وصل عددها إلى حوالي أربعين ألف جندي مسلحين بأحدث آلات الحرب والتدمير والقتل .

ولقد أظهر حزب الله كفاءة في التصدي للهجوم البري الإسرائيلي حيث دارت بينه وبين القوات الإسرائيلية في مارون الراس ، ومثلث عيترون ، وبنت جبيل وغيرها معارك شرسة كان نتيجتها تدمير هذه المدن تدميرا كاملا .

القرار ١٧٠١

استمرت الحرب ثلاثة وثلاثين يوما ولم تنته إلا بصدور قرار رقم ١٧٠١ الـذي اعتمده مجلس الأمن بالإجماع ودونك أهم ما جاء في هذا القرار من قرارات :

١ ــ يدعو إلى وقف تام للأعمال القتالية، يستند بصورة خاصة إلى وقف حزب الله الفوري لجميع الهجمات، ووقف إسرائيل الفوري لجميع العمليـات العـسكرية الهجومية .

٢ ــ يطالب حكومة لبنان وقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنـان، عنـد توقـف الأعمال القتالية بشكل تام، القيام وفق ما أذنت به الفقرة ١١ بنشر قواتهما معا فـي جميع أنحاء الجنوب، ويطالب حكومة إسرائيل بسحب جميع قواتها من جنوب لبنان بشكل مواز عندما يبدأ ذلك النشر.

(1) الجزيرة نت .

٣ ــ يؤكد أهمية بسط سيطرة حكومة لبنان على جميع الأراضي اللبنانية وفــق أحكام القرار ١٥٥٩ (٢٠٠٤) والقرار ١٦٨٠ (٢٠٠٦)، والأحكام ذات الصلة من اتفاق الطائف، وأن تمارس كامل سيادتها، حتى لا تكون هنــاك أي أســلحة دون موافقة حكومة لبنان ولا سلطة غير سلطة حكومة لبنان .

٤ ــ يدعو إسرائيل ولبنان إلى دعم وقف دائم لإطلاق النار وحل طويل الأجــل استنادا إلى المبادئ والعناصر التالية :

ــ الاحترام التام للخط الأزرق من جانب كلا الطرفين .

ــ اتخاذ ترتيبات أمنية لمنع استئناف الأعمال القتالية، بما في ذلك إنشاء منطقــة بين الخط الأزرق ونهر الليطاني خالية من أي أفراد مسلحين أو معدات أو أســلحة بخلاف ما يخص حكومة لبنان وقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان وفق ما أذنت به الفقرة ١١ والمنشورة في هذه المنطقة؛

ــ التنفيذ الكامل للأحكام ذات الصلة مــن اتفــاق الطــائف والقــرارين ١٥٥٩ (٢٠٠٤) و١٦٨٠ (٢٠٠٦) التي تطالب بنزع سلاح كل الجماعات المــسلحة فــي لبنان، حتى لا تكون هناك أي أسلحة أو سلطة في لبنان عدا مــا يخــص الدولــة اللبنانية، عملا بما قرره مجلس الوزراء اللبناني المؤرخ ٢٧ تموز/ يوليو ٢٠٠٦؛

ــ منع وجود قوات أجنبية في لبنان دون موافقة حكومته .

ــ منع مبيعات أو إمدادات الأسلحة والمعدات ذات الصلة إلى لبنان عدا ما تــأذن به حكومته .

***

الفصل الثالث

نتائج الحرب على لبنان

كان لحرب إسرائيل على لبنان نتائج خطيرة تركت بصماتها على المنطقة كلها وكان لها آثار بالغة على أطرافها ومن له علاقة بهم .

والعجيب أن جميع الأطراف ادّعت أنها كسبت المعركة ، وأنها حققت أهدافها التي كانت ترمي إليها من هذه المعركة !

فقد ادعى حزب الله وحلفاؤه (سوريا، وإيران ، ورئيس لبنان إميل لحود) أن حزب قد استطاع أن يحرز نصرا مؤزرا على إسرائيل في أطول حرب خاضتها إسرائيل مع العرب وأن قادة إسرائيل أنفسهم قد اعترفوا بذلك وقامت لجنة حكومية للتحقيق في أسباب فشل المسئولين عن الحرب في تحقيق أهدافهم منها وهي القضاء على حزب الله قضاء مبرما .

فقد ذكر بيان صادر عن رئاسة مجلس الوزراء الإسرائيلي أن تشكيل لجنة تحقيق حكومية برئاسة القاضي المتقاعد يورام وينوجراد حصلت علي الضوء الأخضر من المستشار القانوني للحكومة مناحيم مزوز. يذكر أن لجنة التحقيق الحكومية لها صلاحية أوسع من الهيئات الأخري, التي كان يعتزم رئيس الوزراء الاسرائيلي إيهود أولمرت تشكيلها, غير أنها لا تتمتع بصلاحيات لجنة الدولة حيث إنها مخولة باستدعاء شهود والأمر بإصدار أوامر وتوصيات تنفيذية. وستركز لجنة وينوجراد علي البحث في الأداء السياسي والعسكري خلال الحرب التي شنتها إسرائيل علي لبنان. وأشار مصدر سياسي إسرائيلي إلى أن لجنة وينوجراد ستركز علي إصدار توصيات للمستقبل وستقلل من البحث عن كبش فداء " (1)

---

(1) فتحي محمود جريدة الأهرام بتاريخ ١٣ / ٩ / ٢٠٠٦

هذا بعكس ما حدث على الجانب الآخر فقد احتشد الآلاف من اللبنانيين يحتفلون بانتصار حزب الله على إسرائيل منددين بخصومه السياسيين الذين يطالبون بنزع سلاحه .

فقد احتشد الآلاف من أنصار حزب الله في شوارع الضاحية الجنوبية في العاصمة اللبنانية, مؤكدين حق الحزب في حمل السلاح .. وقال علي عمار نائب حزب الله في البرلمان, إن حكومة السنيورة غير جديرة بالثقة, مشددا علي الحاجة لوجود حكومة إجماع وطني تضم مؤيدي المقاومة بمن فيهم الجنرال ميشيل عون " [1]

وفي يوم الجمعة ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٦ نظّم حزب الله لما سماه " مهرجان النصر الإلهي" وظهر خلاله علنا أمين عام حزب الله حسن نصر الله للمرة الأولى منذ تاريخ بدء الحرب بين اسرائيل وحزب الله في ١٢ يونيو ٢٠٠٦.

وحرص نصر الله علنا، على طرح الأسئلة التي كانت تتردد حينئذ داخل الساحة الإسرائيلية وأهمها يتمحور حول عدم قدرة إسرائيل الانتصار على حزب الله على الرغم من كل الترسانة العسكرية المتطورة التي تمتلكها الدولة العبرية .

وعبر نصر الله عن واقع عسكري جديد يتمثل في إنتاج الحرب الأخيرة نمطا جديدا ناجحا في العالم العربي وهو نمط "المقاومة"، بعد أن كانت كل تجارب الحروب العربية/الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ قد انتهت بخسارة الجيوش العربية !!.

وحمل خطاب نصر الله جملة من التحذيرات أهمها إفهامه خصومه السياسيين بأن لا جدوى من محاولات نزع سلاح حزب الله لأن هذا السلاح بوجهة نظر الكثيرين "جلب النصر إلى لبنان خلال الحرب الماضية".

كما أن نصر الله، وبتركيزه على التزام القوات الدولية المهام المحددة لها يعني رفض أي محاولة انتشار لهذه القوات على الحدود اللبنانية السورية.

([1]) فتحي محمود جريدة الأهرام بتاريخ ١٣ / ٩ / ٢٠٠٦

ولقد اختار حسن نصر الله لخطابة نبرة عالية تمثلت في الكشف عن امتلاك حزب الله أكثر من ٢٠ ألف صاروخ، وفي الانتقاد الاذع جدا للأنظمة العربية وفي اللهجة الداخلية القاسية التي وصلت إلى الطلب من النائب اللبناني وليد جنبلاط الاعتذار لقوله إن "حزب الله حزب شمولي وأن جمهور الأحزاب الشمولية جمهور بدون تفكير"

والخطاب الذي أطلقه نصر الله يفسر المعادلة من خلال انتصار فريق داخلي وهزيمة الآخر بقوله إن "من يعتبر أنه هُزِم يتحدث عن الهزيمة ومن يشعر أن مشروعه انتصر يتحدث عن النصر".

والخطاب تضمن جانبا تخوينيا مُضمرا حين جاء على الشكل التالي : "أنا أقول للأمريكي عليك أن توجه كتاب قَدْح وذم لِكَتَبَة التقارير الكاذبين الذين يرسلون إليكم معلومات خاطئة تبنون عليها حسابات خاطئة".

كما تم فيه انقضاض حزب الله على الحكومة اللبنانية ومطالبته بتغييرها قبل اكتمال موضوع إنجاز المحكمة الدولية في اغتيال الحريري.

و كلام نصر الله عن بناء الدولة لم يأت على ذكر اتفاق الطائف الذي قامت الدولة على أساسه بعد الحرب اللبنانية، ما قد يشير حسب تعبير المحللين إلى أن حزب الله "لن يقبل إلا بقيام الدولة التي يريدها هو ما يطرح تساؤلات جدية عن نوايا مضمرة لتغيير النظام القائم في لبنان".

ويعتبر الصحفي والمحلل السياسي عقاب صقر كلام نصر الله عن قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٧٠١ الذي أتاح للقوات الدولية المجيء إلى لبنان هو كلام ملتبس حين يحذر القوات الدولية قائلا : "لقد رحبنا بكم ومهمتكم مساندة الجيش اللبناني وليس التجسس على حزب الله أو نزع سلاح المقاومة، ولكن حتى الآن لم أسمع من أي دولة أنها أرسلت جنودها للدفاع عن لبنان، يخجلون بنا ولكنهم يتحدثون عن الدفاع عن إسرائيل".

ويختصر المحلل السياسي عقاب صقر مشروع حزب الله في ثلاثة نقاط هي أولا رفض حزب الله التخلي عن سلاحه، ثانيا إقامة الدولة التي يريدها حزب الله ويبدأ هذا المشروع بالإطاحة بالحكومة الحالية، ثالثا أن حزب الله هو الذي يحدد استراتيجية الدولة الدفاعية تجاه الخارج ويحدد كذلك ملامح الدولة على الصعيد الاقتصادي والإعماري والأمني .

ويختم صقر تعليقه على الخطاب بالقول أن النبرة العالية للخطاب تستند أولا إلى قوة السلاح الذي يمتلكه حزب الله وهو أكثر فعالية من سلاح الدولة، وإلى المال الطائل الذي صرفه الحزب مساعدات للمتضررين بسرعة فاقت بكثير سرعة صرف الدولة للمساعدات، بالإضافة إلى امتلاكه شبكة تحالفات داخل السلطة تبدأ برئيس الجمهورية إميل لحود الذي يتمسك به الحزب مرورا بالحليف الشيعي رئيس مجلس النواب نبيه بري، ما يضع الحكومة في موقف بالغ الحرج واستهداف يومي لها يهددها بالسقوط ويجعلها في حالة انعدام وزن ويشل قدرتها على المبادرة. (١)

أدلة حزب الله على انتصاره

ويمكن رصد عدة أدلة ساقها حزب الله وأنصاره لإثبات انتصار حزب الله على إسرائيل منها :

١- عجز إسرائيل عن احتلال لبنان أو أي جزء منها واضطرارها للانسحاب دون أن تحقق أي مكسب أو تحرز أي انتصار .

٢- إظهار الجيش الإسرائيلي في صورة هزيلة حيث لم يستطع بكل إمكانياته أن يقهر تنظيما لا يزيد عدد أفراده على أربعة آلاف .

٣- تكبد إسرائيل خسائر جسيمة : بشرية ،ومادية .

٤- إلقاء الرعب في قلوب الإسرائيليين جميعا ، واضطرار مليونين من سكانها ترك بيتهم والسكن في ملاجئ تحت الأرض ، واضطر(٣٥٠) ألف إسرائيلي لمغادرة شمال إسرائيل حتي انتهت الحرب .

---

(١) بشير الخوري " قراءة باردة لخطاب حسن نصر الله الساخن" بي بي سي - بيروت ٢٣ /٢٠٠٦/٩

٥- كسب تأييد الرأي العام العربي والإسلامي ، فقد نزل هذا الانتصار برداً وسلاماً على قلوبهم وشفاءً لما في صدورهم من نقمة على إسرائيل .

٦- اعتراف قادة إسرائيل بالهزيمة أمام حزب الله ، وقيامهم بإنشاء لجنة للتحقيق في أسباب هذه الهزيمة .

٧- إقالة قائد المنطقة الشمالية الجنرال أودي آدم وتهميش رئيس أركان الحرب دان حالوتس في الإشراف على سير العمليات . وهي المرة الأولى التي يحدث فيها تقليص صلاحيات قائد عسكري إسرائيلي أثناء سير الحرب منذ عام ١٩٧٣.

١٠- تراجع شعبية رئيس الوزراء أولمرت هو وحزبه بعد الحرب .

والخلاصة إذا كان من المفهوم تاريخياً أن العقيدة الصهيونية ترتكز على ثلاث :

١- نقل ميدان الحرب خارج الأراضي الإسرائيلية . ٢- المبادرة . ٣- الحرب السريعة الخاطفة حتى لا يتأثر الدولاب الاقتصادي . فقد نجح حزب الله فى إفشال هذه العقيدة بل وتجاوزاها . [1]

أدلة إسرائيل على انتصارها

أما إسرائيل وحلفاؤها فيرون أن النصر كان حليفهم فقد اعتبرت إسرائيل القرار ١٧٠١ الصادر عن مجلس الأمن الدولي فجر السبت (١٢ / ٨ / ٢٠٠٦) انتصارا سياسيا لها، وصرحت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفي في حديث نقلته وسائل الإعلام المختلفة أن إسرائيل "حققت كل أهدافها بموجب هذا القرار" أما فيما يخص ضعف أداء بعض القادة الإسرائيليين في المعركة ، وإقالة عدد من الجنرالات الإسرائيليين مثل : قائد المنطقة الشمالية الجنرال أودي آدم ، وقائد المنطقة الوسطى يائير نافي ، ومعاقبة الكولونيل أمنول إيشيل رئيس اللواء السابع فيقول دان شفتان (مدير معهد الأمن القومي الإسرائيلي بجامعة حيفا) : " إن الإسرائيليين لديهم قدرة جيدة جدا على تصحيح أخطائهم وإننا محظوظون أن

([1]) محمد عبد المنعم الجزيرة نت .

الأخطاء التي رأيناها في الجيش كُشفت في حرب لم تكن حربا حقيقية لم تكن تهدد وجود إسرائيل إذ حزب الله ليس بالعدو الذي يستطع أن يهدد وجود إسرائيل وإذا ما نظرنا إلى هذه الحرب من منظور أوسع فنستطيع القول على ما أعتقد بأنها نفعت إسرائيل لأن هذه الحرب أيقظتنا إلى حقيقة أن هناك كثيرا من الأمور لا تسير على ما يرام وسوف نصححها وإذا ما ظهرت حاجة للدخول في حرب جديدة قريبة .. قريبا فإن الوضع في إسرائيل سيكون أفضل، تذكروا أولا أن القوة الجوية كانت جيدة جدا أداء ليس فقط جيد إنما ممتاز في لبنان، ذلك كان هناك توقع أكثر مما ينبغي من القوة الجوية ولكن الحقيقة أن هذه القوة حققت الكثير ومازال بإمكان إسرائيل أن تعتمد على واحدة من أفضل القوات الجوية في العالم إن لم نقل هي الأفضل إطلاقا، ولو رأينا القدرة الأساسية للجيش.. للمجتمع الإسرائيلي للتعبئة والتجنيد للقتال والمعارك هنا أتكلم عن قوات الاحتياط والقوات النظامية وأتكلم عن روح البلاد وأتكلم عن معنوياته وقدرة السكان بشكل عام على التعبئة والتجنيد فإننا نجد أن كل ذلك يعني أن إسرائيل قدمت مجتمعا قويا وسكانا أقوياء بمعنى أنه استطاعوا تصحيح أنفسهم وإعداد أنفسهم للتحديات القادمة المستقبلية، إذاً نعم نحن إزاء أزمة ولكننا قادرون تماما على معالجة ومداراة هذه الأزمة بشكل جيد." (1)

ويؤكد صفوت الزيات (خبير في الشئون العسكرية والإستراتيجية) هذا المعنى فيقول تعليقا على مسألة إقالة بعض الجنرالات الإسرائيليين ، وتشكيل لجنة للتحقيق في أسباب فشل المسئولين الإسرائيليين في تحقيق هدف إسرائيل من الحرب : " ما نشاهده في إسرائيل مسألة تصفية حسابات. نحن حتى على مستوى الهزائم ومستوى عدم مراجعة المؤسسات العسكرية في عالمنا العربي أدت إلى كوارث كبيرة وتنتهي الحروب بأناشيد وأغاني وإحنا أمامنا مثل كبير وكبير للغاية.. كيف تراجع إسرائيل بسرعة أدائها، صناعة الحرب ليست صناعة أستطيع أن أتركها لمؤسسة عسكرية، لابد أن الأمة بالكامل أن تحاسب هذه المؤسسة ، فعندما تدار الحرب فإن الأمة جميعها تقف وراء مؤسساتها العسكرية، وعندما تنتهي الحرب يأتي وقت الحساب، هؤلاء أولادنا قتلوا، هذه مواردنا بُدِّدت، هذه مقدراتنا دُمرت، هذه أشياء كثيرة جدا هذه ميزانية للدفاع أُخذت من التعليم والصحة والخدمات

---

(1) برنامج ما وراء الخبر " الخلافات الإسرائيلية حول نتائج الحرب على لبنان " قناة الجزيرة ١٦/ ٩ / ٢٠٠٦

الأساسية والسكن، فأنا أتصور أن ما يدار في إسرائيل اليوم هو جانب صحي كبير.. " (1)

ويمكن رصد عدة أدلة تثبت انتصار إسرائيل في هذه المعركة وتحقيق كل أهدافها منها :

١- تدمير لبنان تدميرا شبه كامل مما أعادها إلى الوراء عشرين سنة .

٢- تدمير معاقل حزب الله في الجنوب ، وإلحاق بالغ الضرر بقواته .

٣- إقصاء حزب الله من الجنوب اللبناني الذي كان يحتله ويهدد منه شمال إسرائيل .

٤- احتلال قوات اليونيفيل للجنوب اللبناني وهي قوات مهمتها منع أي هجوم محتمل على إسرائيل ، كما أنها تتجسس لصالحها .

٥- سيطرة الجيش اللبناني على الجنوب وعلى سائر لبنان والسعي الحثيث لتجريد حزب الله من سلاحه ومراقبة الحدود لمنع وصول أي شحنات سلاح جديدة له من سوريا أو غيرها .

رواج لسوق السلاح في المنطقة لصالح إمريكا حليفتها وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى هرعت الدول العربية عامة ودول الخليج خاصة إلى شراء الأسلحة من أمريكا بالميارات وفي مقدمة هذه الدول اللملكة العربية السعودية التي اشترت أسلحة بـــ (٧٠) مليار دولار من الولايات المتحدة الامريكية فور انتهاء الحرب على لبنان مباشرة .(2)

---

(1) نفسه .

(2) اعتبر مسئول أميركي أن قرار إدارة الرئيس بوش تحويل صفقة سلاح ضخمة، لدول مجلس التعاون الخليجي، على الكونجرس للموافقة عليه ليس وليد الساعة، وانما بدأ درسه منــذ الــشتاء الماضـــي. وأن واشنطن تنسق مع اسرائيل منذ مطلع الربيع لتسهيل تصديق الكونجرس على المشروع.

يشار الى أن هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها جمع صفقات السلاح لدول مجلس التعاون الخليجي كافـــة في مشروع قرار موحد للكونغرس، لتجنب الدخول في مواجهات متعددة مع الكونجرس عبر مناقشة كــل صفقة في مشروع قرار مستقل.

كما أن دول مجلس التعاون وقعت خلال العام الماضي على مجموعة عقود عسكرية مـــع دول أوروبيـــة تتعدى ٢٠ بليون دولار. وسيشكل هذا الأمر، إضافة الى صفقات السلاح الغربية لكل من اسرائيل ومصر والاردن ومع وجود أكثر من مئة قطعة بحرية أميركية في محيط منطقة الخليج، عوامل ضغط هائلة على ايران التي سيرتفع عندها مستوى الشعور بالتهديد الى درجات عالية تجرها الى سباق تسلح لا تقوى عليه. فرغم أن ايران من أكبر الدولة المنتجة والمصدرة للنفط والغاز، الا أنها تعاني أزمات ماليـــة واقتــصادية صعبة نتيجة التضخم والعقوبات الدولية وسوء حال بنيتها النفطية، ما يؤثر على حجم الانتاج واستمراره . جريدة الحياة ٢٠٠٧/٨/٦

٦- فتح أبواب رزق واسعة أمام الغرب لإعادة إعمار لبنان .

٧- توسيع هوة الشقاق بين قوى ٨ آزار ، وقوى ١٤ آزار مما يهدد بحرب أهلية توشك لبنان على الدخول فيها بسبب الحرب وانفراد حزب الله بإشعال فتيلها دون التنسيق مع الحكومة اللبنانية المنتخبة .

٨- تحجيم دور سوريا وإيران في لبنان لأن هذه المعركة أثبتت جليا دور كل منهما في دفع حسن نصر الله إلى الإقدام على هذه العملية .

٩- الاستفادة من هذه المعركة للوقوف على جوانب الخلل في الجيش الإسرائيلي وقيادته والعمل على إصلاح هذا الخلل حتى لاتتكرر الأخطاء مرة ثانية في معركة قادمة . وبالفعل فقد " عقدت فيه الحكومة الإسرائيلية يوم ١٣ / ٩ / ٢٠٠٦ اجتماعا استثنائيا لتشكيل لجنه تحقيق حكومية حول الخلل العسكري الذي شاب الحرب علي لبنان " (١)

هذه وجهات النظر المتباينة لكل طرف في المعركة ، ولكي يتضح لنا صدق كل طرف في دعواه نقوم الآن بعرض أرقام المعركة فهي التي تحسم المنتصر والخاسر وإن كان لا يوجد في تاريخ المعارك الحربية انتصار دون خسائر .

أولا : الخسائر الدولة اللبنانية :

لقد اعترف ضابط يعمل في وحدة قذائف تابعة للجيش الاسرائيلي, بأن الجيش أطلق١٨٠٠ قنيفة عنقودية تحتوي علي نحو١،٢ مليون قنبلة عنقودية علي لبنان خلال الحرب الأخيرة, وقال إن الجيش أطلق أيضا قذائف مدفعية عنقودية وبذلك يكون العدد أكبر بكثير, مشيرا إلى أن الجيش الإسرائيلي غطي قرى لبنانية بالكامل بالقنابل العنقودية, ووصف ما حدث بالجنون والوحشية .

في حين قال جنود في المدفعية إن الجيش استخدم في الحرب قذائف فوسفورية, ممنوعة الاستخدام حسب القوانين الدولية, وحسب أقوال الجنود فإن تلك الأسلحة استخدمت بشكل أكبر في العشرة أيام الأخيرة للحرب .

---

(١) فتحي محمود جريدة الأهرام بتاريخ ١٣ / ٩ / ٢٠٠٦

وحسب قول الضابط, فان القذائف العنقودية استخدمت بشكل مكثف برغم العلم أنها غير دقيقة بشكل كبير, فمدى انحرافها عن هدفها يصل إلى ١٢٠٠ م, وأن جزءا كبيرا من القنابل لا ينفجر ويتحول إلى ألغام, ومعظم الخبراء يعتبرون القذائف العنقودية لا تميز بين الأهداف العسكرية والمدنية , وممنوع استخدامها في محيط سكني.

وطبقا لاعتراف الضابط الإسرائيلي, فإن نسبة القنابل غير المنفجرة التي أطلقها الجيش علي لبنان هي ٤٠% وبالنتيجة فإن عدد القنابل غير المنفجرة في لبنان قد يصل إلى نصف مليون قنبلة, وأضاف أنه للتعويض عن قلة دقة تلك القذائف, أعطيت أوامر بإغراق المنطقه بها, فلا توجد أي إمكانية لإصابة هدف محدد, والضباط يعرفون ذلك جيدا .

ويقول الضابط الذي تم تسريحه من قوات الاحتياط الإسرائيلية أخيرا, أنه طلب منهم في إحدى الحالات علي الأقل قصف أطراف قرية بقذائف عنقودية , وقالوا لنا قبل الصباح يخرج الناس إلى الصلاة وتلك القنابل ستردعهم, وأضاف الضابط أنه في تدريبات الجيش علي الأغلب لا نقوم باستخدام قذائف حية خشية أن لا يبقي كثير منها غير منفجرة وتملأ المنطقه بالألغام.(١)

ولقد قُدِّرت خسائر لبنان بعد مرور شهر من العدوان الإسرائيلي بنحو ستة مليارات دولار. وقد شملت الخسائر تدمير نحو(٣٠) منشأة حيوية أو إلحاق أضرار بها, من ضمنها مطار بيروت وموانئ وخزانات مياه ضخمة ومحطات لتوليد الطاقة الكهربائية , بالإضافة إلي(٦٣٠) كلم من الطرقات و(٢٣) محطة بنزين وذلك حسب تقدير الهيئة العليا للإغاثة . كما شملت الأضرار تدمير (١٤٥(جسرا و(٧) آلاف مسكن ، و(٤٥) ألف مصنع غير المحلات التجارية والمزارع والأسواق ، كما أصيبت محطات إرسال تليفزيوني وإذاعي وهوائيات للهاتف الخلوي وأماكن عبادة وأضيرت (١٠٧) أسرة لبنانية .

---

(1) نفسه .

وبلغت نسبة الأضرار التي لحقت بقطاع النقل ٥١ % ، ونسبة الأضرار التي لحقت بأراضي الجنوب اللبناني ٧٠ % ، وبلغ عدد المزارعيين المضارين من الحرب ٤٠,٠٠٠ مزارع .

والي جانب هذا فقد نجم عن العدوان الإسرائيلي أيضا توقف صادرات البلاد من السلع المصنعة تقريبا, كما تسبب الحصار في وقف العمل في نحو (٩٥%) من مصانع البلاد وأصابت القذائف الإسرائيلية (٤٥) مصنعا كبيرا إصابات مباشرة , وحرم الحصار الإسرائيلي المصانع اللبنانية من استيراد المواد الخام ونقل الإنتاج. هذا كله بالإضافة إلي خسارة الموسم السياحي الذي كان وزير السياحة اللبناني قد توقع في شهر مايو الماضي أن يكون أنجح موسم سياحي في تاريخ لبنان .(1)

ذكر رئيس اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلدان العربية عدنان القصار أن خسائر لبنان بسبب الحرب الأخيرة تجاوزت ١٠ مليارات دولار .

وقال القصار في كلمة ألقاها في الاجتماع السادس لمجلس الأعمال الروسي العربي الذي انعقد في مدينة سانت بطرسبورغ إن لبنان تعرض إلى القصف لمدة ٣٣ يوما مما أدى إلى تدمير منازل أكثر من مليون شخص .

وتشير النتائج النهائية أن الحرب أدت إلى مقتل (١١١٩) لبنانيا من المدنيين وإصابة (٤٤٠٩) لبنانيين بينما فقد حزب الله (٥٠٠) من مقاتليه, وتدمير قرى ومدن الجنوب, والضاحية الجنوبية من بيروت, مع جزء غير هيِّن من البنية الأساسية اللبنانية التي كانت قد تعافت توا من آثار الحرب الأهلية الطويلة , فعادت الحالة فيها إلى ما كانت عليه من دمار. (2)

ورغم المكاسب التي حققتها إسرائيل من وراء هذه الحرب إلا أنها شكلت لجنة تحقيق بعد المعركة لمحاسبة المقصرين فيها من قادة الجيش وهي التي لم تبلغ خسائرها عُشر خسائر لبنان في الأرواح ، ولم تخسر شيئا سيذكر في البنية التحتية

---

(1) جريدة الأهرام ١٤ أغسطس ٢٠٠٦

(2) د. عبد المنعم سعيد " عام علي حرب ابنان الثانية " جريدة الاهرام ١٦ / ٧ / ٢٠٠٧

في حين أن لبنان التي خسرت أكثر من عشرة أضعاف الخسائر الإسرائيلية في الأرواح بالإضافة للخسائر المادية الأخرى لم تفكر في إجراء أي تحقيق مع المتسببين في هذه الخسائر بل احتشدت الملايين بعد المعركة للاحتفال بالنصر المبين على إسرائيل !! وهذا هو الفرق بيننا وبينهم .

ولم تقتصر الخسائر اللبنانية على الأرواح البشرية وتدمير البنية التحتية ولا الخسائر الاقتصادية الفادحة بل أججت الصراعات السياسية الداخلية فقد خرج لبنان من الحرب الإسرائيلية ليدخل حرب الصراعات السياسية الداخلية, ولم يكن خطاب السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله بعد وقف إطلاق النار , والذي شن فيه هجوما حادا علي الحكومة وقوي الأغلبية النيابية هو الأول في هذه المعركة, فقد سبقه بيان المطارنة الموارنة السنوي إلي بيان تجمع القوي التي تتشكل منها الأكثرية النيابية فبيان حزب الله, وتَوَّجه الأمين العام للحزب السيد حسن نصر الله المعركة بسلسلة انتقادات حادة للحكومة ورئيسها فؤاد السنيورة وبلغة تخوينية استدعت ردا سريعا من عدد كبير من السياسيين وباتت تنذر باندلاع فتنة طائفية بين السنة والشيعة في لبنان .

فالبيان السنوي للمطارنة الموارنة اعترض بوضوح علي تفرد طائفة بقرار الحرب في إشارة إلي حزب الله وفتح ملف منصب رئاسة الجمهورية الذي أصبح محاصرا ومهمشا داخليا وخارجيا بعد مقاطعة الدول الكبرى ومعظم القوى السياسية للرئيس أميل لحود, وبعده بأيام طرحت قوى الأغلبية النيابية(١٤ آذار مارس) في أول اجتماع موسع لها علي مستوي القيادات والتنظيمات المنضوية في إطارها بعد الحرب سبع خطوات لطي صفحة الحرب والتأسيس لمرحلة جديدة واستعاده ثقة اللبنانيين بوطنهم :

١- دعم الحكومة ورئيسها في جهودهما الرامية إلى إخراج لبنان من محنته .

٢- التمسك باتفاق الطائف .

٣- تطبيق كل القرارات الدولية الخاصة بالوضع في لبنان لاسيما القرار ١٧٠١ الذي حسم قضية سلاح حزب الله .

٤- إنهاء ازدواجية السلاح وتأكيد حصرية الدفاع عن لبنان بالجيش اللبناني والمؤسسات الأمنية الشرعية المختصة .

٥- تأييد دعوة رئيس مجلس النواب إلى إعلان حاله الطوارئ الاجتماعية والاقتصادية في المناطق التي استهدفتها البربرية الإسرائيلية .

٦- إخراج لبنان من سياسة المحاور وتطوير علاقاته بالدول العربية .

٧- الطلب من النظام السوري الإقرار راضيا باستقلال لبنان وإقامة علاقات دبلوماسية معه .

وأعلنت تأييدها لنداء المطارنة الموارنة مترجمة إياه علي كل المستويات, ففي موضوع التوازن الداخلي كان الكلام علي تطبيق الطائف بلا تشويه وعلي مستوي سلاح حزب الله كان هناك تطابق في النظرة , وعلي مستوي رئاسة الجمهورية تقدم الموضوع إلى مرتبه الأولوية الإنقاذية .

ولم يصمت حزب الله طويلا ورد في بيان مفاجئ بنبرة عالية علي بيان قوي ١٤ مارس متهما إياها بالإحباط والضياع والارتباك بسبب نتائج الحرب الإسرائيلية علي لبنان, ودعاها إلى العمل من أجل إخراج لبنان من كونه ساحة صراع تخوضها أمريكا ومعها إسرائيل ضد المقاومة اللبنانية وسوريا وإيران, معتبرا أن الدولة لا تستطيع بناءها قوى تُخل بالتزاماتها الانتخابية عند أول مفترق سياسي, وقوى تنقلب علي بيانها الوزاري عند أول تحدٍ مصيري, وقوى بعضها في الحد الأدني تورط في الفساد والإفساد .

ودعا هذه القوى إلي البدء في الانخراط بالمشروع اللبناني, والتخلي عن رهاناتها واعتمادها علي القوى الدولية وتبعيتها للسفراء الأجانب, الذين يتدخلون في كل التفاصيل اللبنانية, وقال إن تكرار الدعوة لنزع سلاح المقاومة هو برأينا تجديد لأوراق اعتماد هذه القوى لدى السيد الأمريكي الذي دعم وساند إسرائيل .

واشتعلت المعركة السياسية الداخلية بأسرع مما توقع الكثيرون, وعادت قوى الأغلبية النيابية للرد ورأي الوزير بيار الجميل أن بيان حزب الله يترجم بشكل واضح عدم رغبة الحزب بتطبيق١٧٠١ وتحدي أي إرادة تفاهم موضوعية لبناء

الدولة القوية السيدة الحرة الحامية فمنطق الثورة والدولة لا يصح, ولا تقوم دولة قرار الحرب والسلم فيها خاضع لحسابات حزب وتحالفاته .

وحول اعتبار البيان أن الدعوة إلي إنهاء سلاح حزب الله تجديد لأوراق اعتماد قوى الأغلبية النيابية لدي السيد الأمريكي الذي دعم إسرائيل, علّق بيار الجميل بانفعال قائلا لم ينصبهم أحد لإعطاء شهادات حسن سلوك أو وطنية, هذا كلام لتبرير تحالفهم مع إيران وسوريا, نحن نراهن علي المجتمع الدولي والشرعية الدولية وليس علي أمريكا أو سواها, وللتذكير فقط فإن الحكومة اللبنانية هي التي أوقفت الحرب التي جرُّوا البلد إليها وأخذوا الشعب اللبناني رهينة خياراتهم الإقليمية , وإنني أسألهم من أين مصدر كل هذا المال الذي يملكونه ؟ من أين السلاح ؟ وهل من جهة أو طرف يقدم المال والسلاح من دون غاية ؟!

لكن السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله خرج علي شاشة التليفزيون ليقود بنفسه حملة الهجوم علي الحكومة ورئيسها فواد السنيورة عقب زيارة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير إلي بيروت وبلغه تخوينية استدعت ردودا حادة من السياسيين في قوي الأغلبية , واضطر الشيخ عبد الأمير قبلان نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلي إلي إجراء اتصال عاجل مع مفتي لبنان الشيخ محمد رشيد قباني لتدارك الموقف بعد ظهور احتقان شديد بين المسلمين السنة والشيعة في الشارع اللبناني, وأعربت قوي لبنانية عديدة عن انزعاجها لأن خطورة المناخ التصعيدي لم تعد محصورة في تعبئة هذا الشارع أو ذاك فحسب, بل تمثلت في تطور يحصل للمرة الأولى هو الانقطاع شبه التام للاتصالات والوسطات بين الجانبين .

ويري المراقبون ان حزب الله في ضوء الكلام الأخير لأمينه العام السيد حسن نصر الله الذي تخلي عن تحفظه المعتاد ليخوض حربا مباشرة مع من يعتبرهم خصومه قد يقود البلاد إلى أزمة سياسية , لأن نصر الله بعد انتهاء المواجهة مع إسرائيل سيتحول إلى الداخل من أجل السعي إلى المحافظة علي موقعه المتقدم بين

الزعماء السياسيين اللبنانيين, ففي غياب القضية الأساسية للمقاومة التي تحولت إلى بنود في القرار ١٧٠١ من الألغام إلى قضية الأسري و حتي إلى قضية مزارع شبعا, يواجه الحزب مبرر الوجود الرئيسي لقواته العسكرية في لبنان, ويفهم كثيرون من المتصلين بالحزب المواقف السياسية العلنية في اتجاه الاتصالات الدولية التي جرت وتجري معه, سعيه إلى استثمار بقاء سلاحه معه والمقايضة عليه سياسيا قبل إدراجه من ضمن الصيغة التوفيقية التي يمكن الوصول إليها إذا تواصل تنفيذ القرار ١٧٠١ ولم يتعطل في مرحلة ما بحيث يبرر للحزب بقاء سلاحه معه , لكن المشكلة السياسية في لبنان أنها لا تحمل مؤشرات إيجابية , ولا تنوي الأكثرية حتي الآن أن تقدم إليه المبررات من أجل الذهاب إلى أزمة سياسية مفتوحة (1)

ثانيا : الخسائر الإسرائيلية :

ذكرت وكالات الأنباء أن الحرب الإسرائيلية أدت إلى سقوط (١١٩) جنديا إسرائيليا قتيلا, ومعهم (٤٣) من المدنيين, كان منهم (١٧) من الإسرائيليين العرب, بينما أصيب (٤٢٦٢) منهم (٣٣) فقط بإصابات خطيرة , بينما اضطر(٣٥٠) ألف إسرائيلي لمغادرة شمال إسرائيل حتي انتهت الحرب في ١٣ أغسطس ٢٠٠٦(2)

وقد كشف سير العمليات العسكرية الموسعة على الأرض عن مفاجآت للجنود الإسرائيليين وقادتهم الذين لم يجدوا بدا من الاعتراف بشراسة مقاتلي حزب الله، وصعوبة تحقيق أهدافهم المرحلية أمام الكمائن التي كانت تنتظرهم بين قرية وأخرى من قرى الجنوب .

وتعالى الجدل داخل البيت الإسرائيلي بين السياسيين والعسكريين، ووصل الأمر حد إحالة الموضوع إلى لجنة تحقيق عسكرية "لدراسة الوضع".

---

(1) فتحي محمود " تفجر الخلافات بين حزب الله والأغلبية في لبنان " جريدة الأهرام ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٦

(2) د. عبد المنعم سعيد " عام علي حرب لبنان الثانية " جريدة الاهرام ١٦ / ٧ / ٢٠٠٧

وقد أقيل قائد المنطقة الشمالية الجنرال أودي آدم وتم تهميش رئيس أركان الحرب دان حالوتس في الإشراف على سير العمليات . وهي المرة الأولى التي يحدث فيها تقليص صلاحيات قائد عسكري إسرائيلي أثناء سير الحرب منذ عام ١٩٧٣. كما استقال الجنرال أودي آدام وهو أول جنرال يستقيل بعد حرب بسبب نتائجها، وهناك جنرال آخر اعتزل وهو قائد المنطقة الوسطى يائيير نافي وهناك عقوبات تنال الكولونيل أمنول إيشيل رئيس اللواء السابع لأنه انتقد حالوتس .

ولقد صرح موشي أرينز وزير الدفاع الإسرائيلي السابق بأنه " لم تحدث هزيمة كهذه في دولة إسرائيل ولم تتعرض الجبهة الداخلية الإسرائيلية من قبل لإصابة كهذه " (1)

قال وزير الدفاع الاسرائيلي السابق موشيه ارينز أن الحرب في لبنان لم يكن لها مثيل في تاريخ الحروب التي خاضتها إسرائيل وانتهت بهزيمة لم يكن لها مثيل أيضا حيث انهزم الجيش الإسرائيلي أمام عدة آلاف من مقاتلي حزب الله. وجاء تصريح ارينز خلال الاعتصام الذي شارك فيه أكثر من٣٠ ألف إسرائيلي في ساحة رابين بتل أبيب للمطالبة بتشكيل لجنة تحقيق رسمية للتحقيق في مجريات الحرب علي لبنان نظمته الحركة لنزاهة الحكم وجمعية بلتام للدفاع أجل جنود الاحتياط وذلك بعد نحو شهر من انتهاء العدوان علي لبنان .

وخلال الاعتصام الذي جري مساء ٩ / ٩ / ٢٠٠٦ ألقي ارينز خطابا هاجم فيه حكومة رئيس الوزراء الحالي إيهود أولمرت بشدة وقال: إنه لم يكن في تاريخ إسرائيل حرب مثل هذه الحرب (2)

ويجب أن نفهم الانتقادات التي وُجِّهت للحكومة الإسرائيلية ورئيس وزرائها ، ووزير الدفاع وقادة الجيش ، ووصف ما حدث في الحرب بأنه هزيمة منكرة لإسرائيل لم تشهد لها مثيلا يجب أن نفهم كل ذلك في إطار مفهوم الهزيمة لدى

(1) برنامج ما وراء الخبر " الخلافات الإسرائيلية حول نتائج الحرب على لبنان " قناة الجزيرة ١٦/ ٩ / ٢٠٠٦
(2) أشرف أبو الهول جريدة الأهرام ١١ / ٩ / ٢٠٠٦

الإسرائيليين من جهة ، وتصفية الحسابات في الصراع الحزبي والسياسي الإسرائيلي من جهة أخرى . حتى لا نخدع أنفسنا ونصدق ما يقوله أعداؤنا ونعتبر أن الحق هو ما شهدت به الأعداء .

إن مفهوم الهزيمة عند الإسرائيليين يختلف تماما عنه عندنا نحن العرب ، ففشل الجيش في تحقيق كافة أهدافه يعد بالنسبة للإسرائيليين هزيمة –وإن حقق الجيش معظم أهدافه – لأنهم شعب لا يحكمه عسكر فاشيون ولا يلثم يد جلاديه ولا يضخم من الانتصار حتى يحقق ما هو أفضل منه ، وإن التسبُب في قتل إسرائيلي واحد عندهم جريمة – وإن قُتِل المئات من أعدائهم في مقابله – فهو شعب يحافظ على أرواح أبنائه ولا يرمي بهم في التهلكة من أجل هوى زعيم أو طموح شخصي لحاكم ، وإن السكوت على أي تقصير –وإن كان صغيرا – عندهم خيانة لأنه شعب يؤمن بإتقان العمل وأداء الواجب وليس الإهمال والسلبية والاتكالية والمحسوبية والكسل هي أهم سماته .

أما الصراع الحزبي في إسرائيل فهو يقود المتنافسين على رئاسة حزب أو فوزه في الانتخابات إلى التهويل من أخطاء المنافسين ، وإلصاق بهم التهم ، ورميهم – إن كانوا مسئولين – بالتقصير والفساد والفشل ، وهذا يحدث في كل الدول الديمقراطية .

فمن خداع النفس أن نستغل اعتراف المسئوليين الإسرائيليين بأخطائهم دليلا لإثبات ضعفهم وقوتنا لأن هذه شجاعة يمتلكها كثير من مسئوليهم ويفتقر إليها أغلب مسئولينا ، أما استغلال مقاييس الهزيمة بالمفهوم الإسرائيلي لإثبات انتصارنا عليهم فهذا سر تقدمهم وتخلفنا ، وتَصَيُّد أقوال بعض الزعماء المتنافسين في بعضهم البعض في معاركهم السياسية ، بغرض إثبات فسادهم ونزاهتنا فهذا كمن يرى القشة الصغيرة في عين عدوه ولا ينتبه إلى الخشبة الكبيرة في عينه .

يقول دان شفتان (مدير معهد الأمن القومي الإسرائيلي بجامعة حيفا) : " إن معظم الإسرائيليين ليس لديهم أي مشكلة مع مسألة الحرب إذ يعتقدون الحرب

مبررة وليس لدى أي شخص أي مشكلة في مسألة توجيه ضربة لحزب الله إذ اتفق الجميع على أنه يجب ضرب حزب الله وجميع الأعداء ولكن المشكلة أن الجيش الإسرائيلي لم يكن على ما يكفي من الكفاءة وبالتالي أتوقع بأن هناك حرب أخرى مع إيران أو سوريا أو حزب الله وبالتالي يريدون للجيش أن يكون مستعداً للحرب القادمة وإذاً ما نراه هنا هو ليس تحدي لمسألة الحاجة إلى الدخول في الحرب، بل إنما الحاجة إلى وجوب أن تكون أكثر كفاءة مما كان عليه وزر الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة أثناء فترة الحرب .(1)

الحصاد النهائي للحرب الإسرائيلية / اللبنانية

كان لكل من حزب الله وإسرائيل أهداف يريد أن يجنيها من وراء هذه الحرب فهل يا ترى مَن من طرفي الطراع قد حقق أهدافه .

أولا : الحزب الله ، الأهداف والنتائج

لم تحقق عملية " "الوعد الصادق" التي شنها حزب الله على إسرائيل النتائج المرجوة منها ، كذلك الاعتصام المفتوح الذي دعا جميع اللبنانيين الى المشاركة فيه في وسط بيروت في الجمعة الأخيرة من شهر نوفمبر ٢٠٠٦ بهدف إسقاط حكومة الرئيس فؤاد السنيورة . وما تلاه من عمليات اغتيال لعدد من الشخصيات السياسية اللبنانية التابعة لكتلة ١٤ آزار .

بل يمكن أن نقول أن معركتيه : العسكرية والسياسية قد أتيا بنتائج عكسية :

١- فإذا كان من أهم أهداف حزب الله الاحتفاظ بسلاحه دفاعا عن لبنان من الاعتداءات الإسرائيلية بزعمه . فإن نتيجة المعركة العسكرية مع إسرائيل أدت إلى سيطرة قوة اليونيفيل على الجنوب اللبناني وإنهاء الوجود العسكري لحزب الله منه . وخوض الحكومة اللبنانية، المدعومة من الغرب، صراعا سياسيا مع حزب الله

(1) برنامج ما وراء الخبر " الخلافات الإسرائيلية حول نتائج الحرب على لبنان " قناة الجزيرة ١٦/ ٩ / ٢٠٠٦

المدعوم من دمشق وطهران.(1) بهدف نزع سلاحه وفقا لقرار الأمم المتحدة ١٧٠١" الذي أنهي الحرب وأبعد حزب الله عن الحدود التي أصبحت تحت حمايه القوات الدوليه(اليونيفيل) والجيش اللبناني, ولم يعد لدى الحزب القدرة علي القيام بأي عمل عسكري علي الحدود ضد اسرائيل كما كان يفعل من قبل, وهو ما جعل الحزب وحلفاءه يهربون إلى الأمام بإيجاد أزمة داخلية مع الأغلبية بهدف إعادة السيطرة علي الوضع الداخلي بشكل يسمح لهم بإعادة ترتيب البيت اللبناني وخاصة في ظل اقتراب موعد انتخاب رئيس الجمهورية الجديد. " (2)

كما أن لبنان تجري اتصالات مكثفة لتشكيل قوة متحركة لبنانية بمساعدة خبراء ألمان لوقف تهريب الأسلحة عبر الحدود اللبنانية السورية . وأكد وزير الإعلام اللبناني غازي العريضي, أنه سيتم قريبا تشكيل هذه القوة التي تهدف أيضا لمنع عمليات التسليح المحتملة للجماعات المختلفة اللبنانية وغير اللبنانية, وكذلك منع النشاطات الأخرى غير المشروعة علي الحدود بين البلدين. وستقوم ألمانيا بتزويد سلطات الجمارك اللبنانية بمعدات مثل أجهزة المسح الضوئي عالية التقنية بموجب اتفاق توصل إليه بين البلدين ،وكان مجلس الوزراء اللبناني قد أقر تشكيل القوة في جلسته التى عقدها يوم السبت الماضي. (3)

٢- إذا كان حسن نصر الله قد صرح عقب قيامه بعملية "الوعد الصادق" أن هدفه من ذلك تحرير الأسرى العرب من السجون الإسرائيلية الذين يبلغ عددهم ١٠,٠٠٠ أسير فإن الذي حدث هو فشل حزب الله في إطلاق أي أسير عربي حتى الأسرى اللبنانين الثلاثة .

٣- أما الزعم بأن حزب الله قد حقق انتصارا على إسرائيل بدليل :

أ- فشل إسرائيل في القضاء النهائي على حزب الله .

---

(1) نقلا عن BBCArabic بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠٠٧

(2) فتحي محمود "عام علي العدوان الإسرائيلي ضد لبنان " جريدة الأهرام ١٣ / ٧ / ٢٠٠٧

(3) جريدة الأهرام ٢٠٠٧/٨/١

ب- اعتراف إسرائيل بأن أقوى جيش في العالم لا يستطيع أن يقضي على حزب الله .

ج- لجان التحقيق الإسرائيلية التي أجمعت على هزيمة إسرائيل . وفي ذلك يقول نبيه بري رئيس المجلس النيابي اللبناني " هناك عشرات من لجان التحقيق الإسرائيلية التي أجمعت على هزيمة إسرائيل ، لكن في لبنان هنا فقط هم يقولون أننا انكسرنا ! " [1]

د- تصريح الرئيس اللبناني إميل لحود بأن انتصار حزب الله على إسرائيل غير مسبوق فلم تستطع أي دولة أن تحارب إسرائيل ثلاثة وثلاثين يوما . كان هذا بعد انتهاء المعركة مباشرة ، وجاء خطاب نبيه بري بعد أكثر من عام ليعزف على نفس الوتر متخذا من إقرار بعض التحقيقات الإسرائيلية بهزيمة إسرائيل دليلا على انتصار حزب الله في المعركة ثم أتبع ذلك بقوله : " إن جميع الحروب العربية الإسرائيلية قد هزم فيها العرب جميعها ورغم ذلك فإن العرب ادعوا أنهم انتصروا فيها " [2] كانه يريد أن يقول إن الانتصار الوحيد الذي حققه العرب على إسرائيل هو ما حققه حزب الله في ٢٠٠٦ !!!

أما عن الزعم بأن إسرائيل قد فشلت في القضاء نهائيا على حزب الله ففي هذا نظر فعدم تمكن إسرائيل من القضاء المبرم على حزب الله يرجع إلى :

أ- رغبة إسرائيل وحلفائها في استنزاف حزب الله اقتصاديا وعسكريا وبشريا فحسب دون القضاء عليه نهائيا حتى تحافظ على توازن القوى داخل لبنان ليظل الصراع اللبناني الداخلي مشتعلا هذا الصراع الذي تتخذه أمريكا وحلفاؤها ذريعة للتدخل في الشأن اللبناني الداخلي . وهذه السياسة ليست جديدة فقد استخدمتها أمريكا مع إيران في الحرب العراقية الإيرانية فقد كانت أمريكا تمد إيران بالسلاح سرا – عن طريق إسرائيل – كما تمد العراق بالسلاح جهرا لأنها تريد استنزاف

---

(1) كلمة نبيه بري في ذكرى تغييب الإمام موسى الصدر بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٣١

(2) نفسه .

القوتين فقط دون القضاء المبرم على أحداهما ، فالولايات المتحدة قد تسمح بانهيار قوة إيران الاقتصادية والعسكرية إلا أنها لا يمكن أن تسمح مطلقا بانتهائها تماما حفاظا على موازين القوة الإقليمية .

ب- تتخذ إسرائيل من سلاح حزب الله ذريعة جاهزة للعدوان على لبنان في أي وقت بحجة أن سلاح حزب الله يهدد أمن إسرائيل .

ج -هناك عقد صامت وربما اتفاق سري - والعلم عند الله - بين إسرائيل وحزب الله على ألا تسعى إسرائيل على القضاء المبرم على حزب الله ، وألا يعمد حزب الله على تهديد الأماكن الحيوية والاستراتيجة لإسرائيل والدليل على ذلك أن إسرائيل قتلت فقط ٥٠٠ جندي فقط من جنود حزب الله وهو ما يعدل ثُمْن عدد جند حزب الله ، كما أن صواريخ حزب الله لم تستهدف أي هدف حيوي إسرائيلي فهي صواريخ استعراضية كالتي نراها في المهرجانات والاحتفالات . فمن غير المعقول أن آلاف الصواريخ التي أطلقها حزب الله على إسرائيل لم تصب مطارا أو محطة مياة أو كهرباء أو جسر أو حتى تهدم هدفا عسكريا واحدا !!

ذكر تقرير منظمة "هيومن رايتس ووتش" الدولية أن "صواريخ كثيرة أطلقها "حزب الله"، من دون أن تستهدف أهدافا عسكرية مشروعة قائمة في مناطق سقوط الصواريخ لدى إطلاقها " [1]

أما تصريح إسرائيل بأن أي جيش في العالم لا يستطيع أن يقهر حزب الله فليس المقصود به أن حزب الله أصبح قوة عظمى تنافس الولايات المتحدة بل معناه أن حزب الله يتبع أسلوب حرب العصابات حيث يقوم بعض الأفراد بشن هجوم ثم يندسون داخل المدنيين (بطريقة اضرب واهرب) أو يطلقون الصواريخ من داخل المدن السكنية ولكي تقهر هذه الأفراد فإنه يتحتم عليك القيام بحرب إبادة يروح ضحيتها الملايين من أجل القضاء على أفراد معدودين وهذا مالا يسمح به المجتمع الدولي ولا منظماته .

([1]) نقلا عن وكالات الأنباء بتاريخ ٢٩ /٢٠٠٧/٩

أما تصريح أميل لحود بأن انتصار حزب الله على إسرائيل غير مسبوق ، وقول نبيه بري أن ما قام به حزب الله يعد هو الانتصار الوحيد الذي حققه العرب في تاريخ حروبهم مع إسرائيل متجاهلا انتصار مصر على إسرائيل في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ فهذا ما كان ليصدر من رجل المفترض أنه رجل سياسة بل من رئيس مجلس نواب " فليس هناك بالتأكيد كما يحلو للبعض وجه للمقارنة بين حرب يوليو/ أغسطس٢٠٠٦ بين المقاومة وإسرائيل في جنوب لبنان, وحرب أكتوبر١٩٧٣ بين مصر وإسرائيل في سيناء . فالأخيرة كانت حربا بين دولتين وجيشين ضما نحو ثلاثة أرباع المليون وقد شهدت كل فنون القتال والخداع اشتركت فيها جميع أنواع الأسلحة من الجانبين وكانت حربا لتحرير أرض محتلة , أما حرب لبنان فكانت بين جيش دولة وبين قوات داخل الدولة استخدمت أساليب الفدائيين وحروب العصابات,وكانت حرب إثبات المواجهة والصمود وتكبيد إسرائيل أكبر خسارة, ولكن في المقابل تكبد وطن المقاومة دمارا أكبر... كما أنها لم تكن حرب تحرير بمعني الكلمة بل يمكن القول إنها بحساب الواقع جاءت بالاحتلال (١)

٤- وإذا كان هدف حزب الله من الاعتصام المفتوح هو إسقاط الحكومة التي يترأسها فؤاد السنيورة والتي يتهمها بالتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية . وكانت البداية بالانسحاب من حكومه فؤاد السنيورة التي قادت لبنان خلال الحرب, والاعتصام في قلب بيروت بالقرب من مكتب السنيوره لمحاصرته وإجباره علي الاستقالة , وكان سيناريو المعارضة يقوم علي الإطاحة بالحكومة عبر الشارع, وتشكيل حكومة موقته تتولى إجراء انتخابات نيابية مبكرة تسعي المعارضة من خلالها الي الحصول علي الأغلبية وإعادة تركيب الوضع السياسي اللبناني, لكن الدعم الدولي والعربي القوي لحكومة السنيوره أفشل هذا السيناريو " (٢) أراد حزب الله إفشال حكومة السنيورة لكن الحكومة لم تسقط بل كسبت تأييد الرأي العام العربي والدولي .

([1]) صلاح منتصر الأهرام ٢٩ أغسطس ٢٠٠٦

([2]) فتحي محمود "عام علي العدوان الإسرائيلي ضد لبنان" جريدة الأهرام ١٣ / ٧ / ٢٠٠٧

٥- وإذا كان من أهداف حزب الله من الحرب على إسرائيل إبعاد حبل المشنقة عن رقبة بعض المسئولين السوريين فيما لو تم إنشاء المحكمة الدولية لمحاكمة المتورطين باغتيال رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري ." تطالب المعارضة التي تضم حزب الله والتيار الوطني الحر وحركة أمل وأطراف أخرى، بمقاعد أكثر في الحكومة تمكنها من الحصول على حق "فيتو" بمواجهة قرارات حكومية، ما ترد عليه الحكومة باتهام المعارضة بأنها تريد عرقلة قيام محكمة دولية في قضية اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري. (1) فإن مجلس الأمن قد أقر إنشاء محكمة ذات طابع دولي بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة - الذي يجيز اللجوء الى القوة لتنفيذ القرارات الدولية - لمحاكمة المتورطين باغتيال رئيس وزراء لبنان الاسبق رفيق الحريري . وصدر قرار مجلس الأمن رقم ١٧٥٧ بأغلبية ١٠ أصوات وامتناع ٥ دول عن التصويت لمحاكمة قتلة الحريري، والمتورطين في الاغتيالات التي وقعت في لبنان خلال السنوات الثلاث الماضية .

وبموجب هذا القرار يدخل الاتفاق الموقع بين الأمم المتحدة والحكومة اللبنانية عام ٢٠٠٦ حيز التنفيذ في العاشر من شهر يونيو ٢٠٠٧ .

وكان أحد تقارير لجنة التحقيق الدولية قد أشار إلى أن عملية اغتيال الحريري كانت لدوافع سياسية، ولمح إلى احتمال تورط سوري في الاغتيال وهو ماتنفيه دمشق دائما. (2)

وكان تقرير " ميلس " قد صدر بكل ما فيه من اتهامات صريحة وضمنية عن احتمالات ضلوع النظام السوري في اغتيال الحريري (3)

٦- وإذا كان هدف حزب الله من الحرب على إسرائيل تثبيت دعائم الرئيس إميل لحود الذي أرغمت القوات السورية القوى اللبنانية على التمديد له فترة رئاسية

---

(1) نقلا عن BBCArabic بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠٠٧

(2) نفسه بتاريخ ٣١ مايو ٢٠٠٧

(3) السيد يسين " إعادة اختراع السياسة من الحداثة إلى العولمة " الهيئة العامة للكتاب ص ٢٥٦

أخرى دون اللجوء إلى انتخابات رئاسية كما ينص الدستور اللبناني . والذي لا يفتأ حسن نصر الله " عن تأييده المطلق لرئيس الجمهورية إميل لحود ووصفه بأنه الوحيد في السلطة " الذي دافع عن الثوابت اللبنانية في الخارج".(1) فقد غادر الرئيس لحود قصر " بعبدة " يوم ٢٣ / ١١/ ٢٠٠٧ . والرئيس المرتقب هو أول رئيس يتم انتخابه بدون قرار سوري وبالتالي لابد من عدم السماح بتدخل دمشق في هذا الموضوع عبر حلفائها في لبنان كما ان الاستقلال الثاني للبنان, الذي تحقق بخروج القوات السورية منه لن يكتمل الا بوجود رئيس جديد خارج عن نطاق الرئاسة السورية (2)

٧- وإذا كان هدف حزب الله إعادة لبنان إلى أجواء الحرب الأهلية تمهيدا لعودة سوريا ، وإيران كلاعبين رئيسيين فيه . فالذي حدث أن جر حزب الله لبنان إلى شفا حفرة من الحرب أهلية دون أي احتمال لعودة سوريا كلاعب رئيسي هي أو إيران بل على العكس تماما فقد ضُيِّق عليهما و وضعت الحدود السورية اللبنانية تحت المراقبة الشديدة من قوات اليونيفيل ، والجيش اللبناني لمنع دخول سلاح سوري لحزب الله ،وقد تمكن الجيش اللبناني من إحباط العديد من المحاولات السورية لتهريب السلاح لحزب الله ، وأصبحت عملية ضبط الحدود اللبناية ليست هدفا أمريكا إسرائيليا فحسب بل وهدفا عربيا كذلك فقد " قرر مجلس وزراء الخارجية العرب في الاجتماع الطارئ الذي عقد في القاهرة لمساعدة لبنان في ضبط حدوده مع سورية وتشكيل وفد عربي لإجراء اتصالات مع مختلف القيادات السياسية اللبنانية . ولم يوضح البيان الختامي نوع المساعدات التي ستقدمها الدول العربية للبنان في ضبط حدوده مع سوريا (3)

٨- وإذا كان غرض حزب الله رفع الغبن الواقع على الشيعة الذين يسكنون الجنوب ، والمطالبة بمشاركة أكبر لهم في اقتصاديات البلاد والإدارة والحكم فإن

---

(1) نفسه بتاريخ ٩ أبريل ٢٠٠٧

(2) فتحي محمود "عام علي العدوان الإسرائيلي ضد لبنان " جريدة الأهرام ١٣ / ٧ / ٢٠٠٧

(3) نفسه بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠٠٧

الذي حدث أن الحرب قد دمرت تماما الجنوب اللبناني وقضت على كثير من سكانه ومن بقي حيا هرب إلى الشمال ليعش في إحدى المدارس التي تحولت إلى أماكن إيواء . وبعد الحرب وزع عليهم حزب الله بضع آلاف من الدولارات مما جادت بها إيران عليه تعويضا عما جرى لهم أثناء المعركة .

٨- وإذا كان هدف حزب الله إظهار الشيعة بمظهر البطولة والفدائية في مواجهة إسرائيل عدو الأمة , فإن ما تقوم به إيران من دعم شيعة العراق لإفناء خصومهم العراقيين من السنة وغيرهم مما يَصُب في صالح الاحتلال الأمريكي للعراق قد جعل من إيران والشيعة الموالية لها أعداء للأمة كأمريكا وإسرائيل بل أشد ، كذلك فُسِّر دعم إيران لحزب الله الشيعي على أنه ضرب لسنة لبنان مما حدا بكثير من علماء السنة في شتى البلاد الإسلامية إلى شن حروب عقائدية على المذاهب الشيعية وأنصارها وساهمت وسائل الإعلام المختلفة وعلى رأسها القنوات الفضائية ذات التأثير واسع الانتشار في التنفير من المذهب الشيعي ومعاداة أنصاره " الحرب المقبلة هي حرب السنة والشيعة، فأين تقفون؟ هذا ما قيل لأحد القياديين الفلسطينيين في زيارته للعربية السعودية في وقت قريب مضى " (١) وفي مصر بدأت حملة اعتقال واسعة للشيعة المصريين ، وفي السعودية أعلن الشيخ ابن جبرين – أثناء الحرب الإسرائيلية على لبنان – تحريم التعاون مع حزب الله الشيعي ، وفي مصر أشار الشيخ حسين يعقوب – أثناء المعركة كذلك وعلى قناة الناس – إلى أن حزب الله وجنوده ليسوا جند الله الحقيقيين الذين سيأتي على أيدهم نصر هذه الأمة . " " لقد نادت بعض الأصوات ممن يسمون أنفسهم مرجعيات سنية بالإفتاء بعدم نصرة حزب الله في معركته مع إسرائيل وفي إطار عمق مذهبي متشرذم يستندوا إليه كصراع بين السنة والشيعة " (2)

٨- أما تخفيف الضغط عن النظام الإيراني بسبب إصراره على مواصلة برنامج إيران النووي . فقد كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية ما يلي

---

(1) د. عادل سمارة " حرب على إيران____حرب إلى يوم القيامة " ٢/٣/ ٢٠٠٧

(2) سميح خلف " من هو حزب الله " جريدة منبر دنيا الوطن الفلسطينية الإلكترونية ٢٩ يوليو ٢٠٠٦

في مقال بقلم الصحافية المختصة بالعالم العربي "سمادار بيري" كاتبة : " يومين قبل اجتماع قادة مجموعة الثمانية في سانت بيتيرسبورغ في روسيا اتجه مبعوث إيراني – علي لريجني – الى دمشق وسلّم لكبير جهاز العمليات لدي حزب الله كلمة السر لعملية الاختطاف. حُدِدَ التوقيت, ومقاتلو حزب الله توجهوا لتنفيذ العملية. في طهران عرفوا بأن إسرائيل "ستقيم الدنيا وتقعدها" وحينها سيعالج موضوع البرنامج النووي الأيراني بشكل هامشي" (في اجتماع مجموعة الثمانية).

هل حققت العملية التي قام فيها حزب الله أهدافها الإستراتيجية في تحييد مجموعة الثمانية من اتخاذ قرارات ضد المشروع النووي الايراني؟ من الواضح أن الجواب هو بالإيجاب !!! (1)

لكن إذا كانت الحرب قد أجلت اتخاذ قرار ضد المشروع النووي الإيراني فإنها لم تلغ القرار إنما أجلته لأن الحرب الإسرائيلية كانت مجرد ورقة لعبت بها طهران لكسب مزيد من الوقت الوقت لا لإنهاء الأزمة وفي ذلك يقول حسن نصر الله " وفيما يتعلق بإيران فإن الاتهام بأن الهدف من المواجهة السياسية هو خدمة الملف النووي الإيراني غير صحيح لأن مثل هذا الملف تعالجه قوى كبرى ولا مكان للبنان فيه " (2)

فحزب الله واجه خلال الحرب انتقادات كثيرة من معظم الشعب اللبناني وخاصة من الطائفتين السنية والمارونية والأغلبية النيابية التي حملته مسئولية العدوان الإسرائيلي والدمار الشامل الذي لحق بلبنان, بعد أن أعطي الذريعة لإسرائيل بقيامه بخطف جنديين علي الحدود واتهمت هذه القطاعات حزب الله بخطف قرار الحرب من الدولة اللبنانية تنفيذا لمصالح إيرانية علي حساب مصالح اللبنانيين, الأمر الذي وضع الحزب والطائفة الشيعية بشكل عام في موقف دفاعي (3)

---

(1) خالد كساب محاميد " الأهداف الاستراتيجية لحزب الله وإيران في الحرب "الأخيرة" . صحيفة منبر الوطن الفلسطينية ٢٨ / ٨ / ٢٠٠٦

(2) نقلا عن BBCArabic بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠٠٦ .

(3) فتحي محمود "عام علي العدوان الإسرائيلي ضد لبنان " جريدة الأهرام ١٣ / ٧ / ٢٠٠٧

١٠- وإذا كان من أهداف حزب الله تخفيف الضغط عن حماس بعد خطف الجندي الإسرائيلي واجتياح إسرائيل لغزة " وقد أتت هذه العملية عقب خطف منظمة حماس الإسلامية السياسية المتشددة التي ترأس حكومة فلسطين لجندي إسرائيلي, وبما يكشف حجم التواطؤ والتنسيق بين قوي التطرف في المنطقة المتحالفة مع إيران وسوريا." (1) فإن الذي حدث أن استغلت إسرائيل انشغال الرأي العام العالمي بحرب لبنان وراحت تكثف من عدوانها على الفلسطينيين قتلا واعتقالا وهدما للبيوت مما أجج الفتنة بين فتح الممثلة في الرئيس عباس ، وحماس الممثلة في إسماعيل هنية وحكومته مما أدى إلى الاقتتال الداخلي الذي أدى إلى انقلاب حماس على السلطة الشرعية واحتلال غزة .(2)

هذه هي أهداف حزب الله من الإقدام على ما أقدم عليه نحو إسرائيل ، وهذه كانت النتائج المضوعية بعيدا عن مهاترات القوميين والمنتفعين وذوي الإغراض والأهواء .

ولقد كان حسن نصر الله من الشجاعة بحيث أعلن صراحة ودون أي موابة أنه لم لم يكن يحسب أن الأمور ستئول إلى ما آلت إليه وأنه نادم على ما جرى فقد صرح السيد حسن نصر الله في لقائه مع شبكة " تلفزيون الجديد" : إن "قيادة حزب الله لم تتوقع ولو واحد بالمئة أن عملية أسر الجنديين ستؤدي إلى حرب بهذه السعة وبهذا الحجم ،. و لو علمت أن عملية الأسر كانت ستقود إلى هذه النتيجة لما قمنا بها قطعا."

ثانيا : إسرائيل الأهداف والنتائج :

كان لإسرائيل أهداف من وراء حربها على لبنان يحصرها الباحث الإسرائيلي " شلومو بروم " غايات ثلاث هي :

---

(1) عبده مباشر " دولة حزب الله " جريدة الاهرام ٢٥ / ٧ / ٢٠٠٧

(2) لمزيد من التفاصيل حول الصراع بين فتح وحماس انظر " إسرائيل وحركات المقاومة الفلسطينية " للمؤلف .

- الغاية الأولى : جباية ثمن باهظ من مهاجمة أهداف في لبنان، سواء أكان ذلك الثمن مباشرًا من الخسائر اللاحقة بحزب الله أو كان ثمنا سياسيا، عن طريق تقويض مكانة حزب الله داخل لبنان بواسطة المس بأهداف لدولة لبنان، مثل مطار بيروت ومحطة توليد الطاقة وعزل جنوب لبنان عن شماله. والفرضية هنا هي أن من شأن ضربات كهذه أن تصاعد الضغط الداخلي على حزب الله من أجل كبح جماحه ومن أجل نزع سلاحه في سياق لاحق. وكل هذه الأمور يفترض بها أن تعيد ترميم ميزان الردع أمام حزب الله .

ولقد تحققت هذه الغاية بتمامها وكمالها كما بينا من قبل .

- الغاية الثانية : إيجاد ضغط دولي على حزب الله وأوصيائه في سوريا وإيران من أجل أن يعملوا هم أيضًا على كبح جماحه، من منطلق الافتراض بأن الأسرة الدولية لا ترغب في رؤية لبنان يتحطم ثانية .

وقد تحقق هذا بقبول لبنان وحزب الله وسوريا بقرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١[1]

- الغاية الثالثة : إلحاق ضربة قاسية بقدرات حزب الله العملياتية في سبيل خفض قدرته على المس بأهداف مدنية داخل إسرائيل.

وقد تحقق هذا تماما بـــ :

١- تدمير واستنزاف قوة حزب الله في الحرب

٢- فرض رقابة شديدة على الحدود اللبنانية لمنع إعادة تسليح حزب الله .

٣- إجلاء حزب الله عن منطقة نفوذه وشيعته في الجنوب واستبدال قوات اليونيفيل بقواته .

وهكذا فإن حرب حزب الله مع إسرائيل انتهت كما انتهت حروب عربية أخرى حينما تحولت من صراع مع الأعداء إلى صراع داخلي محض، حينما تصور

---

(١) راجع أهم بنود هذا القرار في نهاية الفصل السابق .

طرف من أطراف اللعبة السياسية أن' المقاومة' تعطيه الحق في السيطرة أو التحكم في النظام السياسي كله. وفي الحقيقة فإن مهارة الشيخ حسن نصر الله واقعه بين القلب والعقل, وبينهما يوجد فم مفوه قادر علي الحشد والتعبئة, وعندما يعتلي منصه الكلمة يبدو قادما من أعماق التاريخ حاملا رايات منصوبة وبيارق مرفوعة تكفي قداستها لدفع الآلاف نحو الموت, وهو لبناني بكل ما تعنيه الكلمة من حضارة قلقة بين العالمية الواسعة والطائفية الضيقة. ولكنه أيضا قادم من جنوب لبنان حيث تختصر الأمم في طوائف, وتقف مصائر الأمم علي أسنه الرماح, وتعتصر فيه الدول إلى مناورات أحزاب وزعامات, وتتحول حروب المقاومة والتحرير إلى حسابات خاطئة, وجمل ثورية, وساحات ملتهبة بالشقاق والانقسام وروائح الحرب الأهلية. وببساطة طبعة أخرى من الكتاب نفسه الذي بشر الأمة بالشعارات الثورية ثم أخذها إلى التيه, وأعطاها الحماسة ثم أخذها .إلى حيث لا يعود أحد, ووعدها بالانتصار فإذا به يكون حيث لا تكون قضية .

ومن المدهش أن اسرائيل التي خرجت من الحرب وقد توقف حزب الله عن قتالها, وبعد أن أصبحت هناك قوة دولية واسعة السلطات تقف عازلة بينها وبين' المقاومة', وتباشر عملية رقابة دائمة علي كل المنافذ اللبنانية من موانئ ومطارات كانت هي التي قامت بتشكيل لجنة تحقيق أصدرت تقريرا أوليا فينوجراد أدان الحكومة الإسرائيلية وأخطاءها أثناء الحرب. ولكن على الجانب الآخر, في لبنان أو العالم العربي كله, لم يكن هناك أحد علي استعداد لفتح ملفات التحقيق والمسئولية العسكرية والسياسية, بل وأكثر من ذلك جرت الاحتفالات الواسعة بالنصر المستمد من الاعتماد علي المعايير الاسرائيلية .

ولكن القضية الأعمق ظلت دوما ذلك الدور الذي تنتزعه هذه المنظمات لنفسها علي حساب الدولة الوطنية, من أول اتخاذ قرارات تخص الحرب والسلام نيابة عن الحكومات والسلطات الوطنية, وحتي خلق ازدواجية سياسية مع هذه السلطات من خلال ايجاد القدرة علي حمل واستخدام السلاح داخل الدولة وخارجها. وكان ذلك

هو ما فعله حزب الله في لبنان قبل الحرب عندما عزل الجنوب اللبناني وفرض عليه سيطرته, واستمر فيه بعدها عندما سيطر علي العاصمة بيروت, وكانت النتيجة ليس فقط شلل الدولة اللبنانية, بل أيضا فتح الأبواب لجماعات أخري تمارس دورها, بالأصولية, و'المقاومة', من أجل منازعة الدولة وجيشها كما فعلت جماعة' فتح الاسلام' الفلسطينية في مخيم نهر البارد, وجماعة' جند الشام' في مخيم عين الحلوة, مما فتح الجروح اللبنانية اللبنانية, واللبنانية الفلسطينية على آخرها.

هذا' النموذج' ليس لبنانيا خالصا, أو يرتبط ارتباطا وثيقا بتجربة حزب الله في لبنان بظروفها الخاصة المعروفة من انقسام بين طوائف مختلفة حدث أن واحدا منها الشيعة- شكل القاعدة الشعبية لحزب الله وصلاته الخارجية الممتدة حتي طهران. فما حدث خلال العام الماضي في فلسطين كان صورة مماثلة مع اختلاف في التفاصيل, وفي ظل واقع' سني' هذه المرة, حينما قامت جماعة حماس بالانقلاب علي السلطة الفلسطينية واحتلال مواقعها في قطاع غزة. وكما حدث في لبنان حدث في فلسطين حيث استخدمت الجماعة- حزب الله وحماس- القوة بالعنف المسلح أو بالتظاهر او كلاهما معا- لشل السلطة الوطنية ثم بعد ذلك المطالبة بالحوار معها مباشرة أو من خلال الوسطاء من أجل تشكيل حكومة للوحدة الوطنية تكون للمنظمة الأصولية اليد العليا فيها. وكما حدث في لبنان تولد في فلسطين جماعات جديدة أكثر تطرفا, وكأنه لم يكن كافيا قسمة الجماعات الأصولية الفلسطينية بين حماس والجهاد الاسلامي, بل إنه خرج علي الفلسطينيين جماعة' جيش الاسلام' التي بدأت حياتها السياسية السرية بتدريب الإرهابيين المصريين, والعلنية باختطاف الصحفي البريطاني الان جونستون ثم الافراج عنه وسط ضجة دولية واسعة.

ولم يتوقف النموذج اللبناني عند الأوضاع الداخلية, وقسمة القوى السياسية المختلفة إلى جماعة' المقاومة' وجماعة' الموالسة', وإنما إلى الحقيقة المرة التي تقول إنه رغم الكلمات الزاعقة والعبارات الضخمة والجمل الثورية, فإن المقاومة قد توقفت, وباتت' الهدنة' هي عنوان الموقف كله. وذلك سيكون مفهوما لو أن وقف إطلاق النار قد جرى ضمن استراتيجيه للسلام, ولكن المعضلة هي أنه لا توجد

استراتيجية لا للحرب ولا للسلام, وإنما الجهد السياسي والدبلوماسي وحتي العسكري المبذول مكرس كله لإبقاء الأوضاع مع إسرائيل علي ما هي عليه, والاستفادة من هذه الأوضاع في خدمة أهداف محلية محضة .

لقد مضي عام علي الحرب اللبنانية الثانية, وبينما أدت الحرب الأولى إلى كم هائل من الجرائم الإسرائيلية ضد الشعب اللبناني وأرضه, إلا أن الحرب الإجرامية كانت في النهاية حرب لبنان كلها بجميع طوائفه وشيعه حتي انتصر في النهاية بخروج القوات الأمريكية الغازية, ومن بعدها القوات الإسرائيلية البربرية التي كانت قد استقرت في الجنوب اللبناني حتي عام ٢٠٠٠ ولكن الحرب الثانية وإن وحدت الصفوف اللبنانية في بدايتها, فإنها بعد انتهاء الحرب كانت سببا في تفريق وتقسيم لبنان إلى شيع وأحزاب, والأخطر أنها وضعته علي حافة الحرب الأهلية من جديد.

وبعد عام من الحرب يبدو النقاش الذي جرى أيامها حول نصر أو هزيمة حزب الله نوعا من المفارقة مع مقتضي الحال, فسواء أكان الحزب منتصرا أو مهزوما فإن حال لبنان لا يسر عدوا ولا حبيبا. وبالتأكيد فإن حال الأمة العربية أصبح أكثر بؤسا بما يجري فيها بين لبنان وفلسطين والعراق والصومال والسودان من الخوض في حروب أهلية أو انتظار ساعتها المروعة; وفي كل هذه الدول فإن المأساة واحدة حيث قادت جماعة أصولية أو أكثر عملية تدمير البلد المعني من خلال المزايدة والتقسيم واستخدام القوة المسلحة إذا لزم الأمر. وفي بلاد أخرى فإن النصر يكون دوما نقطة انطلاق إلى الأمام تمسك فيه الأمة بتلابيب الزمن, وناصية المكان, وبرامج المعرفة والانطلاقات الاقتصادية الكبرى ; ولكن ما بال الحال لدينا مختلفا حيث يكون النصر هو بداية التراجع, والفخر في الانتصار على الأخوة والرفاق, والعزة في الشرذمة والتفرق. فإذا كان ذلك هو انتصار العام الماضي, فكيف كانت الأحوال في الأمة لو كان ما جري بين يوليو وأغسطس من العام الماضي هزيمة ؟!.[1]

***

([1]) د. عبد المنعم سعيد " عام علي حرب لبنان الثانية " جريدة الاهرام ١٦ / ٧ / ٢٠٠٧

الفصل الرابع

موقف الحلفاء من الحرب على لبنان

تحدثنا في الفصل السابق عن نتائج الحرب الإسرائيلية اللبنانية على كلٍ من إسرائيل ، ولبنان ، وحزب الله . فماذا عن موقف حلفاء الطرفين المتصارعين (إسرائيل ، وحزب الله) من هذه الحرب وموقف الدول العربية المعتدلة وموقف شعوبها .

سنبدأ أولا بموقف حلفاء حزب الله : سوريا وإيران

موقف السوري من الحرب

سبق أن قلنا إن سوريا العاجزة عن مواجهة إسرائيل تتخذ كلاً من المقاومة الفلسطينية واللبنانية كوكيلين عنها في صراعها مع إسرائيل وهي لا تتوانى في التضحية بمستقبل هذين البلدين المنكوبين في سبيل الوصول إلى تسوية مرضية لها مع إسرائيل حول الجولان ، هذا هو هدف سوريا من تواجدها في لبنان منذ ١٩٧٦ وحتى خروجها مكرهة في أبريل ٢٠٠٥ بعد اغتيال رفيق الحريري الذي تشير أصابع الاتهام إلى ضلوع النظام السوري فيه مما يلف حبل المشنقة حول رقبة بعض كبار المسئولين السوريين فيما لو أنشئت المحكمة الدولية وانتهى التحقيق فيها بإدانتهم لذا كان من مصلحة الحلفاء الثلاثة (سوريا وإيران وحزب الله) إقدام حزب الله على عملية " الوعد الصادق " لتعطيل هذه المحكمة (1)

أما عن الموقف السوري أثناء الحرب وبعدها فقد نفى فاروق الشرع نائب الرئيس السوري صلة سوريا بما قامت به حماس من خطف للجندي الإسرائيلي في

(1) انظر ، أسباب الحرب الإسرائيلية السادسة على لبنان ، الفصل الثاني " من الانسحاب إلى الاحتلال "

(٢٠٠٦/٦/٢٥) وصلتها بعملية حزب الله (٢٠٠٦/٧/١٢) وقرر أن المقامة الفلسطينية واللبنانية هما صاحبا القرار وأرجع سبب هاتين العمليتين إلى الاحتلال .

قال فاروق الشرع : " إن الاحتلال هو مصدر وسبب رئيسي للتحريض ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني، لذلك هناك مقاومة لبنانية وفلسطينية والقول الفصل هو للمقاومة في فلسطين وجنوب لبنان وهم يقررون ماذا يفعلون، ولماذا يفعلون" [1]

أما عن موقف الشعب السوري الخاضع لأمر نظامه ، فقد فتح المنازل للاجئين اللبنانيين ووفر لهم أسباب العيش . كما قام بتنظيم المظاهرات المنددة بالعدوان الإسرائيلي والمشيدة بالموقف البطولي لحزب الله .

أما مواقف المعارضة السورية فكانت متضاربة ومتعارضة :

أولاً : التيار الوطني الديمقراطي: أبدى منذ بداية الحرب، موقفاً منها، باعتبارها حرباً أمريكية – إسرائيلية ضد لبنان ووقف مع المقاومة مؤيداً إياها ومعتبراً إياها تحارب المشروع الأمريكي – الإسرائيلي المستهدف لجزء من الأمة العربية وبالتالي تساهم المقاومة وتعزز البعد الوطني والديمقراطي إذا تنسقت وتضافرت جهودها مع جهود اليسار العربي والديمقراطيين والمنظمات المدنية في بناء الدولة العربية الديمقراطية، مع نقد ظاهر أو مبطن للبعد الديني لحزب الله وتأييد الجانب الوطني له وتثمين دوره في مواجهة الحرب..

ثانياً: التيار الليبرالي الديمقراطي، أظهر دعماً للحكومة اللبنانية وغزلا برئيسها وتآزرا لموقف النظام العربي الرسمي ومواقفه العقلانية ضد المغامرات والعمليات غير المحسوبة. ووقف ضد المقاومة معتبراً إياها استطالة سورية أو إيرانية، (كتيبة إيرانية في لبنان) ليس إلا، وعلى حساب دم أخر لبناني في الجنوب. وهو نفس موقف جماعة ١٤ آذار، ولكن إذا استثنينا جماعة الليبراليين الأمريكيين فإن هذا الموقف تغير جزئيا ً أثناء استمرار الحرب حيث برز موقف مناصر للمقاومة

([1]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

باعتبارها تدافع عن لبنان وإن كان صياغاته وتعابيره الكلامية في سياق دعم الشعب اللبناني، وبالطبع كان هذا من جراء صمود المقاتلين في مارون الراس وبنت جبيل وعيتا الشعب وكل مكان وصلت إليه القوات الإسرائيلية الغازية وأيضاً بسبب الدمار اللامحدود الذي سبب العدوان الإسرائيلي ووقوف الدول الإمبريالية مع إسرائيل، ولكن موقفه وبوضع الحرب أوزارها، عاد إلى ما كان في الأيام الأولى وبذات النغمة وتحميل المقاومة ما جرى، واعتبارها حماقة وانتهى دورها وأنها تصب في خانة النظام السوري والإيراني .

ثالثاً: تيار المعارضة السلطوية: وهو أقرب لجبهة الخلاص الوطني، وربما يعتبر من أكبر المستفيدين من نتائج الحرب، حيث تعد العدة للانقضاض على السلطة السورية. خاصة وأن الحكومة اللبنانية ستعمل الآن جاهدة من أجل تشكيل المحكمة الدولية لمحاسبة المسئولين عن جريمة قتل رفيق الحريري. وباعتبارها تؤكد على لسان خدام أن السلطة السورية هي التي قامت بالعملية وتتفق مع أمريكا وفرنسا في هذا فإن سياسة أمريكا الهروب إلى الأمام الفاشلة في لبنان سيتم تجريبها على سوريا من جديد وهذا أخطر ما تواجهه سوريا منذ الثمانينيات ...

وبالمحصلة، الوقوف ضد الاحتلال ومخططاته وكذلك أنظمة الاستبداد والطائفية والعقلية الاستبدادية. والاستفادة من نتائج المقاومة. هو ما يجب أن يميز الخط الوطني الديمقراطي وقوى التيار الثالث. بذلك فقط نكون أقرب إلى العقل النقدي والمتأمل والواقعي بامتياز وقادرون على خوض المعارك الكبيرة والصغيرة. وتشكيل الدولة العربية الديمقراطية المقاومة ومتجاوزين جلد الذات والآخرين .[1]

أما النظام السوري فقد سارع فور انتهاء الحرب بمحاولة جني ثمار حرب لم يطلق فيها رصاصة واحدة ، لقد وصف الرئيس بشار الأسد موقف الدول العربية المعتدلة بأنصاف المواقف ، ووصف حكامها بأنصاف الرجال لأنهم أدانوا ما فعله

([1]) من مقال لــ " عمار ديوب " .

حزب الله في البداية ، ثم عادوا فوقفوا بجانبه وعملوا على إيقاف الحرب وعلى إزالة آثار العدوان بتقديم المساعدات المادية والعينية !!

فقد ألقى بشار الأسد خطاباً مطولاً يوم ١٥-٨-٢٠٠٦ في المؤتمر الرابع لاتحاد الصحفيين العرب أشاد فيه بالعملية التي قام بها حزب الله وندد فيها بالدول التي أدانتها وإليك عرضا لأهم ما جاء في خطاب الرئيس بشار الأسد وتعليق عثمان قدري مكانسي عليه : " يقول بشار : " إن المقاومة هي قوة رادعة لأي عدوان إسرائيلي ".. فأين المقاومة التي يمدحها ويدعو إليها ؟..إن النظام (السوري) يمنع بالقوة استعمال الحدود السورية ضد الدولة العبرية منذ عقود، ويعتقل بقرار رئاسي من يقترب من الجولان والحدود السورية. وإسرائيل – على هذا – مطمئنة إلى أن النظام يحافظ على الهدوء ويلتزم بالمعاهدة الأمنية مع إسرائيل في معاهدة " حسن الجوار " وأن تحليق الطائرات الإسرائيلية فوق دمشق والمدن السورية وقصر الرئاسة، وأن قصف المنشآت العسكرية والمدنية السورية المستمر لم يحرك في النظام الخائف ساكناً، وأن الرد الموعود على انتهاكات العدو هو الشجب والاستنكار بحياء وخفر، وهذا أقصى ما يمكن أن يفعله النظام السوري كما أدلى به بعض المسئولين. **ونلاحظ أن بشاراً لم يدل بأي تعليق على الحرب الإسرائيلية اللبنانية إلى أن أعلنت إسرائيل أنها لن تضرب سورية. فانشرح صدره، وهدأت نفسه، واستقر جنانه، وانفلت عقال لسانه.** وانطلق " أسداً " في التصريح يفلسف كعادته حين يبيض ويفرّخ ويشعر بالأمان .

– يستنكر بشار أن يكتفي المجتمع الدولي بالتحقيق فقط في مجازر " قانا " و" اغتيال الحريري" ويطالب بالتحقيق في كل المجازر التي حدثت في لبنان.. ونحن نطالب بما يطالب به بشار، ونزيد أمراً مهماً وهو التحقيق في المجازر الرهيبة التي ارتكبها النظام السوري حين قتل في حماة فقط أكثر من ثلاثين ألفاً، وقتل في سجن تَدْمُر قرابة ألف مثقف وداعية من خيرة رجالات سوريا البطلة، وارتكب المجازر في حلب وجسر الشغور وجميع المدن السورية المنكوبة بالنظام الأسدي المستبد .

– يقارن بشار بين المقاومة اللبنانية عام ١٩٨٢ التي سقطت أمام ضربات الجيش الإسرائيلي في أيام معدودة فوصل الجيش الإسرائيلي بسهولة إلى بيروت وبين المقاومة اللبنانية التي يدعمها النظام السوري وإيران حيث لم يستطع الجيش الإسرائيلي أن يحتل في أكثر من شهر ألا بضع مئات من الأمتار، ونسي الفيلسوف الأسدي أن الجيش السوري ذا العقيدة القتالية الأسدية سقط – مع الأسف – في خمسة أيام عام ١٩٦٧ وضيّع الجولان. ثم خسر في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، وفي أقل من أسبوع ضيّع أكثر من ثمانية وعشرين قرية. أفلا قارن بين جيشه العقائدي وبين المقاومة اللبنانية ؟! وإذا كان يدّعي الدعم للمقاومة فإن أفضل الدعم أن يغتنم الفرصة ليشن حرباً ضروساً في الجولان وينقذها، فقد ادعى أن المقاومة هي التي تحرر الجولان، فأين هذه المقاومة التي لم تولد حتى بعد أكثر من ثلاثين سنة ؟! ولن تولد في ظل النظام الأسدي .

يقول بشار في خطابه التاريخي ! : " لقد أثبتت المعارك المجيدة التى خاضتها المقاومة بإيمان وكفاءة نادرة عددا من الحقائق..الحقيقة الأولى أن القوة العسكرية مهما عظمت عندما لا تمتلك عقيدة وأخلاقا ولا تستند إلى حقوق مشروعة ولا تبنى على سياسة مبدئية تنتج الهزيمة.

الحقيقة الثانية أن المقاومة التي تمتلك الإيمان والعزيمة والصمود وتحتضن رؤية ومبادئ وأهداف الشعب.. ويحتضنها الشعب ويتبناها تنتج الانتصار. وفى هذه الحالة لا يتعدى انتصار العدو المدجج بالسلاح كونه تدميرا للحجارة وقتلا للمدنيين. وبما أن كل احتلال هو عمل غير أخلاقي فلابد له.. بل يجب أن يفشل ويهزم.. وإسرائيل هي النموذج. فالقوة العسكرية ليست كل شيء. والقوة التدميرية للسلاح ليست كل شيء .

وهنا تكمن الحقيقة الثالثة التي تؤكد محدودية القوة الإسرائيلية رغم تفوقها . وتحددها بقوة إيماننا وثباتنا وإرادة القتال لدينا .

ونقول للرئيس بشار ما دمت تؤمن بهذا الإعداد بشقيه أو تدّعيه :

١- فهل أعددت جيشك الذي يقضي أفراده في بناء مزارع أمراء ضباطه على هذه المبادئ ؟

٢- أين المقاومة التي تمتلك الإيمان والعزيمة والصمود، وتحتضن مبادئ الشعب وأهدافه ؟

٣- بل أين المقاومة نفسها التي قضيت عليها وكممت أفواه الشعب وكبلت أياديهم فما ينبغي لهم أن يفكروا بها ؟

٤- هل الشعب قادر على احتضان المقاومة وهو مكبل بأمور كثيرة أولها وأهمها الأجهزة الأمنية التي تعد الأنفاس وتجثم على صدور الشعب فتحصي كل شاردة وواردة ؟..إن شعباً يعيش على الخوف ويربّى على الذل ليس قادراً على احتضان مقاومة لأن الأجهزة القمعية تحتضنه وتحيط به وتكتم نفَسه .

٥- إذا كان النظام يؤمن بمحدودية القوة العسكرية الإسرائيلية فلماذا لم يخض معها معركة الشرف ويحرر الجولان ؟! إننا نرى أفعالاً وأقوالاً تعاكس هذا الكلام المنمق، نرى وزير الخارجية السوري – على سبيل المثال – يتهم كل من يطالب بالمقاومة في الجولان عدواً لأمن البلاد وخيانة للوطن !!

٦- ادعى بشار أن المقاومة تأخذ غطاء شرعياً من الحكومة ولا تستأذنها في جهاد العدو. لكن هذا يكون فيما يلي :

أ- تُشْرِك الشعب بكل فئاته في القتال، ولا تحجره على الآخرين إذا لم يكن تحت رايتها فقط .

ب- أن يكون ولاؤها لوطنها فلا تعمل لحساب دولة لها مصالحها الخاصة وتسعى لها على حساب الآخرين .

– وأخيراً يبدو أن النظام السوري يترنح في أيامه الأخيرة، فهو يستعدي البلاد العربية كلها ويحشر أنفه في الخلافات اللبنانية وكأنه ما يزال السيد المطلق فيه، لا

يستطيع أن يستوعب التغيرات التي ألقت به خارج لبنان، ويستعمل سوقي التعبيرات مما يدل على إفلاسه وضيقه [1]

ويقول الأستاذ مصطفى بكري تعليقا على هذا الخطاب أيضا : " لقد فوجئ الجميع حتى أنصار سوريا باللهجة الحادة التي تميز بها خطاب ما بعد الحرب ، في الوقت الذي كان ينبغي على الرئيس بشار أن يحرص في خطابه علي لملمة الجراح خاصة علي الساحة اللبنانية، وأن يترك تقييم ما جرى لقادة حزب الله .

ولا يخفي علي الرئيس بشار أنه قد أوقع كافة فصائل المقاومة علي الساحة اللبنانية وفي المقدمة منهم حزب الله في حرج بالغ، وربما ذلك هو **ما دفع بالنائب عن حزب الله في البرلمان اللبناني حسين الحاج حسن إلي أن يصرح في مقابلة نشرتها الوكالة الوطنية للإعلام إلى القول: "إن حزب الله لا يتبنى كلام الرئيس الأسد فيما يتعلق بقوي ١٤ آذار ، رافضا اعتبار هذا التيار عميلا لإسرائيل، بل إنه قال "إن نصرنا هو نصر لقوي ١٤ آذار قبل أن يكون لحزب الله .. إنهم شركاء في النصر ونحن وراءهم" لقد عكست كلمات النائب حسين الحاج حسن موقفا عاما داخل قواعد حزب الله والتي ترى أن موقف هذه القوى من العدوان أياً كانت قوته، إلا أنه كان سندا في حماية الجبهة الداخلية وتعضيد ملحمة الصمود في هذا الوقت.**

لقد فتح اللبنانيون بمختلف اتجاهاتهم بيوتهم وساحاتهم بل وكنائسهم للنازحين من الجنوب والضاحية الجنوبية، وفّروا لهم الإقامة والغذاء والدواء، تعامل الجميع بروح وطنية واحدة ، وأدركوا أنهم شركاء مصير أيا كانت الخلافات بينهم .

كان علي الرئيس بشار أن يدرك هذا الواقع الجديد، وأن يرفع يده عن هذا الملف تحديدا، وفي هذا الوقت تحديدا، وأن يوجه خطابه إلي كل اللبنانيين باعتبار أن ما جري من اعتداء سافر لم يستثن أحداً بل استهدف كل الشعب اللبناني بلا استثناء، وكان الهدف هو كسر إرادة لبنان وتدمير بنيته التحتية .

([1]) عثمان قدري مكانسي " أخبار الشرق " الأربعاء ١٦ أغسطس ٢٠٠٦ .

لقد تحدث أحد كتاب جريدة "السفير" معلقا علي آراء الناس حول خطاب الرئيس بشار فيما يخص الشأن اللبناني بالقول: "حقا لقد أريد لهذا الانتصار أن ينزلق من قمم مارون الرأس وبنت جبيل وعيترون وعيتا الشعب والطيبة والخيام إلى زواريب الساحة الداخلية بحيث يصبح الإنجاز وصانعوه في موقع الاتهام في واحدة من أكثر المفارقات اللبنانية مدعاة للاشمئزاز " .

أما عن الساحة العربية فالوضع ليس أحسن حالا، لقد كان علي الرئيس بشار أن يسعى إلي لملمة الصفوف وألا يعطي لأحد الفرصة لفرض عزلة علي سوريا، لكنه فعلها دون أن يحسب حساب ما يقال علنا وما يقال داخل الغرف المغلقة، وهكذا كرر ذات الخطأ في تقدير الموقف .

ومن الواضح أن الرئيس بشار أدرك أن حديثه ترك انطباعا سلبيا لدي الكثير من الدوائر، ولذلك خرج وزير الإعلام السوري د.محسن بلال في اليوم التالي بتصريح لقناة العربية يسعى فيه إلي معالجة آثار الحديث في هذه القضية بالقول : "إن علاقة الرئيس بشار بكل من العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز والرئيس المصري حسني مبارك علاقة أخوية وصداقة من الدرجة الرفيعة، وقال: كنا نريد من كل أشقائنا العرب أن يقفوا معنا إلي جانب المقاومة من أجل السلام الذي يضمن الحقوق".

لقد أدرك الرئيس بشار أن كلامه حول أن الحرب أسقطت أصحاب أنصاف المواقف أو أنصاف الرجال ربما يساء فهمه ويتخذه البعض وسيلة لإعلان الحرب علي سوريا وفرض العزلة عليها، فسعي علي الفور إلي تصحيح الموقف من خلال وزير الإعلام .

كنا نتمنى أيضاً في هذا الوقت أن نسمع صوت البندقية السورية، وأن نرى الطيران السوري يصد غارات الطيران الإسرائيلي علي شعب لبنان الأعزل (1) ..

---

(1) عندما احتلت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢ لم تحرك القوات السورية المرابضة على أرض لبنان ساكنا ولم تطلق رصاصة لصد العدوان بل تركت، القوات الإسرائيلية المسلحة تبيد المقاومة اللبنانية وتدمر لبنان وتحتل عاصمتها بيروت وتقوم بمذبحة صابرا وشاتيلا التي راح ضحيتها [١٥٠٠] شهيداً من الفلسطينيين واللبنانيين العزل بينهم الأطفال والنساء ، واكتفت القوات السورية بدور المشاهد لكل هذه الأحداث ، مع أن مبرر وجودها في لبنان كان محاربة إسرائيل والدفاع عن لبنان !! المؤلف .

كنا نتمنى في هذا الوقت تحديدا أن نري جبهة الجولان وقد اشتعلت من تحت أقدام العدو .

إن سوريا تؤكد دوما أن لبنان هي عمق لأمنها الاستراتيجي، وأنه لا فارق بين أرض لبنان وأرض سوريا، لذلك توقع الكثيرون أن يخرج الطيران السوري ليحمل الأبرياء والمدنيين الذين انفرد بهم الطيران الإسرائيلي ودك قراهم وبيوتهم وأقام المذابح والمجازر علي الأرض.

هؤلاء من المؤكد أنهم انتظروا لحظة تدخل الطيران السوري الأقرب إليهم لحمايتهم أمام عجز الدولة اللبنانية عن توفير الحماية الجوية وعدم امتلاك المقاومة لسلاح الطيران القادر علي التصدي وحماية الأرواح البريئة والبنية التحتية التي لحقها الدمار، غير أن ذلك لم يحدث مما دفع الكثيرون إلي التساؤل :

ومتي تتدخل سوريا ؟

و متي تشعل الأرض تحت أقدام الأعداء الذين تمركزوا في الجولان دون أن تطلق في مواجهتهم رصاصة واحدة علي مدي سنوات طوال، وهو أمر نادر الحدوث في كل أرض يغزوها محتل ؟!

إن سوريا رفضت محاولات كثيرة لعودة الجولان إليها مجردة من السلاح وبشروط تراها مخلة بالسيادة، لكن ذلك ليس معناه الانتظار حتى أبد الدهر .. إن المقاومة تفتح الطريق أمام التفاوض وتسرع الخطي نحو إجبار العدو علي الانسحاب .

ولذلك إذا ما اشتعلت المقاومة علي أرض الجولان فذلك من شأنه أن يحرك الأمور ويدفع العدو إلي مراجعة مواقفه، ويؤكد مصداقية شعار التحرير، وهو أمر نثق أنه ليس غائبا عن سوريا العربية خاصة أمام اللغة الجديدة التي بدأنا نسمعها عن استعداد سوريا للتصدي للعدوان وإنها سترد علي الفور.

نعم في كل مرة تخترق الطائرات الإسرائيلية حدود سوريا وتضرب أهدافا عسكرية كان الألم يعتصرنا جميعا ونتساءل: أين المقاتلات التي تتصدى؟!

وإلي متي الالتزام بالصمت في مواجهة العدوان ؟

ويوم أن وصلت طائرات العدو فوق مبني القصر الجمهوري في اللاذقية الذي كان متواجدا فيه الرئيس الأسد شعرنا جميعا بالمهانة ورحنا نسأل من جديد:

أين المضادات ؟ وأين الطائرات ؟!! (1)

الغارة الإسرائيلية على سوريا

شنت مقاتلات إسرائيلية غارة على الأراضي السورية فجر يوم الخميس ٦-٩-٢٠٠٧ ودمرت قواعد عسكرية شمال سوريا ؟

فقد أكد مسئول في وزارة الدفاع الأمريكية، البنتاجون، أن مقاتلات إسرائيلية شنت غارة على سوريا . من جهة أخرى نقلت صحيفة "الصنارة" الصادرة في إسرائيل عن مصادر إسرائيلية لم تسمها قولها أن الطائرات الحربية الإسرائيلية قصفت "قواعد عسكرية إيرانية مشتركة في شمال سوريا وعلى ما يبدو فقد دمرتها كليا ".

وأكد بنيامين نتنياهو زعيم تكتل ليكود الإسرائيلي المعارض أن المقاتلات الإسرائيلية قد شنت غارة جوية على سوريا التي قالت دمشق إنها وقعت في ٦-٩-٢٠٠٧ وأكدتها مصادر أمريكية سابقا، فيما قال وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك أن إسرائيل قادرة على إلحاق الهزيمة بأعدائها أينما كانوا وفي أي وضع. (2)

وانتظرنا من النظام السوري أن يتخذ من هذا الاعتداء ذريعة لشن حربا مجيدة على إسرائيل البلد الضعيف – حسب الزعم السوري – الخارج من معركة خاسرة مع حزب الله لكي يحرر بها الجولان المحتل الذي يرزح تحت نير الاحتلال الإسرائيلي أكثر من أربعين عاما .

---

(1) مصطفى بكري " علامات استفهام حول خطاب بشار؟ " جريدة مصر العربية ٢٠ أغسطس ٢٠٠٦ بتصرف .

(2) العربية نت .

ولكن طال انتظارنا ولم يُقْدِم النظام السوري إلا على تقديم شكوى للأمم المتحدة التي لا يفتأ يصم أعضاءها بالانحياز لإسرائيل .!!

فقد قدمت سوريا الثلاثاء ١١ - ٩ - ٢٠٠٧ شكوى رسمية للأمم المتحدة حول "الانتهاك الصارخ" لأجوائها يوم الخميس والذي قالت إن دفاعاتها الأرضية تصدت خلاله للمقاتلات الإسرائيلية وأجبرتها على التراجع .

ونفى فاروق الشرع ما ذكرته تقارير أمريكية وبريطانية من أن الغارة استهدفت موقعا يعتقد بأنه مخصص لأنشطة نووية، وقال إن الموقع الذي استهدفته الغارة هو مركز لدراسات الأراضي القاحلة تابع للجامعة العربية وليس مركزا عسكريا . يذكر أن الطيران الحربي الإسرائيلي حلق فوق قصر للرئيس السوري بشار الأسد شمالي سورية في يونيو ٢٠٠٦، ما أثار غضب دمشق. (١)

إذن النظام السوري عاجز عن حماية قصره الرئاسي فضلا عن الأراضي السورية فلم هذه الجعجعة الكلامية التي يثيرها النظام السوري متهما حكام العرب الذين ليس لهم أراض محتلة بأنصاف الرجال !!

كما دأب النظام السوري على رفض التسوية السلمية وقرارات الأمم المتحدة فقد رفض حزب البعث السوري من قبل قرار مجلس الأمن ٢٤٢ واتهم عبد الناصر الذي قَبِلَه بالخيانة ، ورفض اتفاقية روجرز التي وقعها عبد الناصر وشن حربا كلاميا عليه ، كما امتنعت سوريا عن حضور مؤتمر جنيف للسلام ، وعارضت بشدة كامب ديفيد واتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية . وشكلت مع بعض الدول العربية جبهة للتصدى لمصر التي استردت جميع أراضيها حربا وسلما .

ومع ذلك قبلت سوريا بالتسوية السلمية مع العدو الصهيوني فقد وافقت على اتفاقية سلام مع إسرائيل عام ٢٠٠٠ ولكن إسرائيل تراجعت عنها في اللحظة الأخيرة !

---

(١) BBC بالعربية بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠٠٧

أما عن موقفها من مؤتمر أنابوليس الأخير فأقل ما يوصف به أنه مخزِ

موقف سوريا من مؤتمر أنابوليس

صرح بشار الأسد وأحمدي نجاد قبل المؤتمر بيومين بأن " المؤتمر محكوم عليه بالفشل " (١)

وصرح وليد المعلم وزير الخارجية السورية بأن قضية مرتفعات الجولان السورية المحتلة ليست قابلة للتفاوض, وأكد أن سوريا لن تعترف بإسرائيل قبل انسحابها من جميع الأراضي العربية المحتلة في يونيو١٩٦٧, وأن حالة الحرب بين إسرائيل وسوريا لا تزال قائمة. وأضاف أن نقطة الانطلاق واضحة علي المسار السوري ـــ الإسرائيلي, مشيرا إلي أن سوريا لا يمكن أن تعود إلي نقطة الصفر في المفاوضات, بعد أن أنجزت ٨٥% من عناصر اتفاق السلام مع إسرائيل في مؤتمر مدريد . (٢)

كما صرح وليد المعلم بأن بلاده ستشارك في أنابوليس إذا وافقت واشنطن صراحة على إدراج قضية الجولان المحتلة في جدول الأعمال مشيرا إلى أن رايس وزيرة الخارجية الأمريكية وعدت برد إيجابي ، ودمشق تنتظر رسالة رسمية . (٣)

وكشف ستيف هادلي مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي – قبل بدء المؤتمر بساعات – عن أن قضية هضبة الجولان السورية ليست مدرجة علي جدول أعمال المؤتمر ـــ علي عكس ما تردد من قبل ـــ إلا أنه ستكون أمام جميع المشاركين الفرصة للحديث عما يريدون من قضايا .(٤)

وبرغم تصريح بشار الأسد بأن المؤتمر محكوم عليه بالفشل ، وبرغم أن الإدارة الأمريكية رفضت إدراج قضية الجولان على جدول الأعمال إلا أن وفدا سوريا برئاسة فيصل المقداد نائب وزير الخارجية السوري قد شارك في المؤتمر !!

وعاد الوفد كما ذهب يجر أذيال الخيبة !! (٥)

---

(1) قناة الجزيرة ٢٥ / ١١ / ٢٠٠٧

(2) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

(3) جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

(4) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

(5) لمزيد من التفصيل حول مؤتمر أنابوليس راجع " فتح و حماس ، من مقاومة الاحتلال للصراع على السلطة " للمؤلف دار الإبداع للصحافة والنشر .

كان هذا موقف سوريا حليف حزب الله من الحرب ، ومن السلام ، فماذا عن موقف إيران ثالث الأثافي من تلك الحرب ؟

وقبل التعرض لموقف إيران من الحرب نرى من الأهمية بمكان أن نقدم عرضا موجزا لتاريخ إيران المعاصر نبين فيه تطور العلاقة بين إيران وكل من أمريكا والدول العربية ، واستراتيجية إيران بعد الثورة الإسلامية وعلاقة هذه الاستراتيجية بحزب الله والحرب على لبنان .

العلاقات الأمريكية الإيرانية قبل الثورة الإسلامية

ازدادت أهمية إيران داخل الاستراتيجية العسكرية الأمريكية منذ مطلع السبعينات وحتى نهايتها ، وأصبحت إيران في تلك الفترة تؤدي أكثر من مهمة داخل تلك الاستراتيجية :

١- إيران عضو مؤسس داخل حلف " السنتو " والذي يضم باكستان وتركيا ، و بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

٢- تقوم إيران بمهمة الدولة الحارس للمصالح الأمريكية والغربية في منطقة الخليج العربي فهي وسائر حلفاء أمريكا في المنطقة يمثلون بديلا عن الوجود العسكري الأمريكي باهظ التكاليف أو عن تدخل عسكري غير مؤيد شعبيا .

٣- تعد إيران من أهم ممولي الولايات المتحدة وغرب أوروبا بالنفط .

٤- تمثل إيران إحدى النقاط المتقدمة على خط استراتيجية الاحتواء الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي فهي بمثابة حاجز لابد من تقويته في وجه ما درج على تسميته بالخطر الأحمر أو الشيوعية .

٥- لإيران أهمية كبيرة للاقتصاد الأمريكي فهي تعتبر :

أ- من أهم أسواق تصدير المنتجات الأمريكية بما في ذلك السلاح والعتاد الحربي

ب- من أهم مناطق الجذب للاستثمارات الأمريكية وخاصة في مجال البترول .

ج- من أهم المودعين في البنوك الأمريكية فالأرصدة النقدية التي تمتلكها إيران من عائدات النفط تعود فائدتها على الاقتصاد الأمريكي . [1]

إن الولايات المتحدة قد رسخت وجودها العسكري في إيران ابتداء من عام ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٧٩ (عام الثورة الإسلامية الإيرانية) وخلال هذه الفترة تم تدعيم موقع إيران داخل الاستراتيجية العسكرية الأمريكية وذلك عن طريق جعل إيران ترسانة عسكرية متطورة ومحتوى لقواعد أمريكية متقدمة وتقول الإحصائيات إن الصادرات الحكومية الأمريكية من السلاح إلى ثلاث دول في الشرق الأوسط هي إيران والسعودية وإسرائيل شكلت في منتصف السبعينات ٦٠ % من مجمل صادرات الأسلحة الأمريكية إلى الخارج ، وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على حوالي نصف تجارة السلاح في العالم فإن الدول الثلاث في تلك الفترة حصلت على حوالي ٣٠ % من مجمل تجارة العالم العسكرية وتبنى سياسة الولايات المتحدة في هذا المجال على فكرة أن تسليح الحلفاء يقلل من تورط الولايات المتحدة عسكريا في الأزمات [2]

وفي المقابل وجد السوفييت في العراق فرصتهم من أجل مزاحمة الوجود الأمريكي في الخليج والهلال الخصيب فكانت سياستهم هي إمدادات السلاح والعتاد الحربي إلى العراق علاوة على المستشارين والخبراء العسكريين فضلا عن توطيد النفوذ السياسي والمصالح الاقتصادية . [3]

كانت تلك هي حال المنطقة قبل الثورة الإيرانية التي قلبت كل الموازين وغيرت كل التحالفات . لقد كانت الثورة الإيرانية (١٩٧٩) بالفعل النهاية المأساوية للعلاقات الأمريكية الإيرانية وكذا لخروج إيران كأهم معقل للإستراتيجية الأمريكية في منطقة وسط آسيا من تلك الاستراتيجية إلى غير رجعة . فقد قررت إيران بعد

([1]) انظر " الصراع العراقي الإيراني " بسيوني محمد الخولي الهيئة العامة للكتاب ص ٧٢-٧٤

([2]) بسيوني محمد الخولي " الصراع العراقي الإيراني " الهيئة العامة للكتاب ص ٧٢

([3]) بسيوني محمد الخولي " الصراع العراقي الإيراني " الهيئة العامة للكتاب ص ٧٨

الثورة أن تتخلى عن القيام بدور شرطي الخليج وأنها ستنهج سياسة مستقلة تجاه كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وكذلك ألغت إيران ارتباطاتها بحلف السنتو وأعلنت رغبتها في الانضمام لحركة عدم الانحياز .

وبدأ التدهور في العلاقات الأمريكية الإيرانية باعتراض الولايات المتحدة وإدانة الكونجرس لأحكام الإعدام في إيران الأمر الذي اعتبرته إيران تدخلا في شئونها الداخلية ، واشترطت إيران بعد ذلك لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة تسليم عدد من رجال الشاه (حليف الأمريكان المخلوع) الأمر الذي رفضته أمريكا .

ثم تدهورت العلاقات تماما بعد دخول الشاه إحدى مستشفيات نيويورك للعلاج وطلبت إيران من الولايات المتحدة تسليمه لمحاكمته ورفضت إيران أن تتبادل السفراء حتى يغادر الشاه الولايات المتحدة ثم جاءت أحداث احتجاز الرهائن الأمريكية في السفارة الأمريكية بطهران وتجميد أمريكا الأرصدة الإيرانية المودعة في بنوكها لتزيد الطين بلة وتتوتر العلاقات بين البلدين تماما .

وإزاء المقت الإيراني الشديد للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والعالم أجمع لم تملك الولايات المتحدة إلا أن تعلن عن عدم رضائها بل وشجبها لممارسات إيران وتصميمها على مواصلة الحرب مع العراق .

وبالرغم من الموقف الأمريكي المعلن والذي يترجم رغبة الحكومة الأمريكية في انتهاج مسلك المحايد إلا أن كثيرا من المصادر الغربية ، وكذا مصادر أخرى محايدة قد أعلن في أكثر من مناسبة عن تسرب صفقات من الأسلحة الأمريكية إلى إيران تلك الأسلحة التي يتم السماح بها بالتوجه إلى إيران على مسمع ومرأى من الحكومة الأمريكية وهي تغض الطرف عن تلك الشحنات بالقدر الذي لا يسمح بهزيمة إيران وانهيار موازين القوة الإقليمية فالولايات المتحدة قد تسمح بانهيار قوة إيران الاقتصادية والعسكرية إلا أنها لا يمكن أن تسمح مطلقا بانتهائها تماما (1)وهو نفس المنطق الذي ستتبعه إسرائيل في حربها مع حزب الله .

---

(1) بسيوني محمد الخولي " الصراع العراقي الإيراني " الهيئة العامة للكتاب ص ٨٤

وتتركز مسائل الخلاف بين الدولتين من وجهة النظر الإيرانية في عدة نقاط منها:

١- قيام الولايات المتحدة بتجميد الأرصدة الإيرانية منذ قيام الثورة والتي تقدر بنحو ١٢ مليار دولار .

٢-فرض الولايات المتحدة الحظر التجاري والتكنولوجي والعسكري الشامل على إيران والذي يعوق تنمية بنائها الاقتصادي والعسكري بعد الحرب . ففي ظل تطبيق سياسة الاحتواء المزدوج على كل من إيران والعراق لتطويقهما قامت أميركا بفرض حظر اقتصادي شامل في مايو ١٩٩٥ وألحق بقانون داماتو ١٩٩٦.

٣-قيام الولايات المتحدة بما تعتبره إيران تدخلا في شؤونها الداخلية مثل تأييد مظاهرات الطلبة في يوليو ١٩٩٩ وإصدار التقارير التي تدين إيران بانتهاك حقوق الإنسان وتضييق الحريات الدينية .

٤-كما يأتي الخلاف حول الموقف من كثير من القضايا الإقليمية التي تهم الدولتين ومن أهمها الموقف من التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي .

٥-رغبة أمريكا بالانفراد بالمنطقة والوقوف في وجه مصالح وطموح وتطلعات إيران في المنطقة .

وعلى الجانب الآخر يرى بعض المحللين أن مسألة العلاقة بين البلدين ليست مشكلة إيرانية بقدر ما هي مشكلة أميركية، فما زالت مراكز سلطة أميركية داخلية مثل الكونغرس الموالي لإسرائيل تقف عقبة أمام تحسين العلاقات مع إيران. فبالنظر إلى الخسائر التي تتكبدها إيران خاصة على المستويات الإقليمية سواء في الخليج أو آسيا الوسطى من جراء الحصار الأميركي، يمكن للنظام الإيراني أن يكون أكثر مرونة وأقل ممانعة في عودة العلاقات خاصة وأن إيران في مجال علاقاتها مع بريطانيا أثبتت أنها قادرة على إزالة العقبات من أمامها كلما استلزمت المصلحة ذلك.

ومع نجاح بجاد المحافظ المتشدد وإصراره على المضي قدما في برنامج إيران النووي ودعمه لحزب الله زادت الهوة بين السياستين .

فلم يكن عداء الثورة الإيرانية الشديد للولايات المتحدة سببه مساندة أمريكا للشاه والحظر الاقتصادي والتكنولوجي والعسكري فحسب بل كان هناك سبب آخر أهم وهو الصراع بين الصهيونية العالمية (التي تمثلها أمريكا وحلفاؤها) وبين الثورة الإيرانية على أطماع سياسية واقتصادية لكل منهما في بلاد الشرق الأوسط .

أهداف الثورة الإيرانية

كان من أهم أهداف الثورة الإيرانية :

١- على المستوى الداخلي : تقويض نظام الشاة و إقامة نظام آخر اختارت له النموذج الإسلامي الشيعي الإمامي في الممارسة السياسية .

٢- على المستوى الإقليمي : مستوى العالم العربي عمدت إلى تكريس طابعها القومي ، ولو بطريقة غير مباشرة ، فقد افترضت أنها تتحمل مسئولية قيادية تحتم عليها تصدير الثورة إلى كل دول المنطقة بل تعمل على هدم كل النظم الرجعية ، وإقامة نظم راديكالية .

العلاقات العربية الإيرانية

إن علاقات إيران بالدول العربية قبل الثورة الإيرانية لا يمكن توصيفها على أنها علاقات صداقة أو تعاون بل كانت مترددة بين العداء ومساندة إسرائيل في صراعها مع العرب ، وبين الفتور وانعدام العلاقات كلية .

وفي يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ استولت إيران على ثلاثة جزر تقع في وسط مضيق هرمز هي : جزيرة طنب الكبرى ، وجزيرة طنب الصغرى ، جزيرة أبو موسى ، والجزر الثلاثة تابعة لإمارة رأس الخيمة .

وأثار هذا الاحتلال للجزر الثلاثة المشاعر والأحاسيس القومية العربية ، وجاء رد الفعل معبرا عن سلامة الحس العربي في أجلى صوره ، حيث أصدر مجلس الجامعة العربية قرارا في ١١ مارس ١٩٧٢ أكد فيه على عروبة الجزر الثلاثة ، وأدان احتلالها بالقوة مما يهدد الأمن والاستقرار في منطقة الخليج ، ويتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة وميثاق الجامعة العربية والمعاهدات الدولية .

وساد اعتقاد لدى البلاد العربية بأن الثورة الإيرانية قد تكون أكثر استجابة للتفاوض من أجل تعديل التعديات والمكاسب التي حققها الشاه على حساب العرب إلا أن الثورة أعربت عن تمسكها بتلك المكاسب بل وأعلنت عن ادعاءات أخرى في أراضي عربية وأعرضت عن التفاوض .

كان من أوضح الأدلة على الصراع الذي بدأته الثورة الإيرانية مع القومية العربية تلك السياسة المعلنة التي كانت ترمي إلى تقويض جملة النظم السياسية العربية ، وإشاعة جو الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط ، وبصفة خاصة المنطقة العربية وتمثلت أول تلك الممارسات في حركة " جهيمان العتيبي " التي حاولت الاستيلاء على الحرم المكي في نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩ في السعودية ، وجاءت ثاني تلك الممارسات في اكتشاف العراق مؤامرة للتخريب داخل البلاد في أواخر ١٩٨٠ ثم اكتشاف مؤامرة شبيهة داخل النظام الكويتي خلال عام ١٩٨٤ (١) وعمليات شبيه داخل مصر في التسعينات وصفت على أنها عمليات إرهابية ولقد أثبتت التحقيقات المصرية أن النظام الإيراني موّل كثير منها .

مرت العلاقات العربية الإيرانية بعد الثورة بمراحل وفترات تفاوتت برودتها وسخونتها على مدى ربع قرن ، ويمكن رصد ثلاث مراحل رئيسية هي :-

١- الجمهورية الإسلامية الأولى وهي تمثل المرحلة الخمينية التي بدأت بقيام الثورة الإيرانية ١٩٧٩ ، وانتهت بموت الخميني ١٩٨٩ وفي هذه المرحلة دخلت العلاقات العربية / الإيرانية في دوامة من الشك والتوجس وتبادل الاتهامات والهجوم الإعلامي فقد كانت الحكومات العربية ترى أن الثورة الإيرانية تمثل تهديدا لها فهي تشجع التيارات الدينية على الثورة عليها والسعي لإقامة حكومة إسلامية ، كما كانت تعمل على تجنيد الأئمة الشيعة لموالاة الثورة الإيرانية واتباع سياستها المنافية بالطبع لسياسة حكوماتها .لذا فإن العلاقات قد أخذت طابع الخوف والمؤامرة . تشير الوقائع التاريخية إلى أن عنصري الأيديولوجية والمصلحة قد لعبا

---

(١) بسيوني محمد الخولي " الصراع العراقي الإيراني " الهيئة العامة للكتاب ص ١٥ ، ١٦

دورا هاما في هذه العلاقات علي مختلف المستويات خاصة المستوى الإقليمي؛ وكانا عامل ضبط وتوجيه لنشاط كل من الجانبين في قيامه بدوره وواجبه وتنفيذ تعهداته في المنطقة. إن أيديولوجية النظام الحاكم في إيران قد فرضت عليه طرح مبادئ الثورة على شعوب العالم الإسلامي، لكن حرب السنوات الثماني مع العراق – والتي كانت من الموجهات الأساسية لإيران في علاقاتها مع دول الخليج والعديد من الدول العربية- أدت إلى أن يتخذ أسلوب طرح الثورة الإسلامية نوعا من الوسائل العنيفة التي تخلق كثيرا من الحساسية لدى الشعوب والحكومات العربية (1)

٢- الجمهورية الإسلامية الثانية وهي تبدأ بوصول الإصلاحيين (رفسنجاني وخاتمي) للحكم بعد موت الخميني ، وفي هذه المرحلة تحولت إيران من حالة الثورة إلى حالة الدولة التي تستوجب سياسة خارجية مرنة تضمد الجراح وتسد الفجوات وتقرب وجهات النظر لذا تراجع مشروع تصدير الثورة لحساب الانفتاح على دول الجوار .

وأثناء جمهورية الإصلاحيين أخذت العلاقات العربية الإيرانية طابع القبول المتبادل والاستعداد للتعاون وتكثيف الاتصال المتبادل، ورفع وتيرة التشاور والتنسيق الذي توج أحيانا بتفاهمات ومعاهدات ، أو من خلال معالجة أكثر هدوءا للملفات العالقة التي لم تطو بعد . تمت عرقلة الكثير من هذه التفاهمات والمعاهدات بواسطة المحافظين (2)

٣- الجمهورية الإسلامية الثالثة وتبدأ بانتخاب أحمدي نجاد المحافظ المتشدد ٢٠٠٥ وهو ما يعني عودة العلاقات العربية الإيرانية إلى العقد الأول بعد الثورة الإيرانية .

وقد وصف البعض فوز نجاد في الانتخابات الرئاسية الإيرانية بأنه بمثابة "تسونامي"، قد يؤدي إلى تغيير جذري في الوضع داخل إيران وفي علاقاتها مع

(1) د. محمد السعيد عبد المؤمن " إيران الثورة: المصلحة والأيديولوجية في كفة واحدة " موقع إسلام أون لاين ٢٠٠٢/١١/٢٨

(2) أحمد السيوفي " أوراق المحافظين والإصلاحيين " إسلام أون لاين.نت ٦-٣-٢٠٠٤

الغرب؛ لأن برنامج نجاد أكثر تشددا في الداخل سياسيا واقتصاديا، ويميل نحو العودة إلى حضن الثورة الإيرانية ، أو ما يمكن أن نسميه "الجمهورية الثالثة" بعد جمهورية الخميني المحافظة، وجمهوريات الإصلاحيين (رفسنجاني وخاتمي)، فضلا عن أنه سيكون بدوره أكثر تشددا مع الغرب؛ لأنه يحمل فكرة تقديم "إسلام عالمي" يرفض الإذعان مثلما حمل بوش فكرة "تغيير العالم" لصالح أمريكا. [1]

العلاقات الإيرانية السورية

تتميز العلاقات السورية الإيرانية بالخصوصية والتفرد، فالدولتان تفرقهما الأيديولوجية (علمانية النظام السوري وشيعية النظام الإيراني) وتجمعهما المصلحة والخصوم (الولايات المتحدة وإسرائيل والعراق) والمنفعة المادية المتبادلة .

وبالرغم من التفاوت في قوة هذه العلاقات فإنها استمرت وتخطت أي مشاكل قد تظهر. فحتى على مستوى تداخل وتشابك المصالح والنفوذ على الساحة اللبنانية استطاعت الدولتان السيطرة على التباين في الأساليب وتداخل مناطق النفوذ من أجل استمرار هذه العلاقة الحيوية للطرفين، فسوريا بمثابة مدخل إيران للعالم العربي، وإيران ورقة ضغط هامة في يد سوريا في مفاوضاتها مع إسرائيل . وركزت السياسة الخارجية الإيرانية في لبنان على المجتمع والعلاقة مع الطائفة الشيعية خاصة حزب الله .

وجاء التطور الحاسم منذ انتخاب خاتمي في تعزيز العلاقات على مستوى المؤسسات من خلال تبادل الزيارات على مستوى كبار المسئولين من البلدين .

وبفوز أحمدي نجاد يعني اكتمال سيطرة المحافظين على كل مؤسسات الدولة (البرلمان والرئاسة والمجالس المحلية) ويبقى السؤال عن دلالات فوز الرئيس المتشدد نجاد وتدشينه جمهورية إسلامية ثالثة متشددة على غرار الأولى في وقت

---

(1) محمد جمال عرفة "إيران تعود للثورة بـ"الجمهورية الإسلامية الثالثة" ٢٦ / ٦ / ٢٠٠٥ موقع إسلام أون لاين .

تسعى فيه واشنطن لفرض أجندتها على العالم، وفرض نموذج غربي للديمقراطية يحفظ مصالحها ويستبعد الإسلاميين من أجندة الديمقراطية في الشرق الأوسط .

والإجابة عن هذا السؤال يلخصها الكاتب فهمي هويدي المتخصص في الشأن الإيراني بقوله: " إن الأمريكيين حصدوا التشدد الذي زرعوه .. من زرع التطرف يحصد التطرف"؛ فالإيرانيون -باختصار- اختاروا رئيسا متشددا قادرا في ذهن الشعب على التصدي للتشدد الأمريكي .

وبفوز أحمدي نجاد تكون قد تمت السيطرة لـــ آية الله علي خامنئي المرشد الأعلى على السلطة القضائية لدى صعوده لمنصب المرشد الأعلى، ثم تمكنه من الهيمنة على السلطة التشريعية بعد الانتخابات البرلمانية الأخيرة التي أجريت عام ٢٠٠٤. وبفوز "نجاد" رئيسا تجتمع كل السلطات في يد خامنئي .

علاقة إيران بحزب الله

ومنذ نشأة حزب الله في عام ١٩٨٥ والعلاقة معه تخضع لعديد من المشاورات والمناقشات بين الأجنحة السياسية في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فقد أرادت إيران من ظهور حزب الله كقوة عسكرية تحقيق أكثر من هدف :

الأول : ضمان موطئ قدم لها في ملف الصراع العربي- الإسرائيلي، بما يجعلها تمتلك من الأدوات الإقليمية الكثير لتوظيفها حين تسنح فرص ذلك ووفق المصلحة الإيرانية .

والثاني: إقامة نقطة وثب لتصدير مشروع الثورة الإسلامية الإيرانية إلى المحيط العربي المجاور، وقد استمرت هذه الرؤية طاغية على الخطاب الرسمي الإيراني من حزب الله حتى بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي، والتي شهدت بداية تحول إيران من حالة الثورة إلى حالة الدولة بما يقتضيه ذلك من إضفاء نوع من المرونة في التعاطي مع الخارج، وتراجع مشروع تصدير الثورة لحساب الانفتاح على دول الجوار .

وفي هذه اللحظة بالتحديد برز تيار داخل الأجنحة السياسية الإيرانية قاده رئيس الجمهورية آنذاك أكبر هاشمي رافسنجاني دعا إلى تحويل حزب الله إلى حزب سياسي ودمجه داخل الدولة اللبنانية، وقيامه بدور شعبي من خلال ملء الفارغ الناتج عن انسحاب الدولة من بعض الأنشطة خصوصا الاجتماعية، على اعتبار أن ذلك يمثل آلية مثلى لاكتساب الحزب قاعدة شعبية عريضة تجعل منه قوة سياسة يعتد بها داخل لبنان .

وقد لاقت هذه الدعوة استجابة نسبية من جانب حزب الله الذي قام بإنشاء مؤسسات مدنية للإغاثة والإعمار على غرار مؤسسات أنشئت في إيران مثل مؤسسة الشهيد، وجهاد البناء وغيرهما. لكن هذه الدعوة لاقت فتورا من جانب التيارات اليمينية المتشددة في إيران التي رأت أن تحول حزب الله إلى قوة سياسية لن يصب في مصلحة إيران، لكون ذلك يمثل خصما من قوته العسكرية الموجودة على الحدود الشمالية لإسرائيل .

لذا أشاد علي خامنئي بحزب الله وكفاحه في لبنان ضد ما وصفه بالورم الصهيوني الخبيث في المنطقة. (1)

إيران والحرب على لبنان

نتيجة لتوجه الاتحاد الأوروبي إلى إعادة الملف النووي الإيراني إلي مجلس الأمن والتوتر الذي طرأ علي العلاقات العربية الإيرانية بعد اجتماع دول الجوار العراقي والذي شعرت بعض الأطراف العربية بأن هناك نوعا من الابتزاز والاستقواء ومحاولات الاستغلال من قبل النظام الإيراني لها (2) قررت إيران بموافقة سوريا دفع حزب الله للمبادرة بالهجوم علي إسرائيل. وحزب الله حزب عقائدي, يتبع ولاية الفقيه, التي تعني الولاء الديني والسياسي الكامل لخامنئي .

---

(1) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

(2) انظر ، أسباب الحرب الإسرائيلية السادسة على لبنان ، الفصل الثاني" من الانسحاب إلى الاحتلال "

لقد عني هجوم حزب الله علي إسرائيل في هذا الظرف وهو ورقه بيد إيران سبق لها ولسوريا أن استخدمتاها في مناسبات عدة بعد خروج إسرائيل من لبنان عام٢٠٠٠ انفجار الصراع بين إيران والولايات المتحدة في نقطة ضعيفة هي لبنان.

وهذه هي الساحة الثانية بعد العراق التي تستخدم فيها إيران الانتشار الشيعي لتحقيق مصالحها الوطنية, والاندفاع في مواجهتها الإستراتيجية. وقد أفادت إسرائيل كثيرا من هذا الهجوم. فقد كانت محشورة في غزة بسبب المذابح التي ترتكبها ضد المدنيين, دونما أفق أو نتيجة . ثم إن الولايات المتحدة في سياسات المحافظين الجدد اعتمدت التدخل المباشر والحروب الاستباقية , وتعاونت مع إيران في أفغانستان والعراق وفشلت تلك السياسات كلها وما استفادت منها غير إيران, والي حد ما الأكراد. وقد اضطرت الولايات المتحدة في الشهور الماضية للاعتراف بالشراكة الإيرانية في العراق, وأقبلت من خلال الأوروبيين; ولأكثر من عام علي التفاوض علي النووي الإيراني. واعتبرت إسرائيل أنها أهملت, وما روعيت مصالحها الأمنية والإستراتيجية وسط الثوران الإسلامي الأصولي من حولها. ولذلك فإسرائيل تحس الآن بان الفرصة واتتها بموافقة الولايات المتحدة ودعمها للعودة طرفا فاعلا في ملفات المنطقة , وللانتهاء من خصمها الإيراني القريب بقدراتها العسكرية المتفوقة ; التي لم تنفع في فلسطين. والانتصار الإسرائيلي أن حصل هو أول انتصار معتبر للولايات المتحدة بعد هزائمها وخيباتها منذ احتلال أفغانستان والعراق. وهذه نقطه لمصلحتها في مساعيها للخروج من العراق بحفظ ماء الوجه, وإصلاح العلاقة مع الأنظمة العربية التي أرادت تغييرها بعد إحداث١١ سبتمبر٢٠٠١ لقد نشبت الحرب الأهلية اللبنانية تحت وطأة الصراع العربي الإسرائيلي . أما اليوم فنحن في قلب نزاعين: النزاع الأمريكي الإيراني, والنزاع الإيراني العربي. " (١)

برز على الساحة الإيرانية تياران بارزان تجاه الحرب على لبنان :

---

(١) د. رضوان السيد " لبنان في مهب الصراع علي المنطقة العربية " CNN بالعربية بتاريخ ٢٢ يوليو ٢٠٠٦

التيار الأول : يتزعمه الجناح اليميني المتشدد من التيار المحافظ ويرى أن هذه الترسانة العسكرية التي بنتها إيران في لبنان وأنفقت عليها ٣ مليارات دولار في غضون ربع قرن تقريبا، المفروض أن توضع في احتياطي القوة لإيران، ولا يجوز استعمالها ضد إسرائيل إلا في حالة نشوب حرب بين إيران وكل من الولايات المتحدة وإسرائيل. وبما أن هذه الترسانة قد استعملت قبل أوانها، ومن دون أن تقع الحرب المذكورة، فقد ربط هذا الفريق موقفه النهائي من الحزب بالتطورات التي ستؤول إليها أزمة الملف النووي الإيراني، مع نهاية شهر أغسطس ٢٠٠٦ موعد انتهاء الإنذار الدولي لإيران بالتوقف عن تخصيب اليورانيوم وإلا تعرضت لعقوبات قد تمهد الأرضية لمواجهة عسكرية بين إيران والولايات المتحدة.

أما **التيار الثاني**، فهو التيار البرجماتي المؤيد للانفتاح على الخارج، ويتزعمه كل من هاشمي رافسنجاني ومحمد خاتمي، إذا يقول بأنه لم يعد بالإمكان بعد هذه الحرب الإسرائيلية الفظيعة على لبنان تحميل الطائفة الشيعية أكثر مما يلزم حتى لا تنقلب على حزب الله وتحمله المسئولية عن الموت والخراب الذي حل بأبنائها وبقراها وبمصالحها، كما انقلبت في السابق على قوات ياسر عرفات عندما كانت تسرح وتمرح في جنوب لبنان ولا تكترث بمصالح أهله اللبنانيين. وهذا التيار يميل إلى قطع احتمالات نشوب مواجهة ثانية مع إسرائيل من خلال القبول بقرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، حتى لو اقتضى الأمر الاستجابة للضغوط الدولية والإقليمية بل واللبنانية بنزع سلاح حزب الله .

كانت الحرب الإسرائيلية التي دارت رحاها على لبنان لأكثر من شهر، ليست أكثر من محاولة للقضاء على حزب الله، وإنهاء تهديده لإسرائيل، وهي في ذلك جزء من مواجهة كبرى بين الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل من جهة وإيران وسوريا من جهة أخرى. لذا لم يكن مستغربا إطلاق اتهامات أمريكية وإسرائيلية لكل من إيران وسوريا بالمسئولية عن إشعال الأزمة وتسخين الجبهة الشمالية لإسرائيل من خلال تحريض حزب الله على القيام بعمليته، وهو ما يعيد تأكيد أن الحرب لم تكن على لبنان أو حزب الله، بل أيضا على كل من سوريا

وإيران، في محاولة للقضاء على ما أسماه عمير بيريتس بـــ"كتيبة الكوماندوز الإيرانية" المتقدمة. [1]

مكاسب وتحديات

التداعيات التي تمخضت عن الحرب الإسرائيلية على لبنان لا تخلو من مكاسب عدة بالنسبة لإيران أهمها :

أولا : انكشاف قدرات الردع الإسرائيلية، وفشل إسرائيل في تحقيق نصر عسكري ملحوظ على حزب الله؛ الأمر الذي اضطر الحكومة الإسرائيلية إلى اتخاذ قرارين يعبران عن فداحة هذا المأزق :

القرار الأول: يتمثل في توسيع العمليات العسكرية في الجنوب اللبناني، وهو قرار وصفه المراقبون بأنه "قرار اضطراري" في ظل إحساس بتراجع الفرصة لتحقيق إنجاز سياسي مهم يستطيع أن يفرض نفسه على مجلس الأمن للخروج بقرار يتوافق مع الطموحات الإسرائيلية.

القرار الثاني : وهو قرار اضطراري أيضا، فيقضي بإقالة اللواء أودي آدم قائد القوات الإسرائيلية في الجبهة العسكرية مع لبنان، وتعيين اللواء موشيه كابلينسكي بدلاً منه، والسبب هو الحذر الشديد الذي سيطر على أداء اللواء أودي آدم وأدى إلى بطء تقدم القوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني.

هذه التطورات في مجملها تعني عدم صعوبة إلحاق الهزيمة بإسرائيل حال دخولها في مواجهة مع قوات نظامية وأن ما يتردد عن قواتها التدميرية الهائلة له حدوده على الأرض ويمكن مواجهته بوسائل قتالية مضادة.

ثانيا : أن الدعوات التي انطلقت خلال الحرب إلى إيران بالتدخل لتسوية الأزمة أكدت نفوذ إيران على الصعيد الإقليمي وقدرتها على التدخل لتسوية الملفات الإقليمية العالقة.

([1]) محمد عباس ناجي " حرب لبنان.. مكاسب وخسائر إيران " إسلام أون لاين – نت ٢٠٠٦/٠٨/٢٣م

ومع ذلك فلا تخلو الأزمة بدورها من تحديات عدة يمكن أن تواجه إيران خلال المرحلة القادمة، لعل أهمها :

١- أن إيران مقبلة على مرحلة حاسمة في أزمة ملفها النووي، لا سيما في ظل حالة الاستنفار التي بدت عليها الدول العربية المعتدلة خصوصا السعودية ومصر ضد النفوذ الإيراني المتنامي في المنطقة؛ الأمر الذي دفعها إلى انتقاد حزب الله، ووصف العملية التي قام بها في ١٢ يوليو ٢٠٠٦ بأنها "مغامرة لا تتحملها المنطقة". وثمة مؤشرات عدة تؤكد أن السعودية تنظر إلى حزب الله باعتباره امتدادا لإيران، وأنه لا يمكنها تصديق أن حزب الله اتخذ قرار العملية التي قام بها بدون علم الإيرانيين .

٢- ثمة ما يكشف عن أن تعمد إسرائيل في شن حرب إبادية ضد الشعب اللبناني واستهداف البنية التحتية اللبنانية كان هدفه تحميل حزب الله المسئولية عن نشوب الحرب، ومن ثم تدعيم موقف القوى التي تنادي بنزع سلاح حزب الله، بما يعرضه للانكشاف ليس إقليميا ودوليا فحسب، بل ولبنانيا أيضا، وهو تطور سوف تكون تداعياته سلبية على إيران لأنها في هذه الحالة، سوف تخسر "ذراعها الطولى" في مواجهة إسرائيل، وكان يمكن أن تستند إليها عند نشوب أي مواجهة عسكرية بين الطرفين.

٣- وحتى في حالة تأجيل حسم مسألة نزع سلاح حزب الله، بعد قرار الحكومة اللبنانية في ١٥ أغسطس ٢٠٠٦ برفض نزع سلاح الحزب بالقوة، فإن قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ والذي وافقت عليه كل من إسرائيل ولبنان من شأنه تقليص قدرة حزب الله على تهديد شمال إسرائيل في المرحلة القادمة، وهو ما تدركه إيران جيدا، ومن ثم جاء موقفها من هذا القرار، مشوبا ببعض التردد، حيث أعربت عن تأييدها لأي قرار تتخذه الحكومة اللبنانية، لكنها في الوقت نفسه أيدت حزب الله في تحفظاته على القرار.

وهذا التردد يمكن إرجاعه إلى رغبة إيران في انتظار ما سوف تؤول إليه تطورات أزمة ملفها النووي التي دخلت مرحلة حاسمة بعد قرار مجلس الأمن

بتحديد مهلة لإيران حتى ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦ لتوقف عمليات تخصيب اليورانيوم وإلا تعرضت لعقوبات، بما يعني أن تطورات أزمة الملف النووي سوف تحسم إلى حد بعيد الموقف الإيراني من حزب الله. [1]

كان هذا موقف حلفاء حزب الله فماذا عن موقف حلفاء إسرائيل ، وعند الحديث عن حلفاء إسرائيل فإننا نعني بالدرجة الأولى الولايات المتحدة ومن يدور في فلكها

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب على لبنان

أكد جورج بوش ، على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وانتقد حزب الله لتقويضه جهود السلام في منطقة الشرق الأوسط ، محملا سوريا مسئولية تدهور الأوضاع بسبب إيوائها قيادات حماس وعلاقتها بحزب الله . [2]

ثمة تأكيدات أمريكية كثيرة ومهمة صدرت عن أشخاص لهم مكانتهم في دوائر صنع قرار السياسة الخارجية الأمريكية، اعتبرت أن الحرب الإسرائيلية على لبنان هي مقدمة لحرب أمريكية إسرائيلية على إيران لحسم الملفات العالقة معها وعلى رأسها الملف النووي .

كما تحدثت تقارير عدة عن وجود خطط أمريكية إسرائيلية معدة سلفا لمهاجمة حزب الله، فقد كتب الصحفي سايمور هرش، في مجلة ذي نيويوركر أن الرئيس الأمريكي جورج بوش ونائبه ديك تشيني كانا واثقين من أن حملة قصف إسرائيلية ناجحة على مواقع حزب الله قد تهدئ من مخاوف إسرائيل بشأن أمنها. وقالت المجلة إن إدارة بوش كانت ترى في هذه الحملة مقدمة لهجوم وقائي أمريكي محتمل لتدمير المنشآت النووية الإيرانية.

وأضافت التقارير أن البيت الأبيض كانت له دوافع كثيرة لدعم حملة القصف، فإذا كان هناك خيار عسكري ضد إيران فإنه من الضروري القضاء على الأسلحة التي

([1]) محمد عباس ناجي " حرب لبنان.. مكاسب وخسائر إيران " إسلام أون لاين – نت ٢٠٠٦/٠٨/٢٣م

([2]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

قد يستخدمها حزب الله للانتقام من إسرائيل. ورغم رفض مسئولي الإدارة الأمريكية لهذه الاتهامات، فإن ذلك لا ينفي أن النية كانت مبيتة لتنفيذ الخطط الأمريكية الإسرائيلية بشن حرب للقضاء على حزب الله. [1]

ومن الجدير بالذكر إن إسرائيل و الولايات المتحدة تحاول إبراز صورة مفادها إن الحكومة اللبنانية لا حول لها ولا قوة على حزب الله وإن الحكومة اللبنانية هي رهينة في يد حزب الله حسب تعبير المسئولين الأمريكيين و الإسرائيليين .

وفي ٢٤ يوليو٢٠٠٦ قامت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس بزيارة لبيروت وعرضت على الحكومة اللبنانية خطة تهدف حسب قناعة الإدارة الأمريكية إلى مساعدة الحكومة اللبنانية لمد سيطرتها على جميع مناطق الجنوب اللبناني، وذلك بنشر قوات قوامها عشرة آلاف جندي من مصر وتركيا، تحت قيادة حلف شمال الأطلسي أو الأمم المتحدة وقامت رايس بعرض نفس الخطة على رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت ، وتقر خطة رايس قيام القوات الإسرائيلية بالتوغل لمسافة تمتد ٢٠ ميلاً داخل الأراضي اللبنانية، لإنهاء تهديد صواريخ حزب الله لشمال إسرائيل . من الجدير بالذكر أن رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري، رفض المقترحات التي حملتها وزيرة الخارجية الأمريكية إلى بيروت، قائلاً إنها تتعارض مع الأولويات اللبنانية.

وبعد حدوث مذبحة قانا في ٣٠ يوليو ٢٠٠٦ رفضت الحكومة اللبنانية استقبال وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس التي كان يتوقع وصولها بيروت في وقت لاحق ذلك اليوم، ما لم يتم وقف فوري لإطلاق النار وصرح رئيس الوزراء فؤاد السنيورة، أن لبنان لن يناقش "سوى وقف فوري وغير مشروط" لإطلاق النار وطالب السنيورة بإجراء تحقيق دولي حول ما جرى في "قانا". [2]

زلة لسان أم موقف رسمي

في ١٧ يوليو ٢٠٠٦ وأثناء اجتماع رسمي لمجموعة الثمانية G8 تمكنت وسائل الإعلام العالمية من التقاط حوار شخصي بين الرئيس الأمريكي جورج بوش و

([1]) محمد عباس ناجي " حرب لبنان.. مكاسب وخسائر إيران " إسلام أون لاين – نت ٢٠٠٦/٠٨/٢٣م

([2]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

رئيس الوزراء البريطاني توني بلير ولم يكن الاثنان أثناء الحوار على علم إن ميكروفونهم الشخصي كان مفتوحا . في هذا الحوار الشخصي أعرب بوش عن شعوره بالإحباط تجاه الوضع في لبنان وتفوه بعبارات غير دبلوماسية ومن هذه العبارات :

"إن المفارقة هنا هو إن كل ما عليهم أن يعملوه هو الضغط على سوريا لتضغط بدورها على حزب الله وهذا كفيل بان يوقف حزب الله الغائط الذي يمارسه" .

"لا يعجبني موقف كوفي عنان لأنه ميال إلى وقف إطلاق النار".

"أريد من كوفي عنان أن يتصل هاتفيا مع بشار الأسد ويحقق شيئا ملموسا".

أثناء الحوار الشخصي لوحظ توني بلير وهو يحاول إقناع الرئيس الأمريكي بأهمية موقف عالمي موحد لحل الصراع. استمر الحوار الشخصي المسموع والمرئي إلى أن انتبه توني بلير إلى الميكروفون المفتوح وقام بإغلاقه. رسميا وبعيدا عن ذلك الحوار الشخصي لخص جورج بوش مطالب حكومته بنزع سلاح حزب الله إستنادا إلى قرار مجلس الأمن المرقم ١٥٥٩ المطالبة بنزع سلاح جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية [1]

ولقد عملت أمريكا على تعطيل قرار وقف إطلاق النار وإنهاء الحرب حتى تتمكن لبنان من تنفيذ أهدافها ثم بعد ذلك قدمت مشروع القرار الفرنسي/ الأمريكي الذي تمخض عنه القرار ١٧٠١ الذي يصب مصلحة إسرائيل والحكومة اللبنانية .

رد فعل الأمم المتحدة

طالب كوفي عنان حزب الله بإطلاق سراح الجنديين الأسيرين الإسرائيليين في لبنان، ودعا زعماء المنطقة إلى العمل على منع حدوث تصعيد للصراع في الشرق الأوسط و أوعز لفريق مكون من ثلاثة أشخاص، بقيادة مستشاره السياسي الخاص،

([1]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

فيجاي نامبيار، للتوجه إلى الشرق الأوسط "للمساعدة في نزع فتيل الأزمة في المنطقة." (1)

وتتلخص مطالب الأمم المتحدة بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ الصادر في سبتمبر عام ٢٠٠٤ الداعية إلى "حل ونزع سلاح كافة الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية" وكذلك "بسط سيطرة الحكومة اللبنانية على كافة أراضي لبنان". وكذلك تقترح الأمم المتحدة نشر قوة دولية في جنوب لبنان وقد طلب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان بوقف فوري لإطلاق النار في لبنان وأدان عنان حزب الله "لإشعاله فتيل العنف الدائر في لبنان" كما انتقد في الوقت ذاته إسرائيل بسبب "الاستخدام المفرط للقوة" .

صرح جون بولتون السفير الأمريكي في الأمم المتحدة في مقابلة مع شبكة "سي إن إن" الأمريكية أن الإدارة الأمريكية تبحث بعناية فكرة نشر قوات متعددة الجنسيات بناء على تفويض من مجلس الأمن" ومن الجدير بالذكر أن وزير الدفاع الإسرائيلي عمير بيريتس قال إن بلاده قد تقبل قوات حفظ سلام تابعة لحلف الناتو في جنوب لبنان لضمان إبعاد حزب الله عن الحدود الإسرائيلية اللبنانية وقالت مصادر من الأمم المتحدة إن فرنسا وتركيا في مقدمة الدول المرشحة لقيادة مثل هذه القوة وأن إيطاليا واليونان والبرازيل أبدت استعدادها للمشاركة فيها في ٢٦ يوليو ٢٠٠٦ وبإشراف كوفي عنان عقد اجتماع حول الأزمة في لبنان في روما بحضور فؤاد السنيورة و كوندوليزا رايس و وزير الخارجية الإيطالي ماسيمو داليما وجاء في البيان الختامي إن هناك حاجة إلى قوة دولية لدعم الجيش اللبناني وصرح كوفي عنان إن قوة متعددة الجنسيات بإمكانها أن تساعد لبنان على فرض سلطتها وتطبيق قرارات مجلس الأمن التي تؤدي إلى نزع سلاح حزب الله كما أعرب عن اعتقاده أنه من الضروري ضم سوريا وإيران إلى أي اتفاق نهائي حول لبنان .

---

(1) نفسه .

بعد حدوث مذبحة قانا ٢٠٠٦ في ٣٠ يوليو ٢٠٠٦ وبعد ساعات على الإعلان عن مقتل المدنيين في قانا، خرجت تظاهرة غاضبة في وسط بيروت أمام مبنى الأمم المتحدة "الأسكوا"، ردّد فيها المشاركون شعارات منددة بإسرائيل وهاجم المتظاهرون مبنى الأمم المتحدة واقتحموا المكاتب محدثين أضرارا كبيرة فيها كما رفعوا أعلام حزب الله مكان أعلام المنظمة العالمية وأحرقوا الأعلام الإسرائيلية وقد دفع ذلك رئيس مجلس النواب نبيه بري إلى توجيه رسالة تلفزيونية إلى المتظاهرين يطالبهم فيها بعدم التعرّض للمبنى [1]

كان هذا موقف أمريكا والأمم المتحدة فماذا عن الموقف العربي والجامعة العربية

موقف الرسمي للدول العربية المعتدلة من الحرب

الموقف الرسمي للدول العربية المعتدلة والذي يقف على قمته مصر والسعودية والأردن ومن ورائهم دول الخليج والحكومة اللبنانية ، هو إدانة حزب الله فيما قام به ضد إسرائيل ففور بدء المعركة – أو بعده بقليل –أعلنت هذه الدول عن رفضها لسياسة المغامرات غير المحسوبة التي أشعلت فتيل المعركة دون إخطار الحكومة اللبنانية المنتخبة ولا التشاور مع القوى الإقليمية ولا مراعاة للظروف الدولية هذا لتمتص غضب إسرائيل من جهة وتحذر حزب الله من التمادي في سياسته الاستفزازية من جهة أخرى ، لكن عندما جاء الرد الإسرائيلي العنيف وما قامت به من دمار شامل للبنان فإن هذه الدول أخذت على عاتقها إنهاء هذه الحرب ، والتنديد بالعدوان الإسرائيلي الغاشم حتى تمكنت في الناهية من التوصل إلى القرار ١٧٠١

فقد حذر العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني والرئيس المصري حسني مبارك مما وصفاه بانجراف المنطقة إلى مغامرات لا تخدم شعوب المنطقة.

وأكد الزعيمان في لقاء جمعهما بالقاهرة دعمهما للحكومة اللبنانية في بسط سلطتها على كامل التراب اللبناني .

---

(1) نفسه .

ودعا مبارك وعبد الله الثاني إلى وقف إطلاق النار وتسوية الأزمة بصورة تؤدي لإطلاق الأسرى لإنهاء الوضع المتدهور الراهن .

وندد الزعيمان بالعمليات العسكرية الإسرائيلية، وطالبا إسرائيل بإيقافها فورا وحذرا من أجواء حرب تقوض فرص السلام .

وقبل ذلك ألقت السعودية باللوم على "عناصر" داخل لبنان ومن يقف وراءها في التدهور الأمني مع إسرائيل، وهو ما اعتبر انتقادا صريحا على غير العادة موجها إلى حزب الله وأنصاره في طهران. [1]

ورد حسن نصر الله عليهم قائلا " أما الحكام العرب لا أريد أن أسألكم عن تاريخكم فقط كلمة مختصرة نحن مغامرون نحن في حزب الله مغامرون نعم ولكننا مغامرون منذ عام ١٩٨٢ لم نَجُر إلى بلدنا سوى النصر والحرية والتحرير والشرف والكرامة والرأس المرفوع هذا هو تاريخنا هذه هي تجربتنا هذه هي مغامراتنا في عام ١٩٨٢ قلتم عنا وقال العالم إننا مجانين وأثبتنا أننا العقلاء أما مَن هم المجانين هذا شأن آخر لا أريد أن أدخل في سجال مع أحد أقول لهم راهنوا على عقلكم وسنراهن على مغامرتنا والله ناصرنا وهو معيننا لم نراهن في يوم من الأيام عليكم راهنا على الله وعلى شعبنا وعلى قلوبنا وعلى سواعدنا وعلى أبنائنا ونحن اليوم نقوم بنفس الرهان والنصر آتٍ، آتٍ إن شاء الله . [2]

ويعلق عبد الباري عطوان – رئيس تحرير جريدة القدس العربي على رد حسن نصر الله فيقول : " رد رجل يقود شعبه في مقاومة تاريخية غير مسبوقة رد رجل يدخل التاريخ على أنه أول زعيم عربي قصف حيفا قصف نهاريا قصف ترشيحا هذه هو الشيخ أو السيد حسن نصر الله يعني من حقه أن ينتقد الزعماء العرب خاصة أولئك الذين وصفوه بالمغامر [3]

([1]) الجزيرة نت الموافق ٢٠٠٦/٧/١٥ م

([2]) برنامج ما وراء الخبر حول " الموقف العربي من حزب الله " قناة الجزيرة بتاريخ ١٤ / ٧ / ٢٠٠٦

([3]) نفسه .

والموقف الرسمي للدول العربية المعتدلة لم يكن مسايرا للهوي العام الذي ارتفعت سخونته بسبب الجرائم الإسرائيلية علي الأرض اللبنانية من ناحية, والمنطق التقليدي المصري والعربي الذي تعود علي خلق معايير عربيه خاصة لا يعرفها العالم ولا يرعاها علم من العلوم الإستراتيجية .

ويعبر د. عبد المنعم سعيد عن وجهة نظر الدول العربية المعتدلة فيقول : " لا يختلف أحد مع الوقائع أو الحقائق الإستراتيجية كما جرت علي الأرض عندما وضعت الحرب أوزارها وتبين للفرقاء أين كانوا وكيف أصبحوا. وعندما جرى بعضنا إلي إسرائيل يستعير معاييرها ومقاييسها, أو سعي لخلق معايير ومقاييس جري في العادة استخدامها للتضليل والهروب من الحقيقة , أو راح يطلق النعوت والأوصاف محولا المناظرة إلي مهاترة, كانت مدرسه الفكر السياسي العربي التي استبدت بعقولنا طوال خمسه عقود قد وصلت إلي حافة الإفلاس والخواء .

وعلي أية حال فقد جرى ما جرى , وبات علي الأمة أن تلملم جراحها, وفي الوقت الذي حاول فيه بعض الساسة أن يصوبوا الطلقات الكلامية علي عدد من الدول العربية لأنها أبت أن تقاد من أنوفها إلي معارك لم تشارك في صنعها, فإن هذه الدول المُتَّهَمَة هي التي قادت المعركة الدبلوماسية في الأمم المتحدة لكي تنقذ ما يمكن إنقاذه في مشروع القرار الفرنسي/ الأمريكي حتى يصبح القرار ١٧٠١ بالقليل الذي له والكثير الذي عليه من وجهه نظر المصالح اللبنانية .

ولا يقل أهمية عن ذلك أن هذه الدول العربية ذاتها كانت هي التي رصدت أموالا حقيقية لإعادة إعمار لبنان للمرة الثانية, وكانت هي التي قدمت المعونات الفنية لإصلاح ما تم تدميره. وللحق فإن السيد حسن نصر الله قد تصرف بعقلانية واضحة منذ صدور قرار مجلس الأمن, فقد تجاوب مع قرار مجلس الوزراء اللبناني الذي يمنع وجود الأسلحة في الجنوب لغير قوات الجيش اللبناني, ولم يعترض علي اعتبار إطلاق صاروخ علي إسرائيل نوعا من الخيانة العظمي. وباختصار كان حزب الله- بعد وقف إطلاق النار- مساهما في تهيئة الأجواء اللازمة للانسحاب الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية التي جرى احتلالها مرة أخرى ولمن يعرفون الإدارة الرشيدة للأزمات الدولية فإنهم يدركون تماما أن الأزمة بحكم التعريف كما تحتوي علي' خطر' التحول إلي حرب عظمي ومستمرة لفترة طويلة,

تشتمل أيضا علي' فرصة ' يمكن عندها تسويه النزاع أو علي الأقل دفعه خطوات علي طريق السلام .

وخلال الأسابيع القليلة الماضية حينما احتدمت المواجهة بالحديد والنار ساد الظن لدي كثيرين علي الجانب العربي أن طريق السلام بات مستحيلا, بل أنه بات من العبارات المعتادة أن السلام العربي الإسرائيلي لم يحقق لنا شيئا, فلا تحررت سيناء ولا أراضي أردنية وفلسطينية أو سورية ; وأن الطريق الوحيد للعلاقات مع إسرائيل لا بد وأن يمر من خلال المواجهة العسكرية التي تقودها المليشيات العسكرية البعيدة عن سلطه الدولة العربية .

وهكذا بات مفهوما ضمنيا أن طريق التحرير سوف يمر عبر مجموعة من المراحل التي تبدأ بالقدرة علي' التصدي' الذي يترجم في المقاييس العربية الخاصة علي أنه الانتصار, وبعد أن تحصل المليشيات العربية المقاتلة علي النصر تصبح ازدواجية السلاح والسلطة في الدولة مقبولة , أو بمعني آخر الفوضى سواء على الطريقة اللبنانية أو الطريقة الفلسطينية .

ولكن لحسن الحظ فإن هناك مساحة للعقل والرشد في عالمنا العربي لا تزال باقية, وعلي عكس ما يعتقد كثيرون بأنه لم يعد هناك غير طريق الحرب, فإن آخرين رأوا فيما جرى بصيصا من نور طريق للتسوية. وعندما أعلنت مصر والسعودية والأردن عن تقديم مشروع لمجلس الأمن من أجل تسوية الصراع العربي/ الإسرائيلي فإنها كانت تحاول طرق الحديد وهو ساخن وقبل أن ينصرف الاهتمام العالمي بالأحوال في الشرق الأوسط .

فقد أكد استخدام القوة من ناحيتنا إلي مزيد من احتلال الأرض, ومن الناحية الإسرائيلية فإنها أثبتت أن طريق الحرب لا يحل المعضلة الأمنية وإنما يضاعف منها, ومهما كان التفوق العسكري الإسرائيلي فإنه لن يقود إلا إلى مزيد من الكراهية لدي الشعوب العربية, فضلا عن التكلفة العالية للنصر في المعارك. وعلي الناحيتين فإن استخدام القوة لم يَقُدْ إلا إلى الدمار ونزيف الدماء مهما أحرز طرف

من نقاط هنا أو هناك; ولم يعد الخيار القائم هو ما بين النصر أو الهزيمة وإنما بين التسوية أو استمرار الصراع قرنا آخر من الزمان تدفع ثمنه الشعوب من تقدمها ورخائها.

ولكن العالم العربي عليه أن يتعلم من دروس الماضي هذه المرة, فلا توجد إمكانية للسلام ما لم يتم فتح حوار جاد حول منجزات وإخفاقات المحاولات السلمية السابقة. ومن الطبيعي تماما أن يلقي اللوم علي إسرائيل وترددها وجماعاتها الاستيطانية ومحاولاتها المستمرة لترجمة توازنات القوى إلى مكاسب توسعية. وبصراحة كاملة فإنه لن توجد جماعة أو قيادة عربية علي استعداد للتخلي عن بوصة واحدة من الأراضي العربية التي جرى احتلالها خلال حرب يونيو١٩٦٧ أو خلال الحرب الأخيرة. ولكن علي الجانب الآخر فإن علينا أن نتحمل مسئوليتنا الكاملة عن عدم الدفاع عن طريق السلام; وبصراحة أكثر فإنه لا يوجد لدى مصر خاصة ما تخجل منه عندما وقعت اتفاقية السلام مع إسرائيل لأنها لم تحرر أرضها فقط, وإنما أبقتها محررة علي مدي الربع قرن الماضي علي عكس أراض فلسطينية ولبنانية جرى تحريرها ثم تمت معاودة احتلالها مرة أخرى .

وإذا كان هناك درس نتعلمه من المبادرة العربية - والمبادرات العربية السابقة عليها- فهو أن المبادرات لا تنفذ نفسها, وأن هناك قوى عربية مسلحة ستحاول إفساد كل مبادرة عن طريق عمليات عسكرية تجعل خيار' المقاومة' مقدما علي خيار التحرير. ولعلنا جميعا نتذكر العمليات الانتحارية/ الاستشهادية التي جرت عقب كل تقدم في عمليه السلام والجلاء الإسرائيلي عن الأراضي العربية, وعملية " نتانيا " التي استهدفت المبادرة العربية في بيروت وأعطت لشارون- الذي لا يحتاج لذرائع كثيرة - الذريعة ليس فقط لإجهاض المبادرة وإنما لإعادة غزو الضفة الغربية مره أخري. ولا أظن أن هناك طريقة للتعامل مع هذا الموقف دون فتح حوار واسع وشفاف مع جماعات حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله وغيرهم, ومع إيران وسوريا, علي قاعدة أن تحرير الأرض وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة مقدم علي إثبات المواقف الباسلة .

مثل هذه الحوارات الجادة والشفافة ضرورية ليس فقط أمام الشعوب العربية التي باتت واقعه تحت استقطابات فكرية حادة , وإنما ضرورية إزاء العالم أيضا لإثبات أننا جادون علي طريق السلام. وإذا كان هناك درس نتعلمه من الأزمة اللبنانية الأخيرة فهو أن هناك تحولات جوهرية في دول العالم ليست لصالحنا للأسف, ولكن عالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر لم يبق لنا من المؤيدين إلا رئيس جمهوريه فنزويلا الذي يعاني مثلنا من الشك العالمي والعزلة الدولية. فإذا ما أدركنا ذلك كله فإن حملة دولية لدي الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة سوف تصبح أكثر من ضرورية. " (1)

الموقف المصري الرسمي من الحرب ودوافعه

ويمكن تقديم تصور للموقف المصري ودوافعه من خلال ثلاث محاور هي :

١- الموقف الرسمي من حزب الله .

٢- الموقف من الحرب – من وجهة النظر الرسمية .

٣- الدور المصري .

أولا : الموقف المصري من حزب الله :

١- أن الذي بدء الاستفزاز هو حزب الله ... وهذا الحزب لغز وعليه دوائر كثيرة ويحيطه غموض ، ففضلا عن إنه صنيعة إيرانية ، هناك كلام كثير يدور عن شيء يطبخ ... ربما دولة شيعية في الجنوب .

٢- ما دام الحزب إيراني بالتبعية ، فلا يجوز الانجرار وراء خطط توظفنا حسب هواها ولمصالحها.

٣- وعليه يكون المطلوب وقف هذا الحزب فورا .. مادام لن يحرر أرض أو يحقق نصر .. بل ويسبب مشاكل قد تجر المنطقة كلها إلى ما لا يحمد عقباه.

---

(1) د. عبد المنعم سعيد "وقت للسلام وليس للحرب ! " جريدة الأهرام ٢٨ أغسطس ٢٠٠٦

ثانيا: الموقف من الحرب – من وجهة النظر الرسمية .

إن الموقف المبدئي المعارض للحزب ... ليس طبعا ضد عمل المقاومة ... بل ضد السياسة الإيرانية الزاحفة لابتلاع المنطقة بكاملها .

١- لكل حرب هدف استراتيجي ... ما هو الهدف المفترض لحزب الله في هذه الحرب ... حماية لبنان ... أليس ذلك هو الهدف النهائي في حرب غير متكافئة ... هل استطاع الحزب حماية لبنان !.. بل علي العكس أحتمي الحزب في المدنيين (الاحتماء في المدنيين وإطلاق الصواريخ من الأحياء المدنية) مما أوجد ذريعة للعدو لقصف تلك الأحياء .

٢- ما هو المتحقق العسكري للحزب في النهاية .. لا شيء بل الخسارة الكاملة ، سوف يفقد الحزب عاجلا أم آجلا الجنوب تماما ويتم إبعاد مليشياته من ١٥ إلى ٢٠ كيلو إلى الشمال ناهيك عن نزع سلاحه .

٣- للرد علي الذين يقولون لماذا لم تستخدم مصر كروتها للضغط علي إسرائيل – قناة السويس – البترول – الغاز – مناورة بحرية حقيقية في المياه الدولية. الحرب إستراتيجية دولة ومصر حين اختارت (السلام خيار إستراتيجي) كانت جادة تماما كما أن الحرب عمل عسكري له تخطيط طويل وتدريب وخطط وبدائل واستعداد ، وتهيئة الجبهة الداخلية ناهيك عن السلاح وقطع الغيار والتكلفة وحماية المصالح بصواريخ مضادة للطائرات وصواريخ مضادة للصواريخ وجيوش تحمى هذه الصواريخ فضلا عن عمل مخابراتي طويل يسبق الحرب بأعوام

٤- حرب إسرائيل مع مصر ليس كحربها مع حزب الله يكفى نظام الري في مصر . الحزب ليس لديه مصالح ممكن تركيعه بتدميرها فالحزب لم يرتدع رغم تدمير لبنان كلها ..

ثالثا: الدور المصري :

هنا قد تكون الصراحة في بعض الأحيان مؤلمة وجارحة ولكنها مطلوبة حتى تعرف كل الأطراف مالها وما عليها. الملاحظ أن مصر الرسمية تتخلي عن دورها عن عمد واضح ... وفى تقديري أن ذلك يعود إلى :

١- أن الدور المصري لا يتم تذكره إلا في الملمات - بالمثل الشعبي - (في الهَمّ مَدْعيَّة وفى الفرح مَنْسيَّة) كم هي استثمارات دولة عربية واحدة (قطر مثلا) في دولة أوربية واحدة .. وكم هي الاستثمارات العربية كلها في مصر ؟
٢- كيف تمت معاملة مصر بعد تحرير للكويت ... وجه وزير التعمير السابق المهندس حسب الله الكفراوى حديثه إلى (الأمير سعد العبد الله) ولى عهد الكويت في هذا الوقت أمام جمع من الصحفيين وطلب منه أن يكون لشركات المقاولات المصرية دور في إعادة تعمير الكويت ... فرد سموه : الكويت لن تخضع للابتزاز المصري (صحيفة الوفد).

قارن بين مرتبات الجنود المصريين والأمريكان . مؤخرا كان هناك مسابقة في الجرائد الكويتية كان موضوعها . كم هي المساعدات الكويتية لمصر؟
٣- أليس من ضمن المآخذ على عبد الناصر الدور المصري الذي مارسه ببذخ على الدول العربية مما أضاع على مصر ثروة كان من الممكن استثمارها داخليا ربما كانت لها تأثير الآن .

٤- الدور ليس من خلال الميكروفونات فإن له تكاليفه الباهظة . أليست مصر أولي بعدما شحَّ عليها الأخ والصديق .

٥- ثم أن الدول العربية دول غير مؤثرة لا إقليميا ولا عالميا ، فهي إما أوضاعها بالغة الخطورة أو ميئوس منها كما أنها دول غير منتجة لأي شيء (سوى التآمر على مصر- انظر القرار الوحيد الذي اتفق العرب عليه بالإجماع في الجامعة العربية هو مقاطعة مصر) أو لديها صناعة متقدمة ، وهي غالبا متناحرة فيما بينها أو تحاول أن تناطح مصر لأسباب غير مفهومة . دول الخليج لن تأتي إلى مصر إلا بعد انتهاء مرحلة البترول . العراق ممزق ، سوريا غارقة ومتورطة في لبنان وحل عليها الغضب الأمريكي ، ليبيا سلمت نفسها ، السودان يعوم فوق بحر من المشاكل والبترول! دول المغرب البعد الجغرافي أبعدها بدرجة كبيرة .

٦- الكلام عن دور إيراني ودور سوري وأدوار متوهمة كلها تهويمات فصاحب المصلحة جاء بنفسه إلي المنطقة ولم يعد بحاجة إلي وسيط يدير له مصالحه فكل الجهود تبذل حتى تلفت أنظار سيد العالم والبيت الأبيض لعل وعسي إلى ما يمكن أن تقدمه أو تقوم به لصالح العم سام حتى إيران.

ما سبق كان على افتراض أنه الرأي الرسمي غير المعلن لمصر والذي يمكن للمراقب أن يستشفه من الموقف عموما .[1]

الموقف الرسمي اللبناني من الحرب

أعلنت لبنان على لسان رئيس الوزراء، فؤاد السنيورة ، موقفها من عملية حسن نصر الله حيث قال السنيورة أن : "حكومته ليست مسئولة، ولم تقر عملية اختطاف الجنديين الإسرائيليين ".

وفي ١٥ يوليو ٢٠٠٦ أعلن السنيورة لبنان بلدا منكوبا ودعا إلى وقف فوري لإطلاق النار ولم يتطرق السنيورة على الإطلاق لفكرة أن الهجوم الإسرائيلي موجه إلى حزب الله فقط بل تحدث عن تعرض لبنان كدولة إلى عدوان غير مبرر أعرب عن استعداد الحكومة " لبسط سلطتها على جميع الأراضي اللبنانية بدعم من الأمم المتحدة بالنسبة لموقف السنيورة من قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٥٥٩ والذي ينص على نزع سلاح الميليشيات بما فيها حزب الله فقد صرح السنيورة بان "موقف الحكومة اللبنانية هو احترام قرارات الشرعية الدولية، لكن هناك بعض النواحي من القرار ١٥٥٩ تحتاج لتوافق داخلي" . [2]

الموقف الرسمي للمملكة العربية السعودية من الحرب

ألقت السعودية باللوم على "عناصر" في داخل لبنان في العنف مع إسرائيل، وقال بيان نشرته وكالة الأنباء السعودية إن السعودية "تود أن تعلن بوضوح أنه لا بد من التفرقة بين المقاومة الشرعية وبين المغامرات غير المحسوبة التي تقوم بها عناصر

([1]) صابر حسنين علام : الموقف المصري من العدوان على لبنان ــ صحيفة " المصريون " بتاريخ ٢٧ - ٨ - ٢٠٠٦

([2]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

داخل الدولة ومن وراءها، دون رجوع إلى السلطة الشرعية في دولتها، ودون تشاور أو تنسيق مع الدول العربية، فتوجد بذلك وضعاً بالغ الخطورة، يُعّرض جميع الدول العربية ومنجزاتها للدمار، دون أن يكون لهذه الدول أي رأي أو قول." ويعتبر هذا الموقف انتقاد صريح على غير العادة موجه إلى جماعة حزب الله وأنصارها الإيرانيين[1]

موقف الجامعة العربية

في ١٥ يوليو ٢٠٠٦ عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعا طارئا بدعوة من أمين عام جامعة الدول العربية ، عمرو موسى في القاهرة لمناقشة الهجوم الإسرائيلي على لبنان وترأس الجلسة حسين الشعالي، وزير الدولة للشؤون الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة الذي صرح بعد الجلسة "أن الأمم المتحدة هي المكان الذي يجب قصده من أجل وقف الهجوم" واعتبر حسين الشعالي قرار الجامعة العربية هذه "وقفة تاريخية رغم الاختلافات وذلك لحرص الجميع على ضرورة إنجاح الاجتماع ووقف الهجوم على لبنان" .

بينما تم اعتبار موقف الجامعة من قبل الشارع العربي فشلا ذريعا وصمتا على العدوان الذي يتعرض له لبنان كانت مواقف السعودية و الكويت منتقدة لحزب الله و موقف سوريا وصرح وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل قبل الاجتماع الذي حضره ١٨ وزير خارجية عربي : " إن بعض الجهات تتصرف بطريقة "غير مسئولة وغير مناسبة وغير متوقعة" وجاء هذا الموقف متناغما مع موقف الرئيس المصري محمد حسني مبارك والعاهل الأردني عبد الله الثاني بن الحسين اللذان صرحا بعد قمة عقداها في القاهرة في ١٤ يوليو وحذرا فيه " أي طرف من القيام بأعمال تصعيدية غير مسئولة تستهدف جر المنطقة إلى أوضاع خطيرة وتورطها في مواجهات غير محسوبة تتحمل تبعاتها دول المنطقة وشعوبها" .

يعتقد المحللون السياسيون إن سبب انقسام الصف العربي سببه الحلفاء التقليديون للولايات المتحدة ، مثل السعودية ومصر والأردن؛ معظمها ذات أكثرية سنيّة؛

([1]) نفسه .

تتخوّف من صعود الشيعة للسلطة في المنطقة ، ووفق مصادر من وكالة أسوشيتد برس فإن بعض الدول العربية ذات الأغلبية السنيّة تشجع ضمنا، تدمير حزب الله، مدفوعة بمخاوف أنه قد يشن هجمات ويشكل خلايا مسلحة خارج حدود لبنان، وهناك مخاوف من أن المسلحين السنة قد ينضمون تحت لواء حزب الله، كما فعلت حركة المقاومة الإسلامية "حماس". لكن الدول العربية في نفس الوقت تتخوف من أن تنقلب شعوبها ضدها إذا أظهرت ضعفا في عدم قدرتها على تحدي العدوان الإسرائيلي على لبنان. (1)

موقف الشعوب العربية والإسلامية غير الرسمية

• حيا الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في بيان أصدره عن العملية التي قامت بها المقاومة اللبنانية ضد إسرائيل، والتي أسر على أثرها جنديين إسرائيليين. وأن الجنديين الذين أسرتهما المقاومة اللبنانية إنما هم أسرى حرب تنطبق بحقّهم الاتفاقيات الدولية التي تحكم قضايا الأسرى، وليس في هذه الاتفاقيات ما يبيح لدولة الأسير اجتياح أراضي آسريه، وضرب منشآته المدنية وبنيته الأساسية .

* شهدت المحافظات السورية يوم الاثنين ١٧ يوليو مسيرات شعبية كبيرة تضامنا مع المقاومة اللبنانية والشعب اللبناني في وجه الهجمات الإسرائيلية. وشارك أكثر من ألفى فلسطيني في مسيرة جماهيرية في رام الله بالضفة الغربية . و تظاهر نحو ٦٠٠ تونسي في ساحة محمد علي أمام مقر الاتحاد العام التونسي للشغل وسط العاصمة تونس تعبيرا عن استنكارهم واحتجاجهم على الهجمات الإسرائيلية.

• ندد مشاركون في اعتصام دعا إليه طلبة في جامعة اليرموك بالهجمات الإسرائيلية المستمرة على لبنان والعمليات العسكرية الإسرائيلية ودعت المجتمع الدولي للتدخل لوقفها.

• نظمت النقابات المهنية ومنظمات المجتمع المدني بمصر مظاهرات تأييد للمقاومة اللبنانية والفلسطينية. وردد المتظاهرون هتافات مؤيدة لحزب الله و

---

(1) نفسه .

حماس، مطالبين الحكام العرب باتخاذ مواقف ترقى لطموحات الشعوب العربية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل ودعم المقاومة.

- نظم أبناء الجالية اللبنانية في فرنسا تظاهرتين منفصلتين للاحتجاج والتنديد بالاعتداءات الإسرائيلية على لبنان. التظاهرة الأولى ندد فيها أنصار تجمع الرابع عشر من آذار بحزب الله وانتقدوا ما وصفوه بتفرد الحزب باتخاذ قرارات عرضت البلاد للخطر. ومن جانبهم أثنى أنصار حزب الله على مواقف الحزب في مظاهرة أخرى خرجت بالقرب من مقر اليونسكو بباريس .

- في العاصمة الإندونيسية جاكرتا تظاهر الآلاف للتنديد بالهجوم الإسرائيلي على لبنان والأراضي الفلسطينية .

- تظاهر الآلاف من مواطني مدينة ديار بكر التركية تضامنا مع الشعبين اللبناني والفلسطيني . [1]

للأسف الشديد إن أكثر الشعوب العربية تغلب عليها العاطفية الحدسية أكثر من العقلانية العلمية وهو أمر ليس بجديد ولا طارئ عليها إنما هو قديم ومتأصل فيها ، ودل عليه كثير ممن بحث طبيعة شخصية الشرق العربي فالدكتور زكي نجيب محمود يشبه الشرق بالفنان الذي " يدرك العالم بروحه لا بعقله أما الغرب فطابعه الأصيل العميق هو النظر إلى الوجود الخارجي بعقل منطقي تحليلي يقف عند الظواهر مشاهدا لها وهي تطرد وتتابع على هذه الصورة أو تلك فيجعل من هذه الاطرادات في الحدوث قوانين يستخدمها بعدئذ في استغلال الظواهر الطبيعية على النحو الذي يرضيه ولا بد لمثل هذه النظرة من السير في خطوات استدلالية تنتزع النتائج الصحيحة من مقدماتها الصحيحة وتلك هي نظرة العلم وهذه التفرقة التي تجعل من الشرقي فنانا يدرك الحقيقة بذوقه ومن الغربي عالما يدرك الحقائق بالمشاهدة والتجربة والتحليل والتعليل لا تنفي بطبيعة الحال أن يكون في الشرق

([1]) نفسه .

علماء ، ولا أن يكون في الغرب رجال دين وفن لكننا نطلق القول على وجه التعميم الواسع الذي يفسر بعض التفسير ما هو شائع على الألسنة من وصف الشرق بالروحانية ووصف الغرب بالمادية " (١)

فالعربي عند د.زكي نجيب محمود تحركه عواطفه وأهوائه لا عقله وعلمه " وماذا ينقص العربي أكثر مما ينقصه من مثل هذه القدرة على التفرقة بين حقائق الدنيا الواقعة من جهة ، وبين انطباعاته هو بتلك الحقائق من جهة أخرى ؟ وليس العيب هو أن يكون للإنسان أهواؤه بالنسبة لمن يصادفه في عالم الأشياء ، فيحب ما يحب ويكره ما يكره ، ولكن العيب كل العيب هو أن نخلط بين الجانبين ذلك الخلط الذي يجيز لنا أن نتحدث عن أوهامنا وأحلامنا ثم نظن أننا نتحدث عن أمور الواقع " (٢)

لقد تعاطفت الجماهير العربية مع ما قام به حزب الله وخرجت المظاهرات في كل الوطن العربي رافعة صور حسن نصر الله وهاتفة له بهتافات البطولة والزعامة ، كما تعاطف العرب والمسلمون مع المجاهدين الأفغان الذين جاهدوا السوفييت – بمساعدة أمريكا والدول العربية والإسلامية – وعندما تم جلاء السوفييت تحول الرفقاء إلى فرقاء بل إلى أعداء وتحول الجهاد المقدس ضد الروس الكفرة إلى حرب مدنسة ضد الأفغان المسلمين ، وحدث ذلك مع تنظيم القاعدة الذي أسسته المخابرات الأمريكية في الحرب الأفغانية على الاتحاد السوفييتي ، وبعد الحرب انقلب و وجه حربه إلى أمريكا ومصالحها ثم تحول ليقتل الأبرياء في العراق والزرقاوي خير شاهد على ذلك .

فنحن عاطفيون نسارع دائما لتأييد أي جماعة – خاصة لو كانت دينية – تقاتل أمريكا أو إسرائيل بصرف النظر عن طبائعها ومنطلقاتها ومشاربها وأهدافها ووسائلها ، وليس هذا التأييد العاطفي قاصر على الجماعات بل يشمل الدول أيضا فالشعوب العربية والإسلامية سعيدة بتحدي إيران لأمريكا بغض النظر عن هدفها

---

(1) د. زكي نجيب محمود " الشرق الفنان " ص ٤ الهيئة العامة للكتاب .
(2) د. زكي نجيب محمود " ثقافتنا في مواجهة العصر " دار الشروق ص ١٥٨

الاستراتيجي الرامي للسيطرة على دول الخليج وإعادة الإمبراطورية الفارسية الغابرة أو الخلافة الإسلامية الشيعية ، إن العجز وقِصَر النظر والعاطفية هي وراء تأييد كل هذه الجماعات والدول ،وليس تأييد المبادئ والأهداف الوطنية أو القومية المشروعية .

يعرّف أحد الدبلوماسيين الأمريكيين الدبلوماسية بقوله : " الدبلوماسية هي : فن إلقاء العبارات اللطيفة أمام كلب يهاجمك حتى تجد حجرا تضربه به " .

ويقول آخر : " الدبلوماسية : أن تجعل من يختلف معك يسير في طريقك " .

والعرب تهاجمهم كلاب الأرض وبدلا من سعيهم لجمع الحجارة والدفاع عن أنفسهم يغرون سفاءهم بمشاغبة تلك الكلاب مما يزيد من سعارها وكثرة ضحاياها .

فالمنطق العربي يعد الدبلوماسية عجزا ويستبدل بها العنترية التي هي فن إلقاء الخطب الاستفزازية التي تهدي العدو مبررات عدوانه ، وتجعل من الدفاع المشروع إرهابا .

***

الفصل الخامس
الشخصية اللبنانية

آراء في الشخصية اللبنانية

اللبناني متين البنيان ، صلب العود قوي الأعصاب ، إذا غشاه الأمر الجليل فلا يدهش له ، وإنما يأخذه بحسن الحيلة ، ويجمع له نواحي الفكر ، لا يرضى بالقليل ، ولا يقنع بالميسور ، ولا يقيم على ذل يراد به فإذا شعر بظلم أو ضاق به العيش ، ولو في وطنه العزيز عليه رحل إلى بلد أبر وأدر واتخذه وطنا ثانيا ، ولو بعد عن مسقط رأسه وهناك يلقي رحاله ، ويجد ويسعى حتى يجمع مالا يغنيه .

ويمتاز اللبناني بحيوية دافقة وميل فطري إلى الترحال واقتحام الأخطار !

وكرم الضيافة عند اللبناني سجية ، فهو يرحب بالضيف ولو كان مجرما أو هاربا من وجه العادلة .

ولا تزال عادة الثأر متأصلة عند أهل القرى في لبنان ، ومن العار أن يطول دم القتيل ! وإذا ما فر القاتل من وجه أهل القتيل ، ثأروا من أخيه أو أبيه ، أو أحد أهله الأقربين ، وكثيرا ما تقوم معارك دامية بين بعض الأسر الريفية نتيجة لأخذ ثأر قتيل من أحد أفراد أسرة قاتله .

واللبناني مساوم ماهر ، ولا بِدَع فَدَمُ التاجر الكيس المداور يجري في عروقه .

ولقد ذكر أحد الرحالين بعد أن زار لبنان ومكث بين أهلها القصة الطريفة الآتية " سال مدرس أحد تلاميذه اللبنانيين الصغار عن حاصل جمع اثنين واثنين .

فأجاب الصبي : هل أنا مشترٍ أو بائع ؟!

ويعتقد الفلاحون اللبنانيون في الأولياء والقديسين ! ويكثرون من النذور لهم وزيارة مقابرهم ، ولقد كتب بعض من زاروا لبنان واختلطوا بأهل القرى فيها يقول

: " إن بعض أهل القرى في ريف لبنان يخافون القديسين والأولياء أكثر مما يخافون الله ، وآية ذلك عنده أنهم قد يحلفون بالله فتحنث أيمانهم ، ولكنهم إذا حلفوا بقديس أو ولي فلا تحنث أيمانهم ! (1)

ويحدثنا د. مصطفى محمود عن شخصية اللبناني فيقول : " المثقف اللبناني يحادثك في أسى عن عدم وجود مبادئ وعن عدم تطلع لبنان إلى خطة واضحة ، وهو حديث لمجرد الترف العقلي والاستهلاك الوقتي على قارعة الطريق أما ساعة الجد فإنك تجد أكثر من واحد يقول لك : " صرماية " على كل المبادئ ! ما لنا نحن ومال المعركة نحنا هون بنحب الجميع .

وهي لغة القومسيونجي الذي يبيع للكل ويريد أن يروج بضاعته للكل ..

واللبناني في آخر الأمر له منطق فهو لا يملك سوى منظر جميل ورقعة شاعرية على البحر وليس في لبنان بئر بترول واحدة ، ولا منجم حديد . البئر الوحيدة هي جيوب الزوار ، والوسيلة الوحيدة هي نزحها في رشاقة لتصبح أنظف من الصيني قبل غسيله . هذه هي خطة التنمية ، ولكي تؤتي خطة التنمية أحسن ثمرة لابد أن تكون الصلة بالجميع حسنة ، والترحيب على أشده لأي وارد من أي مبدأ .

والمواطن اللبناني إنسان حبوب لطيف مرح ، محب للحياة ، محب للرقص ، محب للغناء والمرح والشرب ، وهو يكسب كثيرا وينفق كثيرا .

والطبقة التي تسكن بيروت غالبيتها طبقة متوسطة تشتغل بالتجارة وتعيش في رخاء نسبي ، والطموح الشائع بينها هو طموح مادي وشخصي لا طموح قومي ، والأيديولوجية الرائجة هي الحرية الفردية بلا حدود ، وبلا ضوابط ، والثراء وبأي طريقة .

والمثقف اللبناني مكبل ، ومغلول ، وإقامته محددة ؛ لأنه يعمل داخل شكل اجتماعي غير ملائم بحكم طبيعة تكوينه للتطور . شكل اجتماعي غير طيع يدور

---

(1) حسن محمد جوهر " لبنان ، أرضها وتاريخها وحياة شعبها " دار الشعب ص ٧٣-٧٩ بتصرف .

في حلقة مفرغة من المتاجرة المادية الحامية بما فيها المتاجرة بالمعنويات ذاتها ، والمتاجرة بالمثقف نفسه .

وقيم المحبة والصداقة والأخوة تختنق في سباق المصلحة وتكالب رأس المال الذي يطحن في طريقه كل شيء ، والشكل الاجتماعي مرتبط بالوضع السياسي والإقليمي للبنان كبلد صغير محدود الموارد تتكسب من حيادها ، ومن عدم انحيازها لمبدأ .. أي مبدأ .

ولبنان كبلد صغير بلا موارد يعتمد على الامبدئية كمورد رئيسي لحياته . اللامبدئية منجم يدر عليه كل فئات العملات من كل بلاد العالم بكافة اتجاهاتها .

وبفضل هذه الامبدئية تتدفق عليه رءوس الأموال الهاربة من رياح الاشتراكية في كل مكان ، والنتيجة رخاء مفتعل مصطنع مؤقت ، رخاء متسلل من الخارج وليس رخاء حقيقيا ناميا من الداخل ، ولا يمكن أن يكون اقتصاد حقيقي على مثل هذه العوامل الظرفية إنه يكون اقتصادا من ورق اللعب لا من ورق البنكنوت . مجرد مقامرة ناجحة على التناقضات العربية الموجودة وهي متناقضات لن تدوم طويلا ، فمصير الدول العربية إلى وحدة حتمية (1) والرأسمالية العالمية (التي يدور لبنان في فلكها) بدون أسواق وبدون مستعمرات وبدون بترول ومناجم حديد ونحاس ومتأخرة تنهبها وتسرقها (كما هو الحال في حالة لبنان) مصيرها الموت جوعا ، ولن يكون أمامها بعد ذلك إلا أن يأكل بعضها بعضا (وهو ما حدث في لبنان بالفعل منذ أكثر من ثلاثين عاما وإلى اليوم) ولا يمكن أن تعيش لبنان زوجة للكل ، لا يمكن تعيش لقيطة بلا أب بلا أم ، إن طلاقها من عروبتها لن يضمها إلى العالم ولن يجعل مواطنها عالميا وإنما يكون قيدها في دفتر العالم صحيحا بأن تكون

(1) لقد كان د. مصطفى محمود مغرقا في الخيال عندما قال إن " المتناقضات العربية لن تدوم طويلا " فالواقع المر أثبت استمرار التناقضات العربية بل الصراعات العربية ، وأن مقامرة لبنان على تلك الصراعات بدلا من أن تدر عليه ربحا كما كان في الماضي جلبت له حروبا طاحنة أهلية (كالحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٩٠) أو خارجية الحروب اللبنانية الإسرائيلية (١٩٨٧، ١٩٨٢ ، ٢٠٠٦)

نسبتها صحيحة من البداية . والرجل المتحلل من كل الروابط والمسئوليات المطلّق من زوجته ، المتبرئ من آبائه وأبنائه أصلح للانضمام إلى بار منه إلى الانضمام إلى عالم .

الفن البيروتي (في التجارة) يمسك بيدك ويضعها في جيبك ويخرجها بأي شيء .. أي مبلغ .

الحرية في لبنان خرافة .. الحرية متاحة .. ولكن لا يستطيع أن يحصل عليها إلا من يدفع ثمنها نقداً وعدّاً من الليرات .. أنت حر في أن ترشح نفسك في الانتخابات ، ولكن في الحقيقة لن تستطيع ترشيح نفسك لأن إدارة المعركة الانتخابية تحتاج إلى نصف مليون ليرة ، والذين نجحوا في الانتخابات الأخيرة فيهم ١٢ مليونيرا ، والطبقة الغنية ممثلة بينهم بكاملها .

وإذا كنت فقيرا فلن تجد في مجلس النواب من يمثلك , وأنت حر في إبداء رأيك .. هكذا يقولون .. ولكنك تكتشف بعد أيام من إقامتك (في لبنان) أنك لابد أن تبيع هذا الرأي لمن يدفع القدرة على تمويل صحيفة تنشر فيها رأيك . (١)

كتب د. مصطفى محمود في نهاية المقال " كتب هذا المقال في بداية الستينات وقد رأينا جميعا ماذا جرى للبنان بعد عشر سنوات من كتابة المقال .. كيف انهار البناء ؛ لأنه لم يكن يقوم على شيء ، كان البريق مجرد ديكور من ورق اللعب " (٢)

ويصف الأستاذ محمود أحمد – مدير مكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط في واشنطن – بعد أن أمضي عشر سنوات في بيروت متابعا الحرب الأهلية اللبنانية " الشخصية اللبنانية " بقوله : " لقد عرضت لي حالات كان اللبناني خلالها يمارس أقسى أنواع ما يمكن تصوره من أعمال العنف ، والغريب أن هذه الممارسات لم تتطور أو تتصاعد تدريجيا ، وإنما هي بدأت منذ وقت مبكر للغاية حيث اعتاد

---

(1) د. مصطفى محمود " حكايات مسافر " دار المعارف ط ٣ فصل " بيروت بلد المتناقضات "

(2) نفسه ص ١١٢

الناس ، منذ الأسابيع الأولى لاندلاع الحوادث يسمعون كلمات وتعبيرات من قبيل القتل ، والقنص ، والقتل على الهوية أي لغير سبب سوى الانتماء الطائفي ، والتمثيل بالجثث ، واقتلاع عيون الضحايا إلى غير لك مما يثير الهلع في النفوس ولذلك فإنه لم يكن غريبا بالنسبة لي أن أقرأ فيما بعد في محاضر " هيئة التحرير الوطني " أن سمعة اللبناني في العالم كله قد وصلت إلى الحضيض .

فإذا صح هذا التعميم على مستوى القاعدة فإن التخصيص على مستوى القيادة كان أخطر كثيرا ، فحتى قبل اندلاع الحرب الأهلية ، كانت الأنانية ، والمصالح الشخصية هي التي تتحكم في معظم القيادات السياسية والحكومية والاقتصادية والنقابية وغيرها بحيث شكل ذلك قاعدة في الحياة العامة . وهكذا **أصبحت المناصب الكبرى لا تعدو أن تكون فرصة للثراء حتى على حساب البلد والمصلحة العامة ، رغم أن الجميع كانوا يفعلون ذلك وهم يتشدقون بشعارات الوطنية الرنانة . والغريب أن الصفقات كانت تعقد بشكل يكاد يكون علنيا ، فتفوح رائحتها في كل مكان ويعرف بها القاصي والداني رغم أن البلد كان مازال مزدهرا ومستقرا لا تهدده أخطار منظورة .**

ولا أذكر أنني التقيت بلبناني – قبل الحرب – لم يكن يعرف تفاصيل الصفقة التي عقدها أحد وزراء الأشغال للموافقة – لقاء مبلغ كبير من المال – على شق طريق ارتفعت بسببه أسعار الأراضي على كورنيش بيروت ارتفاعا جنونيا أو قصة وزير الاقتصاد الذي تضخم رصيده في البنك إثر صفقة لاستيراد السكر ، وهكذا .

فلما وقعت الواقعة ، لم يكن للمآسي والآلام والجراح النازفة أن تردع هذه القيادات ، أو تسهم في الحد من هذا السلوك الذي استشرى حتى أصبح وكأنه " قيمة " من القيم السائدة في لبنان . بل أن العكس هو الذي حدث ، حتى أن انتهاز الفرص التي وفرتها الأوضاع السائدة ، كان ينظر إليه في أحيان كثيرة على أنه " شطارة لبنانية " أيضا !

وربما يكفي أن أشير هنا إلى نموذجين : أولهما ، قصة الضابط اللبناني الذي انشق عن الجيش فيمن انشق من ضباط وجنود شكلوا ما يسمى بجيش لبنان العربي ، والذي استغل وضعه الجديد في المنطقة التي كان يسيطر عليها فإذا به يجمع المال بسرعة حتى قيل أن والدته كانت تتباهى أمام جيرانها بأن ابنها الذي لم يتجاوز سن الثلاثين إلا بقليل قد تجاوزت ثروته الثلاثين مليون ليرة .

والنموذج الثاني فهو قصة سمعتها من أحد أعضاء حزب الوطنيين الأحرار الذي روى لي أن رئيس الحزب ورئيس الجمهورية الأسبق كميل شمعون ، كان له من بُعد النظر ما جعله يستورد كمية كبيرة من زجاج النوافذ قيمتها ثلاثة ملايين ليرة قبل الغزو الإسرائيلي للبنان مباشرة فلما وقع الغزو [1] وتكسر زجاج كل البيوت والمباني نتيجة للقصف الجوي المتواصل فإن السياسي العجوز حقق لنفسه أرباحا طائلة ، ومرة أخرى لم يدهشني أن أقرأ فيما بعد ما جاء في المقدمة التي كتبها الزميل " طلال سلمان " رئيس صحيفة " السفير " لمحاضر مؤتمر الحوار الوطني اللذين عقدا في جنيف ولوزان عامي ١٩٨٣ و ١٩٨٤ التي أشار فيها إلى " كميل نمر شمعون " فقال : " وله مكانة ومعجبون ، وجمهور غفير من المؤمنين بحنكته وبراعته وجدارته بالزعامة . وكلما اكتشفوا أو عرفوا عنه المزيد من المباذل وحفلات الخداع والغش ازدادوا إعجابا به ، وكلما سمعوا عن صفقة عقدها ونال نصيبه من السمسرة فيها قالوا بتلذذ وساديَّة " صحتين على قلبه ! الشاطر ما يموت " وحتى إذا ما بدل مواقفه كما يبدل قفطانه واستدار ١٨٠ درجة صاحوا بالإعجاب " الله .. شوفوا المهارة ، والشطارة ، شوفوا الطهارة ، شوفوا العبقرية ، حتى أنه لم يهتز ولم يتلعثم ولم يرف له جفن " . هكذا الرجولة وإلا فلا .. شو بِدنا بالحكي ياعمي ، النمر بيضل (أي يظل) نمر حتى ولو صار عمره ألف عام .

وربما يكون ما قاله سياسي لبناني محنك مثل رئيس الوزراء الأسبق " صائب سلام " قد لخص ذلك كله منذ وقت مبكر عندما أعلن – منذ البدايات الأولى للحرب

---

[1] كان توقع غزو إسرائيل وشيك في تلك الأيام من عام ١٩٨٢ .

الأهلية – أن المخاوف التي استبدت باللبنانيين وأدت إلى اقتتالهم فيما بينهم إنما تعود في جانب كبير منها إلى " الحكم المستهتر وفقدان الثقة به ، لما عُرف عنه من فساد و رشاوى وفضائح وإجرام وحماية للمجرمين .[1]

وقد أذهلني بالفعل التعبير الذي سمعته يوما من زميل لبناني نقلا عن حكيم آخر والذي يتلخص في أن " اللبنانية " ليست جنسية أو مواطنة لقدر ما هي " مهنة " .[2]

سمات الشخصية اللبنانية

ومما سبق يمكن أن نلخص شخصية اللبناني في السمات الآتية :-

١- قوة الأعصاب ، وحسن الحيلة ، وعدم الرضا بالقليل ، إن ضاق به العيش في وطنه رحل إلى بلد أبر وأدر واتخذه وطنا ثانيا .

٢- يمتاز اللبناني بحيوية دافقة وميل فطري إلى الترحال واقتحام الأخطار !

٣- اللبناني مساوم ماهر ، وتاجر مداور ، يتاجر في كل ما يدر عليه أجر أو مصلحة حتى ولو ضحى في سبيل ذلك بأخلاقه ومبادئه .

٤- الدين والأخلاق عند اللبناني من الأمور النسبية من السهل أن يضحي بهما في سبيل مصلحته ، فهم يخاف القديسين والأولياء أكثر مما يخاف الله ، وآية ذلك أنه قد يحلف بالله فيحنث أيمانه ، ولكنه إذا حلف بقديس أو ولي فلا يحنث أيمانه !

٥- المواطن اللبناني إنسان حَبُوب لطيف مرح ، محب للحياة ، محب للرقص ، محب للغناء والمرح والشرب ، وهو يكسب كثيرا وينفق كثيرا .

٦- الطموح الشائع لدى اللبناني طموح مادي وشخصي لا طموح قومي ، والأيديولوجية الرائجة هي الحرية الفردية بلا حدود ، وبلا ضوابط ، والثراء بأي طريقة . يدور اللبناني في حلقة مفرغة من المتاجرة المادية الحامية بما فيها المتاجرة بالمعنويات ذاتها .

---

(1) محمود أحمد " لبنان انهيار لم انتحار " ص ١٩- ٢١

(2) محمود أحمد " لبنان انهيار لم انتحار " ص ١٦

٧- لا يعتد اللبناني كثيرا بقيم المحبة والصداقة والأخوة فمصيرها الهزيمة في سباق المصلحة وتكالب رأس المال الذي يطحن في طريقه كل شيء .

٨- يعتمد اللبناني على الامبدئية كمورد رئيسي لحياته . اللامبدئية منجم يُدرُ عليه كل فئات العملات من كل بلاد العالم بكافة اتجاهاتها . وسوق لعقد الصفقات البريئة والمشبوهة على السواء والتي تبدأ بالعمالة لحساب الخارج أو الداخل وتجارة السلاح ، ولا تنهي عند المخدرات والرقيق الأبيض .

٩- محب للعنف يمارسه بشتى أنواعه : قتل ، وقنص ، وتمثيل بالجثث ، واقتلاع عيون الضحايا إلى غير ذلك مما يثير الهلع عند جميع الناس إلا عند اللبنانيين – معظمهم – فهي من الأمور المعتادة المألوفة لديه .

١٠- اللبناني أناني محب لذاته ، ومصالحه الشخصية مقدمة على طائفته الدينية أو الحزبية التي هي بدورها مقدمة على مصلحة الوطن عند التعارض بينهما .

١١- إن الكثيرين من اللبنانيين مندفعون في تيار العمالة الخارجية يعملون لمن يدفع لمن يدع الثمن .

١٢- اللبناني متقلب غير منضبط لا يدرك الحدود الفاصلة بين الحرية والفوضى بين " الشطارة " و " الخيانة " بين " الربح " و " الجشع " لا يبالي ولا يراعي مصلحة الوطن .

إن هذه السمات التي تميز الشخصية اللبنانية بشكل عام لا تعني – بالضرورة – أن كل اللبنانيين يتصفون بهذه السمات في حياتهم ومواقفهم طول الوقت " فالنمط المثالي كما هو معروف ليس حقيقة إمبريقية أو قانونا علميا ، وإنما هو أداة تحليلية تهدف إلى عزل بعض جوانب الواقع بهدف إبرازها حتى يتسنى إدراكها بوضوح ، ومعرفة أثرها على الواقع " (١).

---

(١) محمد عاطف غيث " قاموس علم الاجتماع " .

الشخصية اللبنانية وعلم الطباع (1)

إن أقرب الطباع التي يمكن أن تنطبق على الشخصية اللبنانية هي " الدموي " وهو اللانفعالي الفعَّال ذو الترجيع القريب ، وأهم السمات المميزة لأصحاب هذا الطبع هي :

١- أول ما يُعرف به **الدموي هدوء مظهره** ، وهو يستمد هذا الهدوء من برود عاطفته ، لا قدرته على كبح الاندفاعات العنيفة ، فهو لا يعرف الاندفاعات العنيفة فإذا رأى الناس من حوله يضطربون وينفعلون كان جوابه ابتسامة ناعمة من طرف الفم لا تخلو من شيء من السخرية .

٢- **صوت الدموي هادئ كجملة مظهره** ، فإذا انفعل لم يظهر انفعاله في ارتفاع الصوت بل في اختلاف الحكم ، وإذا نزل به أمر يسير أو خطير لم ينفجر متفجعا بل فكر في الوسيلة العملية للخروج من المأزق ، ولم تزدد ضربات قلبه من ذلك اتساعا ولا قوة .

---

(1) أرسل العالمان الهولنديان : هيمانس ، وفيرزما الأستاذان بجامعة جرونبخ إلى ثلاثة آلاف طبيب من هولندا وألمانيا استجوابا يضم يضم تسعين سؤالا من الأسئلة التي تتناول صفات الطبع ، وطلبا إلى هؤلاء الأطباء بأن يلاحظوا أفراد أسرة من الأسر ، وأن يجيب كل فرد فيها عن الأسئلة التسعين .

وتلقى العالمان (هيمانس وفيرزما) ٢٥٢٣ نسخة مملوءة من هذا الاستجواب تضم كل بيانات عن فرد من الأفراد لاحظه أولئك الأطباء . وبالمقارنة والكيفية و الكمية بين هذه الاستجوابات الفردية وبعد تصنيفها في ثماني مجموعات تبعا للأجوبة الواردة فيها عن الأسئلة المتصلة بثلاث صفات طبعية عدُها هذا العالمان صفات أساسية بل مقومات أساسية للطبع وهذه الصفات التي أعداها أساسية هي :

الانفعالية ، والفاعلية ، والترجيع .. وقد تصفح " هيمانس " حياة ١١٠ شخصية تاريخية تنتمي إلى جنسيات مختلفة كما أن أعمالها والأسباب التي اشتهرت بسببها متنوعة ، فاستمد منها أجوبة عن الأسئلة التسعين التي اشتمل عليها الاستجواب .

إن نتيجة هذين الاستقصاءين : الاستقصاء الإحصائي ، واستقصاء السِّيَر هي التي بنى عليها " رونيه لوسن " كتابه " علم الطِّباع " ، وأعقبه في الظهور سلسلة من الكتب تكمله وتنهج نهجه ، ويشرف على إصدارها " لوسن " د. سامي دروبي " علم نفس الأدب " دار المعارف ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

٣- الدموي مهذب في معاملة الناس عادة ، ثم إن ميله إلى المجتمع وحسه العملي لابد أن يجعلا التهذيب واللباقة قاعدة أساسية في حياته .

٤- الدموي يعنى بهندامه وأناقته , وهذا جزء من سلوكه الاجتماعي ، وهو أكثر الناس ميلا إلى ممارسة الرياضة .

٥- تحتل الرغبة الجنسية في أدب الأدباء من الدمويين مكانا مهما ، حتى ليمكن أن يقال إنه ما من طبع من الطباع ينزل الرغبة الجنسية منزلة أخطر من المنزلة التي ينزلها فيها الدموية ، ولكن الشيء البارز أن هذه الرغبة الجنسية تبدو في أدب الدمويين عارية لا تتلفع بأثواب من العاطفة ، والعنصر الذي يسمو بالحب لديهم إنما هو الشعور بالجمال . إن ضعف الانفعالات يحيل الحب بين الرجل والمرأة إلى نوع من الصداقة في أحسن تقدير .

٦- الحس العملي أبرز صفة يتميز بها الدموي ، فالدموي بارع يعرف كيف يصل إلى المراكز العليا بالدهاء وسعة الحيلة ، ولو لم يملك من المواهب ما يؤهله لاحتلال تلك المراكز

٧- الروح العملية تمتد في الحياة الاجتماعية براعة في العلاقات بالناس ، فالدموي يحب التردد على الصالونات والاختلاف إلى المجتمعات ، ويحب الحديث بين الناس .

٨- والدموي سياسي يحب التردد إلى المجتمعات الراقية ، والدبلوماسية هي الميدان المفضل الذي يؤثر أن ينفق فيه نشاطه ، ومما يسهل نجاحه في الدبلوماسية أن عقله العملي مبرأ من العدوى العاطفية وأنه بعيد عن الوساوس الأخلاقية التي قد تصده عن إنفاذ ما عقد النية عليه بعد حساب واضح ، فهو لا يبالي العواطف الإنسانية إلا بمقدار ما يستطيع تسخيرها لمآربه .

٩- والدموي لا يتورع عن التقلب بتقلب الأحوال والظروف تحقيقا لمصلحته ، إن له بفضل الترجيع القريب مرونة هائلة في التقلب والتذبذب .

١٠- **إن الدموي ريبي (شكّاك) في ميدان الدين ، وريبي في ميدان الأخلاق** ، وإذا نظرنا في أدب الدمويين وجدناه يعبر عن النسبية التي يمكن وصفها بالسلبية .

١١- **تتجلى تعددية الدمويين في ميلهم إلى الحقائق المجزأة** ، إنهم إن أحبوا الطبيعة ودافعوا عن قيمة العلم ضد الدين .فإن ميلهم إلى استطلاع الطبيعة يظل من فقدان التنظيم استقرائيا مجزأ

١٢- يعتبر الدموي القَبَلِيّة الفكرية ينبوع جميع الأخطاء ، وينتقص من قيمة الرياضيات ، وينفر من الميتافيزيقا ، أي يحارب روح التنظيم والمذهبية مع أنها ضرورية هي نفسها لبناء العلم ، ولعل هذا هو ما يفسر تلك الظاهرة ، وهي أن الدمويين إن كان بينهم عدد كبير من العلماء فإن بينهم عددا كبيرا ممن **يؤثرون أن يحرقوا البخور للعلم على أن ينشئوا العلم .**

١٣- **يؤثر الدمويون التفكير النقدي على العمل الخالق المبدع .**

١٤- لا نستطيع أن نحصر الدمويين في اختصاص ضيق بعينة فإن ما يتمتع به فكرهم من المرونة ، وما يميل إليه من استطلاع تغلب عليه التسلية أكثر مما يغلب عليه العمق ، وهناك عمقان يمكن أن يجتذبا الفكر : الأول هو الوصول إلى الخلجات المستترة من الحياة النفسية ، وهذا هو عمق النفس ، والثاني هو اكتشاف المبادئ الثاوية وراء الظواهر بالتنظيم وهذا هو عمق العقل ، **والدموي لا يملك لا الغنى العاطفي ولا التنظيم النظري** ، وهو من أجل ذلك يعوزه العمق ، وإذا كان الدين والميتافيزيقا يستمدان قواهما من هذا العمق ، فلا بد أن يظل الدين ، وأن تظل الميتافيزيقا غريبين عن العقول التي لا تحركها هذه القوى .

١٥- إن عقل الدموي يتبعثر بين الحقائق المتفرقة التي لا يشعر بحاجة إلى ربط بعضها ببعض ، إنما يطوف بينها تبعا لمصادفات التجربة ، كما أنه ليس به أي قلق عاطفي عليه أن يهدئه : **فهو لا يشعر شعورا قويا بالخوف من الموت ، ولا بالألم لموت الآخرين ، لأنه بارد العاطفة موضوعي لا يفهم الموت إلا على أنه حادثة تقع .**

١٦- الدموي ضعيف العاطفة القومية ، إنه يتأرجح بين الفردية التي تصرفه عن المشاركة في العواطف القومية الجماعية ، وبين النزعة الإنسانية التي تتنكر للقومية إذ تفيض عنها وتربو عليها .

١٧- والدموي يتصور الحب على أنه علاقة بين الجنسين يتساقيان فيها اللذات ما حلا لهما ذلك وإلى أن يسأماه ، والعلاقات الغرامية لدى الدموي متقلبة بتأثير القريب ، وباردة بتأثير ضعف الانفعالية ، لا تقيم وزنا لما في أنفس النساء من عاطفة عميقة ، ولا تحفل بالمصالح القومية والاجتماعية التي تكفلها الأسرة .[1]

لماذا لا يوجد رأي عام موحد في لبنان ؟

الرأي العام الموحد لأي دولة لا يوجد إلا إذا وجدت التربية الصالحة لظهوره والتربية الصالحة في رأي توفيق الحكيم " هي الأمة الموحدة في جنسها ، وعقائدها ، وتقاليدها ، وآمالها ، وأهدافها .

والرأي العام يربى كما يربى كل طفل صغير بالتعليم الشامل الذي يكون العقلية الواحدة الشاملة بهذا النوع من التعليم يشب الرأي العام على تفكير واحد يُمَكّنه من أن يَبُتَّ في مسائله برأي واحد سريع قاطع " .

وإذا طبقنا الأسس التي وضعها توفيق الحكيم لوجود رأي عام موحد على الشخصية اللبنانية فإننا نجد أن كل ما في لبنان يتنافى مع وحدة الرأي .

كيف يتأتى توحيد الرأي العام في لبنان والأعراق مختلفة ، والديانات والمذاهب مختلفة كذلك ، حتى التربية والتعليم والثقافة تختلف من طائفة لأخرى .؟!!

كيف يوجد الرأي العام الموحد في لبنان وكل شيء في هذا البلد المنكوب يجعل هذا المولود مخلوقا مشوها مضطربا مبلبل الفكر مشتت الرأي ؟! لأن كل شيء في لبنان له نسخ متعددة وأثواب مختلفة فلديه تعليم أجنبي وحكومي وديني : ماروني ،

([1]) انظر الفصل الثالث " بين علم الطباع والأدب " سمات الدموي د. سامي دروبي " علم نفس الأدب " دار المعارف ص١٩١-١٩٦ .

وشيعي وسني ودرزي ، وفي لبنان أحياء أوروبية مسيحية في الشمال يرفل سكانها في الترف والنعيم ، وأحياء عشوائية شيعية في الجنوب يعيش سكانه تحت خطي : الفقر و النار ، وأحياء سنية في الوسط بين هذا وذلك .

وكل هذا الخلط في الأوضاع والتعليم والتربية والإطار الذي يعيش داخله الناس في لبنان جعل لهم بالضرورة عقليات مختلفة ، كل عقلية تفكر تفكيرا خاصا وترى الدنيا من زاوية منفردة ، وكان من أثر ذلك أن حُبِس كل فرد داخل حلقة منفصلة من وضعه الذي نشأ عليه يحسب الدنيا دنياه ورأيه هو وحده على حق لا يفهم غيره ولا يشعر بشعور مواطن آخر ، وبتفكك عقلية الشعب اللبناني إلى عقليات متعددة مختلفة ومتضاربة تم تفكيك الشخصية اللبنانية وانحلالها .

***

كتب للمؤلف

(أ) كتب مطبوعة

١- **ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية** . مكتبة مدبولي .

٢- **اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي** . دار الإبداع للصحافة والنشر .

٣- **هذه استراتيجيتهم ، فماذا نحن فاعلون ؟** دار الإبداع للصحافة والنشر .

٤- **إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن.** دار الإبداع للصحافة والنشر

٥- **فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة.**دار الإبداع للصحافة والنشر

٦- **من أحلام الشباب (قصص قصيرة)** دار الإبداع للصحافة والنشر .

٧- **زمن الطغيان (قصص قصيرة)** دار الإبداع للصحافة والنشر .

٨- **ابن السلطان يبحث عن سمير (قصص قصيرة)** دار الإبداع للصحافة والنشر .

(ب) كتب تحت الطبع

* **سلسلة نحو فهم صحيح لحقيقة الصراع العربي الصهيوني**

١- الدين والسياسة والنبوءة .

٢- حقيقة اليهود وأوهام العرب .

٣- العرب والمخطط الصهيوني .

٤- الطبيعة العربية والصهيونية ، الزعامات المزعومة والسياسات المدروسة

٥- دروس سياسية من التجربة الناصرية .

٦- معجزة إسرائيلية أم خيبة عربية .

٧- الخلاص الإلهي في آخر الزمان في اليهودية والمسيحية والإسلام .

* رؤية إسلامية للحضارة المصرية القديمة .

- يؤمن المؤلف بأنه لن يُجدِّد شباب الأمة العربية والإسلامية إلا الإيمان الصادق ، و الفكر المستنير ، والعمل المخلص ، وفقه الواقع ، وأنه ليس أضر عليها من النفاق ، وجمود الفكر ، والتواكل ، والجهل بالواقع .

التليفون المحمول : ٠١٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

***

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الفصل الثالث : نتائج الحرب على لبنان

الفصل الرابع : موقف الحلفاء من الحرب على لبنان

الفصل الخامس : الشخصية اللبنانية